أسّس الأب لويس خليفة (†)
جريدة بيبليا سنة ١٩٩٠
وحوّلت إلى مجلة بيبليا
سنة ١٩٩٨.

رئيس التحرير:
الأب أيّوب شهوان

هيئة التحرير:
الأب أيّوب شهوان
الخورأسقف بولس الفغالي
الأخت باسمة الخوري
د. دانيال عيّوش

أسرة التحرير:
الأخت روز أبي عاد
د. نقولا أبو مراد
الأرشمندريت نقولا أنتيبا
الأب جوزف بو رعد
الأم كليمنص حلو
الأب ميلاد الجاويش
الأب أسعد جوهر
الأرشمندريت جاك خليل
الأب جورج خوّام
الخوري نعمة الله الخوري
الأب لويس الخوند
القس عيسى دياب
الأخت دولّي شعيا
الأب نجم شهوان
الخوري جان عزّام
د. جوني عواد
الأب أنطوان عوكر
القسّ هادي غنطوس
المونسنيور يوسف فخري
الأخت ياره متّى
الأب هادي محفوظ
الخورأسقف أنطوان مخايل
المطران بطرس مراياتي
الخوري جوزف نفّاع
الأب ريمون الهاشم

ISSN 1992-2094

جميع الحقوق محفوظة

مركز النشر والتوزيع
جامعة الروح القدس – الكسليك
ص.ب. : ٤٤٦ جونيه – لبنان
هاتف : ٠٩/٦٠٠ ٠٠٠
فاكس : ٠٩/٦٠٠ ١٠٠

في هذا العدد

الإفتتاحيّة

أسفار العهد الجديد المنحولة شهادة على عصرها ـــــ رئيس التحرير ٢

إنجيل يعقوب التمهيدّي، القسم الثاني:
نصّ الإنجيل، ونقده الأدبيّ، ومقارنته مع نصوص بيبليّة قانونيّة ـ الأب أيوب شهوان ٥

إنجيل العبرانيّين ـــــ الخورأسقف بولس الفغالي ٣١

إنجيل الطفولة العربيّ ـــــ الأب بيتر مدروس ٣٩

رقاد مريم في الأدب المنحول ـــــ الخورأسقف أنطوان مخائيل ٥٣

الكتب المنحولة وتأثيرها على الليتورجيّا الكنسيّة ـــــ الأب نجم شهوان ٥٩

ثمن العدد
في لبنان : ٧٥٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها
في الخارج : ١٠٥٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها

الاشتراك السنوي (٤ أعداد)
في لبنان : ٣٠٠٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها
في الخارج : ٤٢٠٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها

الصف الإلكتروني، الإخراج،
فرز الألوان والطباعة:
Daccache Printing House s.a.r.l.
عمشيت (لبنان)

العنوان
كلّيّة اللاهوت الحبريّة
جامعة الروح القدس – الكسليك
ص.ب.: ٤٤٦ جونيه – لبنان
هاتف: ٠٩/٦٠٠٠٠٠
فاكس: ٠٩/٦٠٠١٠٠
E-mail: olmpac@hotmail.com
ayoubchahwan@usek.edu.lb

الافتتاحيّة

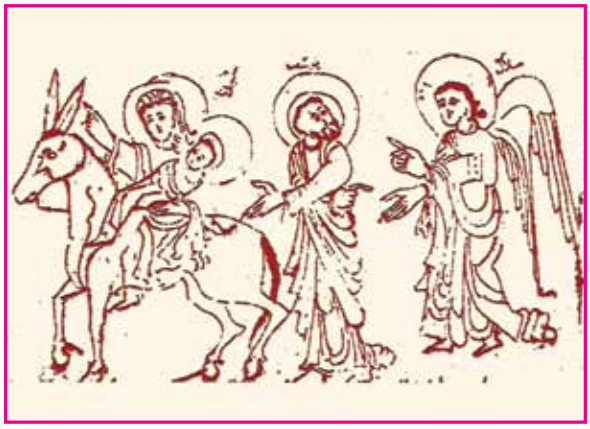

أسفار العهد الجديد المنحولة
شهادة على عصرها

رئيس التحرير

١ – قانون كتب العهد الجديد

لم يكن لدى الرسل أو خلفائهم اتفاقٌ مشترك أو نيّة في أن يكون هناك مؤلّف مشترك يُترَك لمن يأتي بعدهم. لم "يُصنَع" القانون ولم "يُخلَق"، ولكنّه نما تدريجيًّا. والأسفار التي يتكوّن منها القانون هي الآن: أناجيل أربعة، أعمال الرسل، إحدى وعشرون رسالة، ورؤيا واحدة. هذه كلّها كانت منفصلة أوّلاً، ومستقلّة الواحدة عن الأخرى، في أوقات وظروف متنوّعة، بهدف سدّ حاجة ذات وجهين: تبشيريّ وليتورجيّ، علمًا أنّ لكلّ سفرٍ تاريخًا مختلفًا وخاصًّا به.

من ناحية ثانية، كانت الكلمة المكتوبة، وتبقى، فقط وسيلةً مكمِّلة في ما يتعلّق بنشر الإنجيل، إذ "ينشأ الإيمان من التبشير" (رو ١٠: ١٧). في الواقع، كانت كلمة المسيح يسوع، عند نشأة الجماعة وتَكَوُّنِها، القاعدةَ الوحيدةَ الرابطةَ والجامعة.

من إطار نصّ غل ٦: ١٦ نستنتج أنّه، بالنسبة إلى المؤلّف، هناك سلطة واحدة، عليها يستطيع المسيحيّ أن يثبت وينظّم مسلكه: إنّه يسوع المسيح. بالطبع، لا ينفي بولس الرسول سلطة العهد القديم؛ وهذا الأخير لا يمكن تفسيره بمعزل عن المسيح، كونه قد أوحِيَ كي يوصل إلى المسيح.

إستنادًا إلى لو ١: ١، نعرف أنّه، في البداية، كانت توجد مؤلّفات أخرى "عديدة".

٢ – لا جدّيّة تاريخيّة في الأناجيل المنحولة

هناك نقص في الجدّيّة التاريخيّة في الأناجيل المنحولة، وهذا من جملة أسباب رفض الكنيسة لها. ماذا يوجد أكثر أصالة وانسجامًا مع رسالة المسيح من موهبة مغفرة الخطايا والخلاص؟ هذا هو الموضوع الرئيسيّ للأناجيل القانونيّة، لكنّنا لا نجده في الأدب الإنجيليّ المنحول.

إنّ عمليّة الاختيار التي قامت بها الكنيسة، كانت بالفعل عملاً نقديًّا من الدرجة الأولى.

٣ – أدبٌ غير متناسق

الأدب المنحول، من حيث أصوله، وأوضاع كتابته، وتناقله، وتحوّلاته في المدّة الطويلة وفي أصقاع متنوّعة، لا يشكّل مجموعةً متجانسة؛ فالأدب المنحول يشمل بلدانًا عدّة لكلٍّ منها ثقافتها، الأمر الذي يجب أن يحول دون إعطاء تحديد أدقّ لهذا الأدب بشكل عامّ.

يمثّل الأدب المنحول جزءًا لا يُستهان به من الأدبَين اليهوديّ والمسيحيّ القديم.

٤ – تقسيم مُربِك

تنقل المؤلّفات المنحولة عقائد متنوعة، وتتضمّن رؤى ليست غريبة عن الكتب القانونيّة، وتقترح سلوكًا ومواقف معيّنة، الخ. إحدى أهمّ الأسباب الرئيسيّة للتآليف المنحولة في القديم كانت في الواقع ضرورة تقديم حلول لمسائل كانت من دون جواب أو غير ذلك. لقد بدا أن لا مفرَّ من الإيحاءات والرؤى حيثما كان التقليد يبقى صامتًا، تُحَقِّق هذا البرنامجَ الفكريَّ والمجرّدَ بطريقة محسوسة، وروائيّة، وأحيانًا شعبيّة. من الطبيعيّ إذًا أن تكون مواضيع هذه الروايات، أو أبطالها، هم مَن يفرضون تقسيم المؤلّفات المنحولة، كما أيضًا توزيع نصوصها. لكن، في الواقع، يشكّل تداخل المواضيع والأشخاص بين المنحولات عقدة لا يُستهان بها في توزيع هذه الأخيرة إلى مجموعات متمايزة، لكنّ هذا لن يحول دون محاولة اعتماد تقسيم ما لها.

٥ – تكوين الأسفار المنحولة

ليست قصّة تكوين قانون الكتب المقدّسة مختلفة عن قصّة تكوين الأسفار المنحولة. لقد ابتدأ هذا النوع الأدبيّ، في العصر ذاته تقريبًا، كتعبير عن التقليد الحرّ والوافر، مع آخر الأسفار في الترتيب الزمنيّ للقانون عينه، في عصر لم يكن فيه هذا الأخير قد وُجد رسميًّا بعد، وهذه الأسفار لم يكن ممكنًا تسميتها "منحولة" بالمعنى الذي أُعطِيَ لها لاحقًا كنصوص يجب رذلها لأنّها تحيد عن جوهر رسالة يسوع الخلاصيّة. لقد نما هذا الأدب واستمرّ، وأصبح في ذهن مؤلّفيه مكمِّلاً للكتب القانونيّة التي كانت تسير نحو فرض ذاتها رسميًّا.

ترتبط قصّة وضع الأسفار المنحولة في الكنيسة إذًا وتُفهَم بطريقة أجلى وأوضح من خلال قانون الكتب المقدّسة.

انتهى التمييز الواضح بين ما هو رسوليّ أو أصيل، وبين ما هو منحول، بسبب الأدب الذي جاء لاحقًا، كي يعطي لكلمة "منحول" معنى سلبيًّا، غيرَ أهلٍ لأن يكون على مستوى الوثائق المسيحيّة القديمة.

لا تقبل الكنيسة، ولا بأيّ شكل من الأشكال، المؤلّفات التي وضعها الهراطقة أو المنشقّون وأقرّوها.

موقف الكنيسة إذًا هو التالي: ما هو مزيّف وهرطوقيّ يجب أن يُدحَض ويُرذَل ويُشجَب؛ هكذا فقط يمكن الدفاع عن كنز الوحي. من المحتمل أن يكون الرسل قد أتوا العجائب والمعجزات التي تخبر عنها الكتب المنحولة؛ لكن ما يجب رذله هو "المجادلات والتأكيدات ذات المعاني الشرّيرة"، والتي هي من وضع الهراطقة. يحذّر إيرونيموس من الشطط، والتناقضات، والجمل ذات الذوق السيّء، ويقترح إزالة هذه المؤلّفات.

بالرغم من بعض الأحكام الصادرة عن أشخاص ذوي سلطان، والتي توازي الحكم المطلق، فقد استطاع الأدب المنحول أن ينعم ببعض حقّ المواطنيّة في الكنيسة، وبالتالي بممارسة تأثيره، إنْ في نطاق الفنّ الكنسيّ، وإنْ في الليتورجيّا، وفي مؤلّفات الكتّاب المسيحيّين، وفي التقوى المسيحيّة. يبدو مستبعَدًا تقريبًا أنّ معلومات عزيزة على الشعور المسيحيّ، ليس لها كأساس سوى النصّ المنحول، نذكر منها: اسمَي والدَي العذراء، يواكيم وحنّه، عيد تقدمة مريم الطفلة إلى الهيكل، مولد يسوع في مغارة ووجود الثور والحمار فيها، أسماء المجوس وعددهم، قصّة ديماس ويسْتَاس، اللصّين اللذين صُلبَا مع يسوع، اسم لونجين، الجنديّ الذي طعن صدر يسوع، قصّة فيرونيكا، استشهاد أندراوس، الخ

٦ – لغة منحولات العهد الجديد

اللغة الشائعة اليونانيّة koinh هي اللغة الأكثر استعمالاً من قِبَل مؤلّفيّ الأسفار المنحولة. لكن برزت سريعًا ترجمات إلى اللغات القديمة، وبالتحديد إلى السريانيّة،

والقبطيّة، والأثيوبيّة، والأرمنيّة، إلخ.

٧ – نشر منحولات العهد الجديد

بدأ العمل النقديّ للمادّة المنحولة في القرن التاسع عشر، فصدرت نشرات، ودراسات، إلخ. وبالرغم من غنى المادّة المنحولة، ينبغي أن نلفت الانتباه إلى أنّ قسمًا كبيرًا منها قد ضاع.

٨ – لا لإهمال منحولات العهد الجديد!

لم يأخذ واضعو الأناجيل، ولأسباب مختلفة، كلّ ما كان متداولاً في التقليد الذي سبقهم. هذه الفجوات أدركها يوحنّا بالذات: "وهُناكَ أُمورٌ أُخرى كَثيرةٌ أتى بها يسوع، لو كُتِبَت واحداً واحدًا، لَحَسِبتُ أنَّ الدُّنْيا نَفْسَها لا تَسَعُ الأَسفارَ الَّتي تُدَوَّنُ فيها" (٢١: ٢٥). هناك احتمال إذًا أن تكون أجزاء من التقليد ذاتها قد حُفِظَت، بالإضافة إلى كونها أقوالاً أو أعمالاً منفصلة عملها يسوع، في مؤلّفات متنوّعة من حيث أنواعها الأدبيّة، ومنها بالتالي المؤلّفات المنحولة، التي يعود بعضها إلى العام ١٣٠–١٥٠ ب. م.؛ نحن إذًا أمام مادّة لها قيمتها بحدّ ذاتها، وإن لم يكن بمستوى الأسفار القانونيّة. وإذا ما قُبِلَ هذا المبدأ، تصبح هذه الأسفار مصدرًا لمعلومات إضافيّة ومفيدة عن بدايات الكنيسة وتفكير عدد من أبنائها حول حياة المسيح ورسالته.

إنّه لخطأ فادح يقع فيه كاتب تاريخ الكنيسة، والعالم بالآباء، والباحث في اللِيتورجيّا، والعقيدة، والفَنّ الكنسيّ، وغير ذلك، إذا ما أهمَلَ الأدب المنحولّ؛ فهذا الأخير هو شهادة على عصره، ويتمتّع بأهمّيّة خاصّة لأنّه يعكس رأي شخص أو جماعة معيّنة، يحسن بنا أن نتعرّف إليها وإلى أهداف واضعيها، كما إلى مواقف آباء الكنيسة من بعض منها، وإلى تعليم الكنيسة الرسميّ في هذا السياق.

المحتوى

مقدّمة المنحولات	٧
I ـ أناجيل طفولة مريم ويسوع:	١٩
١ ـ إنجيل توما الإسرائيلي	٢١
٢ ـ إنجيل يعقوب التمهيدي	٣١
٣ ـ إنجيل الطفولة العربي	٤٩
٤ ـ إنجيل مولد مريم وميلاد المخلّص	٨١
٥ ـ إنجيل مولد مريم	١١٧
II ـ إنجيلا آلام	١٢٧
١ ـ إنجيل بطرس	١٢٩
٢ ـ إنجيل نيقوديموس	١٣٥
III ـ إنجيلان غنوصيّان	١٧١
١ ـ إنجيل توما	١٧٣
٢ ـ إنجيل يوحنا	١٩٣
IV ـ نبذات أناجيل:	٢٠٣
١ ـ الأغرافا:	٢٠٥
. أغرافا العهد الجديد من خارج الأناجيل	٢٠٧
. روايات مختلفة للمخطوطات الإنجيلية	٢٠٨
. أغرافا ذكرها الآباء	٢١٠
٢ ـ شذرات بَرْدِيّات:	٢١٥
. بَرْدِيّات البَهْنَسا	٢١٥
. بَرْدِيّات إغرتون	٢٢١
. نبذات من مصادر مختلفة	٢٢٣
٣ ـ نبذات أناجيل ضائعة:	٢٢٧
. الإنجيل بحسب العبرانيين	٢٢٧
. إنجيل الإبيونيين	٢٣٣
. إنجيل المصريين	٢٣٦
. روايات متى	٢٣٩

إنجيل يعقوب التمهيديّ (تابع)
القسم الثاني: نصّ الإنجيل، ونقده الأدبيّ، ومقارنته مع نصوص بيبليّة قانونيّة

الأب أيوب شهوان
أستاذ مادّة الكتاب المقدّس
جامعة الروح القدس – الكسليك

في القسم الأوّل من هذا المقال [1]، عرّفنا بإنجيل يعقوب التمهيديّ، فأوضحنا سبب تسميته بهذا الاسم، وبحثنا في هويّة كاتبه، وفي تاريخ تحريره، وبيّنّا الهدف من تأليفه، وأبرزنا مضمونه وبنيته، وعلاقته بإنجيلَي متّى المنحول وتوما الفيلسوف الإسرائيليّ، ثمّ أثره على إكرام مريم في الكنيسة.

في القسم الثاني من هذا المقال، نُدرِجُ نصَّ الإنجيل المذكور، ونقدّم نقدًا أدبيًّا لنصّه، مع مقارنة هذا الأخير مع نصوص بيبليّة قانونيّة عدّة، نظرًا لمَا لهذا الأمر من أهمّيّة من حيث تبيان العلاقة الوطيدة التي نَسجها المؤلّف مع أسفار الكتاب المقدّس.

لقد أضفنا عناوين لفصول الكتاب أو لمقاطعه، وهي متعارف عليها تقريباً، بهدف إبراز الموضوعات المدرجة فيه، وتسهيلاً للقارئ في هذا المجال.

الفصل الأول: خروج يواكيم إلى الصحراء

النصّ:

١: ١: "في مذكّرات أسباط إسرائيل الاثني عشر مكتوب أنّه كان هناك شخص يدعى يواكيم، وكان رجلاً مقتدرًا وميسورًا؛ وعندما كان يقدّم عطاياه، كان يقدّمها مضاعَفةً، قائلاً في قلبه: الخيرات الفائضة عنّي، فلتكن لصالح الشعب كلّه؛ وفي ما يتعلّق بمغفرة خطاياي، فلكي يرضى الربّ عنّي".

١: ٢: "وحلّ يوم الربّ العظيم، وكان بنو إسرائيل يقدّمون قرابينهم، فإذا برأوبين قد وقف في المقدِّمة وقال ليواكيم: لا يحقّ لك أن تكون الأوّلَ في تقديم قرابينِكَ لأنّكَ لم تُعْطَ نسلاً في إسرائيل".

١: ٣: "حزن يواكيم حزنًا شديدًا، فمضى يراجع سجلّ أسباط الشعب الاثني عشر قائلاً في سرّه: سوف أرى سجلّات الأسباط الاثني عشر، وهكذا أعرف إن كنت أنا الوحيد الذي لم يُعْطَ زرعًا في إسرائيل. فتّشَ ووجدَ أنّ الأبرار جميعًا في إسرائيل قد خلّفوا نسلاً. ثمّ تذكّر حالة إبراهيم أب الآباء، وكيف أعطاه الله ولدًا وهو في آخر حياته، هو إسحق".

١: ٤: "إذّاك اغتمّ يواكيم إلى الغاية، ولم يدع امرأته تراه، بل انسحب إلى البرّيّة حيث نصب خيمته، وصام أربعين يومًا وأربعين ليلةً، قائلاً في قلبه: لن أنزل لآكل أو لأشرب حتّى يزورني الربّ إلهي، وستكون صلاتي هي طعامي وشرابي".

التعليق:

١: ١:

"**مذكّرات**": يمكن مماهاة هذه "المذكّرات" مع "سجلّات" ١: ٣. يرمي اللجوء إلى "مذكّرات" من هذا النوع إلى تأمين ضمانة للرواية، من جهة، ولمقارنة حاله مع حال من سبقوه، من جهة ثانية.

(١) رج أيّوب شهوان، «إنجيل يعقوب التمهيديّ. القسم الأوّل: مقدّمات»، **بيبليا** ٤٧ (٢٠١٠) ١٥–٢٢.

"**يواكيم**": يعني الاسم "الله يقيم"، "يرفع". هو يَردُ في العهد القديم. نقرأ في هذه الآية أنّ "يواكيم كان غنيًّا جدًّا"، تمامًا كما كان يواكيم زوجَ سوسنّة غنيّة، وهذا ما يفيد به دا ١٣: ٤: "وكانَ يواكيم غنيًّا جدًّا، وكانت له حديقةٌ تُجاور بيتَه، وكانَ اليهودُ يقصدونَه، لأنّه كانَ أشهرَهم جميعًا". وأنّه يُعنَى بأن يُحسن إلى شعبه، قائلاً: "لتكن خيراتي للشعب كلّه".

"**لصالح الشعب كلّه**": كان ينبغي توزيع ما كان فائضًا على الفقراء، بينما كلّ الباقي، الذي كان ينبغي أن يُقَدَّم على المذبح، كان يُستَعمَل للذبائح عن خطايا يواكيم.

١: ٢:

"**يوم الربّ العظيم**": يشير هذا التعبير، الذي يظهر في إطار مختلف في ٢: ٢، إلى يوم عيد، دون تحديد الذكرى التي يجري الكلام عليها. هذا العيد قد يكون عيدَ تكريس الهيكل. التعبير "اليوم العظيم" يذكّر بما ورد في أش ١: ١٣ (بحسب السبعينيّة): hmeran megalhn. اعتقد البعض أنّ المقصود هو عيد المظالّ، الذي كان يومه الأخير يُدعى "يوم العيد العظيم"، حسبما جاء في يو ٧: ٣٧: "وفي آخر يوم من العيد، وهو أعظمُ أيّامه..."؛ رج يؤ ٢: ١١: "لأنّه عظيمٌ يومُ الرّبِّ وهائلٌ جدًّا"؛ أع ٢: ٢٠: "يوم الربّ، اليوم العظيم السنيّ"، أي يوم يهوه (أنظر عا ٥: ١٨).

"**رأوبين**": يذكّر هذا الاسم باسم الابن الأكبر ليعقوب (تك ٢٩: ٣٢) [٢]. هذا الشخص الذي نحن بصدده ليس الكاهن الأعظم، كما ورد في المخطوط السريانيّ لهذا الإنجيل، بل مالك أراضٍ غنيّ، من قبيلة يواكيم بالذات.

في التقليد اليهوديّ، يُفَسَّر **عقم الأبرار** ("لم يُعطَ زرعًا") برغبة الله في أن يوجّه هؤلاء صلواتهم إليه.

١: ٣:

"**سجلّ قبائل الشعب الاثنتا عشرة**": يوحي استعمال التعبير "سجلّ" (anagrafhn, biblon) بأنّ هناك كتابًا ينبغي أن يكون المقصود به سجلاً يتضمّن سلالات قبائل إسرائيل الاثنتي عشرة (to dodekafulon tou laou).

١: ٤:

"**البرّيّة**": قد تكون مكانًا جبليًّا، سَهْبًا أو مرعًى. صحراء اليهوديّة الذي يشير المؤلِّفُ إليها على الأرجح، هي فعلاً صحراء، تغطيها الأعشاب في الربيع، فتملأ القطعان الروابي. تمتدّ هذه المنطقة ما بين أورشليم، وحبرون، والبحر الميت. فيها وجد التقليدُ مكانَ سكنى المعمدان بعد مرحلة الطفولة، ثمّ سكنى يسوع في مدّة الصوم .

"**استولى عليه حزن عظيم**": تعتمد ترجمةُ هذه الجملة **برديّة بودمير ٥** (*Bodmer 5*).

"**أربعون يومًا وأربعون ليلة**": "أربعون" هو رقم مقدَّس [٣]؛ أمضى يواكيم أربعين يومًا وأربعين ليلة منعزلاً عن بني جنسه، كما فعل من قبل، وعلى سبيل المثال، الأشخاص التالية أسماؤهم:

– موسى: "وأَقامَ موسى في الجبلِ أَربعينَ يومًا وأَربعينَ ليلة" (خر ٢٤: ١٨)؛

– وإيليّا: "فقامَ وأكلَ وشَربَ وسارَ بقوّة تلكَ الأَكلَة أَربعينَ يومًا وأربعينَ ليلةً إلى جبلِ اللهِ حوريب" (١ مل ١٩: ٨)؛

– ويسوع لاحقًا: "فصامَ أَربعينَ يومًا وأَربعينَ ليلةً حتّى جاع" (مت ٤: ٢).

"**قائلاً في قلبه**": المتكلّم هنا هو بالطبع يواكيم.

"**لن أتناول طعامًا**": باغتذائه من الصلاة فقط هو يرجو أن يلقى جوابًا على انتظاره. رج يو ٤: ٣٤: "قال لهم يسوع: طعامي أن أعمل مشيئة من أرسلني وأن أتمّ عمله"؛ إر ١٥: ١٦: "منذ أن وجدت كلماتك، التهمتها. كلمتك سرّتني وجعلتني سعيدًا في العمق".

الفصل الثاني: حزن حنّة

النصّ:

٢: ١: "في غضون ذلك كانت حنّة زوجتُه ترثي رثاءً مضاعَفًا، وتسكب النفسَ في تأوّه مضاعَف قائلة: سوف أبكي ترمّلي، كما أبكي أيضًا عقمي".

(٢) رج ٦: ٣: «من يخبر أبناء رأوبين أنّ حنّة ترضع؟».

(٣) W. H. ROSCHER, *Die Zahl 40 in Glauben, Brauch und Schriftum der Semiten*, 1909.

٢: ٢: "وحلّ يومُ الربّ العظيمُ، فقالت لها يهوديت جاريتُها: "إلى متى تجعلين نفسَك تعاني؟ ها قد حلّ يومُ الربّ العظيمُ، ولا يحقّ لك أن ترثي ذاتَكِ؛ خذي بالأحرى هذه العُصابة التي أعطتني إيّاها تلك التي تَشرف على العمل؛ لا يحقّ لي في الواقع أن أضعها لأنّني جارية، وهي تحمل علامة ملوكيّة".

٢: ٣: "فقالت لها حنّة: إذهبي عنّي؛ أمورًا كهذه أنا لم أفعل قطُّ؛ ثمّ إنّ الربّ قد عنّاني جدًّا. من المحتمَل أن يكون لصٌّ ما قد أعطاك إيّاها، وأنت جئت لتجعلي منّي متواطئةً مع خطيئتك". فأَجابت يهوديتُ: "وأيّ شرٍّ أستطيعُ أيضًا أن أتمنّاه لك، بعد أن أغلق الربُّ حشاكِ حتّى لا تعطي ثمرًا في إسرائيل؟".

٢: ٤: "فحزنت حنّة جدًّا، لكنّها خلعت عنها ثياب الحداد، وغسلتْ رأسها، وارتدتْ ثيابَ عرْسٍ. وحوالى الساعة التاسعة من بعد الظهر، نزلت إلى الحديقة لتتمشّى هناك، فرأت شجرة غار، فجلست تحتها، وصلّت إلى الكلّيّ القدرة قائلةً: يا إله آبائنا، باركني واسمع استغاثتي، كما باركتَ رحمَ سارة وأعطيتَها ابنًا، هو إسحقَ".

التعليق:

٢: ١:

في غضون ذلك كانت حنّة زوجتُه ترثي رثاءً مضاعَفًا، وتسكب النفسَ في تأوّه مضاعَفٍ قائلة: سوف أبكي ترمّلي، كما أبكي أيضًا عقمي".

"**حنّة**": يعني اسمُها "النعمة" و"الجمال". يذكّر اسمُ امرأة يواكيم، "حنّة"، باسم أمِّ صموئيل. مجمل هذا المقطع هو على طراز سفر صموئيل الأوّل. لدينا ثلاث نساء في الكتاب المقدّس يحملن هذا الاسم: والدة صموئيل، زوجة ألقانة، وكانت عاقرًا (١ صم ١: ٢٠)؛ زوجة رجوئيل، نسيبة طوبيّا (طو ٧: ٢)؛ أخيرًا النبيّة حنّة في لو ٢: ٣٦–٣٨. تبكي حنّةُ ترمُّلَها لأنّها تعتقد أنّ يواكيم قد مات أو أنّه اختفى بشكلٍ نهائيّ.

يُذكِّر اسم زوجة يواكيم باسم أمِّ صموئيل. كلّ هذا المقطع، كما هو بيّنٌ، مُصاغ على مثال بداية ١ صم ١: ١–٢ي: "كانَ رجُلٌ من رامَتايمَ صُوفِيمَ من جبلِ أَفْرَايِمَ اسمُهُ أَلْقانةُ...، ولهُ امرأتان، اسمُ الواحدة حَنَّةُ، واسمُ الأُخرى فَنِنَّةُ. وكانَ لِفَنِنَّةَ أَولادٌ، وأمّا حَنَّةُ فلم يَكُنْ لها أولادٌ...".

٢: ٢:

"**يهوديت**"، "**يهوستينه**"؟ (Justhiné): هناك اختلاف كبير بين المخطوطات حول كتابة اسم خادمة حنّة؛ الصيغة "يهوديت" التي يعتمدها معظم الناشرين والمترجمين هي الأقلّ إثباتًا. كانت يهوديت على الأرجح خادمة حنّة، تصنع أثوابًا، ولا يُستبَعَد أن يكون مكان عملها في بيت يواكيم الغنيّ جدًّا (رج ١: ١).

"**إلى متى تستسلمين للحزن**"/"**إلى متى تذلّين نفسك؟**"/"**إلى متى تجعلين نفسَك تعاني؟**"، أي إلى متى تتركين نفسك فريسة اليأس؟ (رج سفر يهوديت). نقرأ في مز ٣٥: ١٣: "وأنا عندَ مرضهم كانَ لباسي مِسْحًا، كنتُ بالصّوم أُذَلِّلُ نَفْسي، وَكانت صَلاتي إلى باطني تَعود"؛ ونقرأ في أش ٥٨: ٣: "يقولونَ: لماذا صُمْنا وَلَمْ تنظرْ، ذَلَّلْنا أَنْفُسَنا وَلَمْ تُلاحظْ؟ ها إنّكم في يوم صومكم تُوجِدُونَ مسرّةً، وبكلِّ أشغالِكم تُسَخِّرونَ"؛ رج أيضًا أش ٥٨: ٥، ١٠.

"**عُصابة الجبين أو الشعر**": "فقالت يهوديت الخادمة لحنّة،: خذي إذًا هذه العُصابة وزيِّني رأسك". المقصود هو شريط من القماش قليل العرض، يُطوى غالبًا إلى اثنين باتّجاه الطول. يُذكّر هذا الإكليل بالذي كان يزيّن تاج الملوك الفُرْس، وبشريط الملوك الهلّينيّين الذي نجده مزيَّنًا أحيانًا بالحجارة الكريمة عند الأباطرة الرومان. هذا ما قد يُفسّر الطابع الملوكيّ لهذه الصفة التي كانت تشكّل جزءًا من اللبّاس النسائيّ المعتاد.

٢: ٤:

"**لم أفعل هذه الأشياء**": استعمال الماضي مُربك. حاول المترجمون أن يشرحوا أنّه يجب فهمه وكأنّه حاضر، وترجمة الجملة كما يلي: "لا أفعل شيئًا من هذا، لأنّ الله أذلّني". قد لا تقوم حنّة إذًا إلاّ برفض عرض عصابة الجبين، معطيَة حجّة على ذلك إذلالَ الربّ لها، ومصدرَ عصابة الجبين المشكوك بأمرها.

الترجمة السريانيّة التي فهمت جيّدًا بنية المقطع المتصالبة (X = chiastique)، أوضحت أنّ هذه الأشياء

تدلّ على الخطايا: "إبتعد عنّي، وبالرغم من أنّي لم أقترف هذه الخطايا، فإنّ الله أذلّني". تحتجّ حنّة إذًا وتؤكّد أنّ لا غبار على سلوكها، ومع هذا فلم يجلب لها سوى الإذلال، كما أيضًا زوجها الذي كان يأتي بتقدمَتَيْن، ولم يكن يحصد سوى الازدراء.

"**أذلّتني بشدّة**": أنظر أش ٦٤: ١١: "أَعلى هذا تَضبطُ نفسَكَ، يا رَبّ، وتَصمُتُ وتُذَلِّلُنا كَثيراً؟"؛ راع ١: ٢١: "لماذا تَدْعُونَني نُعْمي، وَالرَّبُّ قَدْ أَذَلَّني؟".

"**أي شرٍّ عليّ** أن أتمنّى لك طالما أنك لم تسمعي صوتي؟": بالنسبة إلى امرأة لا يمكن أن يكون هناك مأساة أكبر من عقمها الذي تعتبره يهوديت طبيعيًّا بمثابة عقاب إلهيّ، كما نقرأ في ١ صم ١: ٦: "لقد أغلق الله حشاكِ".

٢: ٤:

"**وحزنت حنّة جدًّا**": استُعملتْ العبارةُ ذاتها في ١: ٤ لوصف حزن يواكيم: "استولى عليه حزن عظيم". رج حزن خادمة سارة.

"**ثياب الحداد**": أنظر يهوديت ١٠: ٣: "ألقتْ عنها المِسْحَ الَّذي كانت ترتديه، وخلعتْ ثيابَ إرمالها".

"**التاسعة**": هي الساعة الثالثة من بعد الظهر، الساعة المناسبة للصلاة (رج أع ٣: ١؛ ١٠: ٣، ٣٠)، وعند ذاك يحصل المشهد.

"**ونزلت إلى الحديقة**": أنظر دا ١٣: ٧: "وكانت سوسنة، متى انصرف الشعب عند الظهر، تدخل وتتمشّى في حديقة رَجُلِها". لكن، استنادًا إلى النصّ الأثيوبيّ لإنجيل يعقوب [٤]، لم تنزل حنّة إلى الحديقة، بل ذهبت إلى الهيكل.

"**سارة**": كما فعل يواكيمُ زوجُها عندما تذكّر إبراهيم وهو في محنة، كذلك تتذكّر حنّةُ سارةَ، التي بَقِيَت عاقرًا حتّى في آخر أيّامها (رج تك ١٦).

الفصل الثالث : صيحة ألم

النصّ:

٣: ١: "وإذ رفعتْ عينيها إلى السماء، رأتْ عشَّ دُوريٍّ على الشجرة، عندها بكتْ في داخلها قائلةً:

آه! مَن وَلَدَني؟ أيّ حشًى كوّنَني؟ لقد أصبحتُ لعنةً أمامَ بني إسرائيل، مُهانةً، وباستهزاء طردوني من هيكل الربّ".

٣: ٢: "آه! مَن صرتُ أشبه؟ بالتأكيد ليس طيورَ السماء، فحتّى طيور السماء هي وَلُودٌ أمامكَ، يا ربّ.

آه! مَن صرتُ أشبه؟ بالتأكيد ليس وحوش البَرِّ، فوحوش البَرِّ هي وَلُودٌ أمامكَ، يا ربّ.

٣: ٣: "آه! مَن صرتُ أشبه؟ بالتأكيد ليس هذه الأمواه، فحتّى هذه الأمواه هي وَلُودٌ أمامكَ، يا ربّ.

آه! مَن صرتُ أشبه؟ بالتأكيد ليس هذه الأرض، فحتّى هذه الأرض تنتج ثمارَها في أوانها، وتباركُكَ، يا ربّ".

التعليق:

٣: ١:

"**وإذ رفعت عينيها إلى السماء**": نقرأ في أع ٧: ٥٥ أنّ "إسطفانوس شَخَصَ إلى السّماء وهو مُمتلئٌ مِنَ الرّوح القدُس، فَرأى مجدَ الله"؛ رج أع ١: ١٠؛ دا ١٣: ٣٥ (سوسنّة).

٣: ٢:

"**الطيور**": رج تك ١: ٢٨: "وتسلّطوا على أسماك البحر وطيور السماء"؛ مت ٦: ٢٦: "أنظروا إلى طيور السماء...".

"**الحيوانات**": رج تك ١: ٢٤: "... حيوانات دابّة...".

٣: ٣:

"**المياه**": رج تك ١: ٢٠ي: "لتعجَّ المياه عجًّا من ذوات أنفس حيّة...";

"**تعطي ثمارها**": رج مز ١: ٣: "تؤتي ثمرها في أوانه".

"**أسماكُها تباركُكَ**" [٥]: أنظر دا ٣: ٧٩: "باركي الرّبَّ، أيّتُها الحيتان، وجميعُ ما يَتَحَرَّكُ في المياه سَبِّحيه وارفعيه إلى الدّهور".

"**في أوانها**": أنظر مز ١: ٣: "فيكونُ كشجرةٍ مغروسةٍ عِنْدَ مجاري المياه، تُعطي ثمرَها في أوانِه".

(٤) Cf. M. CHAINE, *CSCO 39/40 lat. (script. Aeth. 22/23, aa. 1962/1963.*

(٥) بحسب *ÉAC*, 16, 2, p. 84، غير موجودة في نصّ ERBETTA.

الفصل الرابع: بشارة الملاك السارّة

النصّ

٤: ١: "وإذا بملاك الربّ قد وقف أمامها قائلاً لها: حنّة، حنّة، لقد استجابَ الربّ استغاثَتَك؛ فسوف تحبلين وتلدين، وسيُتَحَدَّثُ بنسلك في الأرض كلِّها. فقالت حنّة: حيٌّ هو الربّ إلهي! إذا أنجبتُ ذكرًا أو أنثى فسأقدّمه للربّ إلهي لكي يكون في خدمته طوال أيّام حياته".

٤: ٢: "وإذا بملاكَين قد وصلا وقالا لها: إنّ يواكيم زوجَك يصلُ مع مواشيه؛ فقد نزل ملاكٌ من عند الربّ نحوه وقال له: يواكيم، يواكيم، لقد استجاب الربّ استغاثَتَك؛ فانزلْ من هنا لأنّ حنّة امرأتَكَ قد حبلتْ في حشاها".

٤: ٣: "ونزل يواكيم، ودعا رعاتَه وأمرهم قائلاً: أحضروا إلي هنا عشرة حُمْلان بلا عيب ولا نقْص لتكون للربّ إلَهي؛ وأحضروا إليّ أيضًا اثني عشر عجلاً رخصًا، لتكون للكهنة وللسنهدريم؛ وأيضًا مئة جداء صغير لجميع الشعب".

٤: ٤: "وإذا بيواكيم قد أقبل مع المواشي، فوقفت حنّةُ عند الباب ورأتْه يصل، فركضتْ وتعلّقت بعنقه قائلةً: الآن أعرف أنّ الربّ الإله قد باركني جدًّا: ها إنّ الأرملةَ لم تَعُدْ أرملةً، وأنا العاقر قد حملتُ في أحشائي. وارتاح يواكيم في اليوم الأوّل في منزله".

التعليق:

يضع معظم المترجمين الحديثين مجملَ رواية البشرى ليواكيم على فم الملاكَيْن: "**وإذا بملاكَين أتيا**". يُفسِّر قسمٌ من التقليد المخطوط هذه الجملة بالطريقة ذاتها، مستبدلاً جملةَ "**كان ملاك الربّ قد نزل إلى يواكيم**" بـ"**كان ملاك الربّ قد نزل نحوه**".

٤: ١:

"**وإذا بملاك الربّ قد وقف أمامها**"[٦]. أنظر لو ٢: ٩: "وإذا ملاكُ الرَّبِّ وَقَفَ بهم"؛ أع ١٢: ٧: "وإذا ملاكُ الرَّبِّ أَقْبَلَ".

"**إنّ الله قد استجابَ استغاثَتَك**". أنظر لو ١: ١٣: "قالَ الملاكُ لزكريَّا: إنَّ طِلبَتَكَ قد سُمِعَتْ".

"**ستلدين**". أنظر لو ١: ١٣: "قالَ له الملاكُ: امرأتُكَ أَليصاباتُ سَتَلِدُ لكَ ابنًا"؛ رج تك ١٦: ١١: "وقالَ لها ملاكُ الرَّبِّ: ها أَنتِ حُبلى، فَتَلِدينَ ابنًا"؛ قض ١٣: ٣: "فتراءى ملاكُ الرَّبِّ للمَرأة وقالَ لَهَا: ها أنت عاقرٌ لم تَلِدي، ولكنَّك تحبلينَ وتلدينَ ابنًا"؛ آ ٥: "فها إنَّكِ تحبلينَ وَتَلِدينَ ابنًا"؛ آ ٧: "وقالَ لي: ها أنت تَحْبَلِينَ وتَلِدينَ ابنًا"؛ ١ صم ١: ٢٠: "فكانَ في انقضاءِ الأَيَّام أَنَّ حَنَّةَ حَمَلَت وَوَلَدَت ابنًا".

"**وسيُتَحَدَّثُ بنسلك في الأرض كلِّها**"[٧]: رج مت ٢٤: ١٤: "ويُكْرَزُ ببشارةِ الملكوت هذه في كُلِّ المسكونة شهادةً لجَميع الأمم"؛ رج مت ٢٦: ١٣: "الحقَّ أَقولُ لكم: حيثما يُكرَز بهذا الإنجيل في كُلِّ العالَم، يُخْبَر أيضًا بما فَعَلَتْهُ هذه تذكارًا لها".

"**حيٌّ هو الربّ إلهي**": أنظر قض ٨: ١٩: "حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ"؛ ١ صم ١: ٢٦: "وقالتْ: حَيَّةٌ هي نفسُكَ، يا سيِّدي".

"**فسوف أقدّمه للربّ إلهي**": أنظر ١ صم ١: ١١: "ونَذَرَت نَذْرًا وقالت: يا ربَّ القوّات، إن أنتَ نَظَرتَ إلى بُؤس أَمَتك وذَكَرتَني، ولم تَنسَ أَمَتَك، وأَعطيتَ أَمَتَكَ مَولودًا ذَكَرًا، أُعطِه للرَّبِّ لكلِّ أَيَّام حَياته، ولا يَعْلو رَأسَه موسىً".

"**لكي يكون في خدمته طوال أيّام حياته**": أنظر ١ صم ١: ٢٨: "ولأجل ذلك وَهَبتُه للرَّبّ، فيكونُ عارِيَةً كُلَّ أَيَّام حَياته"؛ ٢: ١١: "وذهبَ أَلْقانةُ إلى الرّامة إلى بيته، وكانَ الصَّبيُّ يَخْدِمُ الرَّبَّ أمامَ عالي الكاهن".

"**إنّ الله سمع صلاتك**". أنظر لو ١: ١٣: "قالَ الملاكُ لزكريَّا: إنَّ طِلبَتَكَ قد سُمِعَتْ".

"**قد حَبِلَت**": هنا يضع عددٌ كبيرٌ من المخطوطات اليونانيّة وترجمات مختلفة (كما في ٤: ٤) الفعلَ في صيغة المستقبل، "**ستحبَل**"؛ لكنَّ تحليل هذه المخطوطات يدلّ على أنّ صيغة الماضي هي الأوفر حظًّا لأن تكون الأصليّة. لكنّ هذه القراءة، التي توصل إلى حَبَل عجائبيّ بمريم[٨]، قد رُفضت بسرعة. أنظر لو ١: ٣١: "وها أنتِ ستحبلينَ"؛

(٦) «طار نحوها» في ترجمة إسكندر شديد (مترجم)، **الأناجيل المنحولة**، دير سيّدة النصر، نسْبَيْه، غوسطا ١٩٩٩، ص ٣٤.
(٧) شديد، ص ٣٤.
(٨) أنظر ٥: ٢: «مرّت ستّة أشهر، وفي السابع ولدت حنّة... بنتًا... وأرضعت حنّة طفلتها، وأسمتها مريم».

تك ١٦: ١١: "وقالَ لها ملاكُ الرّبِّ: ها أنت حُبلى"؛ قض ١٣: ٣: "فتراءى ملاكُ الرَّبِّ للمرأة وقالَ لها: ها أنت عاقرٌ، ولكنَّك تحبلينَ"؛ آ ٥: "فها إنَّك تَحبلينَ"؛ آ ٧: "وقَالَ لي: ها أنتَ تَحْبَلينَ"؛ ١ صم ١: ٢٠: "فكانَ في انقضاء الأيّام أنَّ حَنَّةَ حَمَلَتَ وَوَلَدَت ابنًا، فدَعَته صموئيل، لأنَّها قَالت: مِنَ الرّبِّ التَمَستُه".

٤: ٤:

"**وكانت حنّة عند باب منزلها**" [٩]؛ حرفيًّا، "**عند أبواب المدينة**"؛ يدلّ التعبير على باب ضخم، وليس على باب بسيط للدخول إلى المنزل.

"**عاقرًا**". أنظر أش ٥٤: ١: "إهتفي أَيَّتُها العاقرُ الّتي لم تَلِدْ، إندَفعي بِالهُتاف واصرُخي أَيَّتُها التي لم تَتَمَخَّض، فإنَّ بَني المَهجورة أكثرُ من بني المتزوِّجة"؛ أش ٤٩: ٢١: "فتقولينَ في قَلبِك: مَن وَلَدَ لي هؤُلاء وأنا ثَكلى وعاقر ومجلوّة ومَنفيَّة؟".

الفصل الخامس: حنّة تحبل وتلد مريم

النصّ:

٥: ١: "وفي اليوم التالي، قدّم قرابينَه، مفكِّرًا في قلبه: إذا كان الربُّ الإله راضيًا عنّي، فلتُبيِّنْ لي ذلك رقاقةُ الكاهن. هكذا قدّم يواكيمُ قرابينَه، وفي غضون ذلك، كان يراقب رقاقةَ الكاهن، بينما كان يصعد إلى مذبح الربّ، ولكنّه لم يجدْ في نفسه أيّةَ خطيئة. عندها هتف قائلاً: الآن أنا متأكِّدٌ أنّ الربّ قد أضحى راضيًا عنّي، وغفر خطايا كلّها. ونزل يواكيم من هيكل الربّ مُبرَّرًا، وعاد إلى منزله".

٥: ٢: واكتملت أشهرُ حنّةَ الستّةُ، كما كان (الملاكُ) قد قال، وفي الشهر السابع وَضَعَتْ حنّةُ مولودًا، فسألت القابلةَ: ماذا أنجبْتُ؟ فقالت لها: أنثى. عندها هتفتْ حنّةُ قائلةً: اليوم تمجّدَتْ روحي". ولمّا تمّت الأيّام المحدَّدَة، تطهّرتْ حنّةُ، وأرضعَتِ الطفلةَ، وَسَمَّتْها مريم.

التعليق:

٥: ١:

"**فلتكن لي على ذلك علامة ظاهرة على رُقاقة حلّة الكاهن الأعظم**" [١٠]؛ ترجمة أخرى ممكنة: "**رقاقة الكاهن الذهبيّة**". كانت الرُقاقة صفيحةً ذهبيّة تُكتَب عليها عبارة: "مكرّس للربّ"، وكانت تُثبَّت على قبّعة الكاهن الأعظم الذي كان يعتمرها بمناسبة تقديم ذبائح التكفير عن "الخطايا المقترفة ضدّ المقدّسات"، أي كلّ تلك التي يقدّمها بنو إسرائيل ويقدّسونها. وتكون دائمًا على جبهته كي يستجلب عناية الربّ، كما يفيدنا خر ٢٨: ٣٦–٣٨: "وتَصنعُ صفيحةً من ذهبٍ نقيٍّ، وتنقشُ عليها نَقْشَ خاتم: قُدْسٌ للرَّبِّ. وتَضَعُها على خيطٍ أَسْمانْجُونيٍّ لتكونَ على العِمامة، إلى قُدَّام العمامة تكونُ، فتكونُ على جبهة هارونَ، فيَحمِلُ هارونُ إثمَ الأقداسِ التي يُقدِّسُها بَنُو إسرائيلَ، جميعِ عَطايا أَقداسِهِمْ. وتكونُ على جبْهته دائمًا للرِّضا عنهُم أمامَ الرَّبِّ". للرُقاقة الذهبيّة هنا وظيفة مَحدّدَة، ألا وهي أن توحي ليواكيم إذا ما كانت تقدماته قد قُبلت؛ فإمّا يُريه الربّ ذلك، وإمّا يتجلّى مجد الربّ بها.

"**وإذ هو مبَرَّرٌ، نزل من هيكل الربّ، عائدًا إلى بيته**" [١١]. أنظر لو ١٨: ١٤: "أقولُ لكم: إنَّ هذا نَزَلَ إلى بيته مُبرَّرًا دُونَ ذاك".

٥: ٢:

"**وانْطَوَت ستّة أشهر تقريبًا**". نقرأ في لو ١: ٣٦: "وهذا هو الشّهرُ السّادسُ لتلكَ المدعوّة عاقرًا"؛ أنظر أيضًا: لو ١: ٥٧: "فلمّا تَمَّ زمانُ ولادتها وَضَعَت ابنًا"؛ تك ٢٥: ٢٤: "فلمّا كَمَلَت الأمُ ولادَتها، إذا في بطنِها تَوأمان".

"**الشهر السابع**": الولادة هي علامة تدخّل الله المباشر. بحسب فيلون المنحول، في **كتاب العتيقات البيبليّة** [١٢]، يولد إسحق في الشهر السابع لحَبَل أمّه به (٢٣: ٨) [١٣]، بعد أن

(٩) شديد، ص ٣٤.
(١٠) شديد، ص ٣٥.
(١١) شديد: «ونزل مؤيّدًا من بيت الربّ، وأقبل إلى منزله».
(١٢) PSEUDO-PHILON, *Le livre des antiquités bibliques*; Charles PERROT, *Les antiquités bibliques*, Sources Chrétiennes, Cerf 1979.
(١٣) Cf. *Écrits testamentaires*, p. 1253 et 1298.

حُبِل به وفق الشرائع الطبيعيّة (٨: ٣). وكإسحق، مريم هي الطفلة المعجزة.

"**نفسي ابتهجت في هذه الساعة**". أنظر لو ١: ٤٦: "فقالتْ مريمُ: تُعظِّمُ نفْسي الرّبَّ، وتبتهجُ رُوحي باللهِ مخلِّصي".

"**وولدتْها**". أنظر لو ٢: ٧: "وَلَدَتِ ابنَها البِكْرَ".

"**وعند تمام الأيّام**": بعد إنجاب طفلة، تكون المرأة مدنّسةً لمدّة أسبوعين؛ أنظر لا ١٢: ٥: "وإنْ وَلَدَتْ أُنثى، تكونُ نَجسةً أسبوعَيْنِ كما في طَمْثِهَا". لا تبدأ حنّة بإرضاع طفلتها إلاّ بعد أن تطهر.

"**ودعاها**". أنظر مت ١: ٢٥: "ودعا اسمَهُ يسوعَ".

الفصل السادس: وليمة الفرح بمريم

النصّ:

٦: ١: "وكانت الطفلة تتقوّى يومًا بعد يوم. وعندما بلغت من العمر أشهرًا ستّة، وَضَعَتْها حنّةُ على الأرض لترى إنْ كانت ستبقى واقفة. وإذ خَطَتْ سَبْعَ خطوات، عادتْ إلى حضنِ أمِّها، التي احتضَنَتْها قائلةً: حيٌّ هو الربُّ إلهي، أنت لن تدوسي هذه الأرض حتّى أقتادكِ إلى هيكل الربّ. لذلكَ أعدّتْ معبدًا في غرفةِ نومها، ولمَ تَكُنْ تَدَعُ ما كان دنسًا أو نجسًا يصلُ إلى يدها. واستدعت بناتًا لا عيب فيهنّ من العبرانيّات ليعتنوا بها".

٦: ٢: "ولمّا أتمّت الطفلةُ السنةَ الأُولى، أقام يواكيم وليمةً عظيمةً دعا إليها الأحبارَ والكهنةَ والكتبةَ ومجلس الشيوخ وكلَّ شعبِ إسرائيل. وأحضرَ الطفلةَ إلى الكهنة، فباركوها قائلين: يا إله آبائنا، بارك هذه الطفلة، وهَبْها اسمًا عظيمًا خالدًا لمدى الأجيال. فأجاب الشعب كله قائلاً: فليكن كذلك، أمين. ثمّ أحضروها إلى عظماء الكهنة، الذين باركوها قائلين: يا إله الأعالي، إرْعَ هذه الطفلة بنظرك، وبارِكْها بركةً عظيمة لا بركةَ بعدها".

٦: ٣: "وحملتها أُمّها إلى معبد غرفة نومها، وأرضعَتْها. ثمّ أنشدَتْ حنّةُ للربّ الإله هذا النشيد:

"سأُنشد مديحًا لإلهي؛

فهو قد زارني، وأزال عنّي احتقار أعدائي.

ثمرةَ عدلِه أعطاني الربّ إلهي، ثمرةً فريدةً ومضاعفةً في حضرته.

مَنْ يُعلن لأبناء رأوبين أنّ لحنّةَ طفلاً؟ إسمعي، يا أسباط إسرائيل الاثني عشر كلّك، إعلمي أنّ حنّة تُرضِع".

ووضعت الطفلةَ في المكان الذي طهَّرته، وخرجتْ، وخدمت المَدعوّين؛ وحين انتهت الوليمة، خرجوا وملؤهم الفرح وأسموها "مريم"، وهم يمجّدون إله اسرائيل".

التعليق:

٦: ١:

"**وكان الطفل يترعرع ويتشدّد**". أنظر لو ٢: ٤٠: "وكانَ الصّبيُّ ينمو ويتقوَّى بالرّوح".

"**فلم تسمح بأن يأكلَ الطفلُ شيئًا نجسًا أو مدنَّسًا**". لغويًّا، "لم تكن تسمح قطّ أن يَدخُلَ فمَه نجسٌ أو دنسٌ". الإشارة هنا هي إلى الطفل الذي يجب ألاّ يأكل قطّ نجسًا أو دنسًا؛ أنظر أع ١١: ٨: "فقلتُ: كلاَّ يا رَبُّ! لأنّه لَم يَدخُلْ فمي قَطُّ دَنسٌ أو نَجسٌ"؛ أع ١٠: ١٤: "فقال بطرسُ: كلاَّ يا ربُّ، لأنّي لَم آكُلْ قَطُّ شيئًا دَنسًا أو نَجسًا".

"**عذارى العبرانيّين اللواتي كنّ بلا عيب**". يُظهر النصّ الفتيات، اللّواتي يظهرن من جديد في ٢: ٧، ليُدخلْنَ مريمَ إلى الهيكل، وكأنّهن فئة مميّزة، على مثال "العذارى المكرّسات المسيحيّات".

٦: ٢:

"**المأدبة العظيمة**". أنظر لو ٥: ٢٩: "وصَنَعَ لَه لاوي ضيافةً كبيرةً في بيته"؛ رج تك ٢١: ٨: "وصَنَعَ إبراهيمُ وليمةً عظيمةً يومَ فِطام إسحاقَ".

"**جميع الأجيال**". أنظر لو ١: ٤٨: "ها هي جميع الأجيال كلُّها تغبطُني منذ الآن".

٦: ٣:

"**أزال عنّي العار بين الناس**". أنظر تك ٣٠: ٢٣: "فَحَبِلَتْ وَوَلَدَت ابنًا فقالَتْ: قد نَزَعَ اللهُ عاري"؛ لو ١: ٢٥: "هكذا قد فَعَلَ بِيَ الرّبُّ في الأيّام الّتي فيها نَظَرَ إليَّ، لِيَنْزِعَ عاري بَيْنَ النّاسِ"؛ رج مز ١٠٢: ١٠: "إنّي قد أكَلْتُ الرّمادَ مِثْلَ

الخبز، وَمَزَجْتُ شرابي بدموع".

"ثمرة عدالته". أنظر أم ١١: ٣٠: "ثَمَرُ الصِّدّيقِ شجرةُ حياة، ورابحُ النُّفوسِ حكيمٌ"؛ ١٣: ٢: "من ثمرة فمه يأكل الإنسانُ خيرًا، ومرامُ الغادرينَ ظلمٌ"؛ عا ٦: ١٢: "هل تركضُ الخَيلُ على الصّخرِ؟ أو يُحْرَثُ عليه بالبقرِ؟ حتّى حَوَّلْتُمُ الحقَّ سمًّا، وثمرَ البرِّ أفْسَنْتينًا"؛ فل ١: ١١: "مَملوئينَ من ثمرِ البرِّ الّذي بيسوعَ المسيحِ لمجد الله وحَمْده"؛ يع ٣: ١٨: "وَثمرُ البرِّ يُزْرَعُ في السّلامِ من الّذينَ يَفْعَلُونَ السّلامَ".

"إعلمي أنّ حنّة تُرضع". أنظر تك ٢١: ٧: "وقالتْ: مَنْ قالَ لإبراهيمَ: سارةُ تُرْضِعُ بَنينَ؟".

"وأخذت تخدمهم". أنظر مت ٨: ١٦-١٥: "ولمّا جاءَ يسوعُ إلى بيتِ بطرسَ، رأى حماتَهُ مطروحةً ومحمومةً، فَلَمَسَ يدَها فَتَرَكَتْهَا الحُمَّى، فَقَامَتْ وَخَدَمَتْهُمْ"؛ رج أيضًا مر ١: ٣٠-٣١؛ لو ٤: ٣٨-٣٩.

الفصل السابع : مريم عند والديها ثمّ في الهيكل

النصّ:

مريم في عمر السنتين تبقى عند والديها

٧: **١** وتوالت الأشهر، وبلغت مريم الثانية من عمرها، فقال يواكيم لحنّة: "لنأْخُذْها إلى هيكل الربّ لنَفيَ النذر الذي نَذَرْنا، خشيةَ أن يرسلَ الكلّيُّ القدرة وينتزعها منّا، وتصبح تقدمتُنا غير مقبولة". لكنّ حنّة أجابت قائلةً: "لننتظر حتّى العام الثالث، بعدها لا تعود الطفلةُ تطلب الأب أو الأمّ". فقال يواكيم: "لننتظر."

مريم تبلغ الثالثة فتدخل الهيكل

٧: **٢** ولمّا بلغت الطفلةُ عامَها الثالث، قال يواكيم: "إستدعوا بنات العبرانيّين اللواتي بلا عيب، ولتأْخُذْ كلٌّ واحدة منهنّ مصباحًا، ينبغي أن يبقى مُشعَلاً، لئلاّ تلتفتَ الطفلةُ إلى الوراء، ولئلاّ يزوغَ قلبُها عن هيكل الربّ". فَصَنَعَتْ كذلك، حتى صعدوا إلى هيكل الربّ. واستقبلها الكاهن وقبّلها، وباركها قائلاً: "لقد عظّمَ الربُّ اسمَك في كلّ الأجيال، وفي آخرِ الأيّام سيُظهِرُ الله بواسطتك فداءَه لبني إسرائيل".

٧: **٣** ثمّ وضعَها على درجة المذبح الثالثة، فأرسل اللهُ نعمتَه عليها، فأخذتْ ترقصُ على رجلَيها، ارتعشت فرحًا ومحضَها كلُّ بيتِ إسرائيلَ حبَّه.

التعليق:

٧: **١**

يأخذ يواكيم بعين الاعتبار النذر الذي تتكلّم عليه زوجتُه حنّة. في ١ صم ١: ٢١-٢٣ ترفض حنّةُ أن تأخذ صموئيل إلى الهيكل قبل فطامه.

٧: **٢**

"سراج". أنظر لو ١٢: ٣٥: "لِتَكُنْ... سُرُجُكم مُوقَدَةً"؛ رج مت ٢٥: ١-٨.

"في كلّ الأجيال": أنظر لو ١: ٤٨: "فها منذُ الآنَ تُطَوِّبُني جميعُ الأجيالِ".

"آخر الأيّام": أنظر دا ٢: ٢٨: "عَرَّفَ المَلِكَ نَبُوخَذْنَصَّرَ ما يكونُ في الأيّامِ الأخيرة"؛ عب ١: ٢: "كَلَّمَنَا في هذه الأيّامِ الأخيرة في ابنه"؛ رج ١ بط ١: ٢٠: "معروفًا سابقًا قَبْلَ تأسيسِ العالَم، ولكن قد أُظْهِرَ في الأزمنة الأخيرة من أجلكم"؛ ٢ بط ٣: ٣: "سيأتي في أواخر الأيّام أناس يستهزئون استهزاء".

"المذبح الثالث": لا يهتمّ الإنجيل المنحول لمنع الدخول إلى المذبح الذي يطال ليس فقط النساء، بل الرجال الذين لا يعملون في خدمة الهيكل، فينظر بشكل طبيعيّ إلى مباركة الكاهن الأعظم للطفلة، وإلى إجلاسها وإقامتها في الهيكل. يُشار إلى المذبح الثالث بـ"السطيحة"، وذلك وفق الوصف الذي يعطيه حز ٤٣: ١٣-١٧.

٧: **٣**:

"وأنزل الله نعمته عليها": في ترجمة **برديّ بودمر ٥**، لدينا "وكانت نعمة الله تنزل عليها"؛ أنظر لو ٢: ٤٠: "وكانَ الصّبيُّ ينمو ويتقوّى بالرّوحِ، ممتلئًا حكمةً، وكانت نعمةُ الله عليه".

الفصل الثامن: في هيكل الربّ؛ إستدعاء الأرامل

النصّ:

٨: **١**: وعاد أبواها إلى بيتهما متعجّبَين ومسبّحَين الربَّ

الإله لأنّ الطفلةَ لم تلتفت إلى الوراء [١٤]. وكانت مريم تقيمُ في هيكل الربّ، مُعتَبَرةً كحمامة، وكانت تتلقّى الطعام من يد ملاك.

٨: **٢**: وعندما بلغت الثانية عشرة من عمرها، اجتمع الكهنة وقالوا: "ها هي مريم أمضت عشرة أعوام في هيكل الربّ ، فماذا نفعل في شأنها كي لا تدنّس هيكل الربّ؟ وكلّموا عظيم الكهنة هكذا: "إنّ مكانَكَ هو أمام هيكل الربّ؛ فادخل إذًا وصلِّ من أجلها، وما يُظهرُه الله لك، نمتثل له".

٨: **٣**: فأخذ عظيم الكهنة الرداء ذا الاثني عشر جُرَيسًا، ودخل قدس الأقداس، وصلّى لأجلها. وإذا بملاك الربّ ظهر له قائلاً: "زكريّا، زكريّا، أخرجْ واستدع أراملَ الشعب، وليُحضر كلٌّ واحد منهم عصًا، فتكون هَي زوجةً للذي يُظهِر له الربُّ آيةً". وخرج المنادون في منطقةِ اليهوديّة كلِّها، ودوّى بوقُ الربِّ، فهرع الجميع.

التعليق:

٨: **١**:

بعد الآن لن يعود هناك من ذكر لوالدَي مريم، فالطفلة ستصبح الشخصيّةَ الرئيسيّةَ في الرواية.

"**مسبّحين وممجّدين الله السيّد**": أنظر لو ٢: ٢٠: "ثمّ عاد الرعاة يمجّدون الله ويسبّحون...".

"**الحمامة**": تجمع الحمامةُ بين صورة التقدمة (أنظر لا ١: ١٤: "وإن كانَ قربانُه للرّبِّ مُحرقةَ طير، فَمِنَ اليمام أو من فراخ الحَمام يَكونُ قربانُه")، وبين الطهارةَ (أنظر مَت ١٠: ١٦: "كونَوا كالحمام صفاء"). تأكل مريم الطاهرة الشيءَ القليلَ كما الحمامة، لأنّ غذاءها سماويّ؛ رج مز ٧٨، ٢٥: "وأرسلَ إليهم زادًا حتّى شَبِعوا"؛ **إنجيل يعقوب التمهيديّ** ١: ٤: "صام يواكيم أربعين يومًا وأربعين ليلة، قائلاً في قلبه: لن أتناول طعامًا ولا شرابًا، وصلاتي ستكون طعامي الوحيد" [١٥].

"**لئلاّ تُدَنِّسَ هيكلَ الربّ**": يجعل الطمثُ المرأةَ نجسةً، كذلك كلّ ما تضّجع عليه، كما يقول لا ١٥: ١٩–٣٣: "وأيّةُ امرأة كانَ بها سَيَلان، أي سَيَلانُ دَم من جسدها، تَبقى سبعة أيّام في نجاسة طَمْثها، وكُلُّ مَن لَمَسَها يكونُ نَجسًا حتّى المَساء. وكُلُّ ما تَضّجعُ عليه في طَمْثها يكونُ نَجسًا، وكُلُّ ما تَجلسُ عليه يكونُ نَجسًا. وكُلُّ مَن مَسَّ مَضجَعَها يَغسِلُ ثيابَه، وَيستَحِمُّ في الماء، وَيكونُ نَجسًا حتّى المَساء".

"**وقال له الكهنة**": مخطوطات أخرى تقول: "وقالوا لعظيم الكهنة". نعلم من خلال الآية اللاحقة أنّ الشخص الذي يتوجّه إليه الكهنةُ يُدعى زكريّا.

"**قرب المذبح**": يتّخذ زكريّا مكانةَ رئيس الكهنة خلال التقدمة؛ أنظر ٢ أخ ٣٠: ١٦: "ووَقَفوا في مَواقفهم بِحَسَب ما رُسِمَ علَيهم، وَفقًا لشَريعَة موسى، رَجُلِ الله..."؛ بإمكان زكريّا بالتالي أن يتلقّى كلام الله.

"**الرداء المزيَّن باثني عشر جُرَيسًا**": تلميح إلى جبّة الاحتفال الوارد ذكرها في خر ٢٨: ٣٣–٣٥، المزيّنة برمّانات حمراء، وجُريسات ذهب، حيث عدد هذه الأخيرة ليس محدَّدًا.

"**زكريّا**": بالنسبة إلى **إنجيل يعقوب التمهيديّ**، زكريّا هو الكاهن الأعظم في تلك الفترة. نرى هذه المعلومة موسّعة في لو ١: ٥–٢٥. حول نهاية زكريّا، أنظر **إنجيل يعقوب التمهيديّ** ٢٢: ٢–٢٤.

"**ستصبح زوجته**": هدف البحث هو إيجاد زوج للفتاة الشابّة. عندما يتمّ اختيار يوسف (٩: ١)، سيأخذها تحت حمايته"، كما ورد في ٩: ٣ (أنظر ١٦: ١؛ "أعدْ هذه العذراء التي تقبَّلتها من هيكل الربّ"). مع هذا، يعرف **إنجيل يعقوب التمهيديّ** كذلك التقليدَ الذي، بالاستناد إليه، كانت مريم خطّيبته. يُلام يوسف لأنّه "سرق الزواج" (١٥: ٤: " لقد تزوّجتَها سرًّا وأخفيتَها عن أبناء إسرائيل")؛ وفي حواره مع القابلة (١٩: ١)، يُعلن يوسف أنّ مريم ليست زوجته بل خطّيبته: "وإذا بامرأة نازلة من الجبال قالت له: مَنْ هي تلك المرأة التي تلد في هذه المغارة؟ فأجاب: إنّها المخطوبة لي. وقالت: أليست زوجتك؟ فقال يوسف: إنّها

[١٤] اعتبارًا من هنا يغيب دورُ الأبوَين.
[١٥] أنظر **حياة آدم** (باللاتينيّة) ٤: ٢.

ليست زوجتي". ويتكلّم مت ١: ١٨ على مريم "الخطّيبة": "خُطِبَت أمُّه مريمُ على يوسف"؛ رج أيضًا لو ١: ٢٧.

الفصل التاسع: يوسف يتخوَّف ثمّ يقبل

النصّ:

٩: ١ وإذ رمى يوسف فأسَه، خرج للقائهم. ولمّا اجتمعوا، ومع كلٍّ منهم عصاه، مضَوا إلى عظيم الكهنة، فدخلَ ومعه عصيُّ الجميع إلى المعبد وصلّى. وعندما انتهى من الصلاة، خرج والعصيُّ معه وأعطاهم إيّاها، لكن لم تظهر أيُّ علامة فيها؛ واستلم يوسفُ عصاه آخرَ الكلّ، فإذا بحمامة تخرج منها، وتحطّ على رأس يوسف. عند ذاك قال الكاهن: "يوسف، يوسف، لقد تمّ اختيارُك لتأخذَ عذراءَ الربّ لتكون تحت حراستك".

٩: ٢ لكنّ يوسفَ رفضَ قائلاً: "لي أولاد وأنا شيخ، بينما هي فتيّة، وأخشى أن أكون عرضة لسخرية بني إسرائيل". فردّ الكاهن على يوسف بالقول: "إخشَ الربّ إلهك، وتذكّر ما فعله الله لداتان وأبيرون وقورح: لقد انفتحت الأرض وابتلعتهم بسبب عصيانهم. والآن إخشَ، يا يوسف، أن يحصل أمرٌ من هذا النوع في بيتك".

٩: ٣ وإذ تملّكت الرهبةُ يوسف، أخذها إلى خاصّته، وقال لها: "ها أنا قد تَلقّيتُك من هيكل الربّ؛ والآن أتركُك في بيتي، لأنّه عليّ أن أذهبَ خارجًا لأجل أعمالي في البناء، ثمّ أعود إليكِ، وفي هذه الأثناء يسهر الربُّ عليكِ".

التعليق:

٩: ١:

من دون الإشارة صراحة إلى مهنة يوسف، يبرزه **إنجيل يعقوب التمهيديّ** نجّارًا ذا مستوى عالٍ؛ فهو يبني بيوتًا، وفي ٩: ٣، يغيب عن البيت لإدارة بعضِ الورش. أنظر **متّى المنحول** ٣٧؛ **رواية يوسف النجّار** ٩؛ **رواية طفولة يسوع** ١٣.

"**العصيّ**": نجد نموذج هذا المشهد في عد ١٧: ١٦–٢٨: "فَإذا عصا هارونَ التي هي لبَيت لاوي قد أفرَخَت وبَرعَمَت وأزهَرَت وأنضَجَت لوزًا". مَن أفرخت عصاه، يكون بالتالي مختارًا من الربّ.

"**حمامة**": بدلاً من برعم، تخرج حمامة من العصا وتحطّ عليه: "لكنّه عندما أعاد إلى يوسف عصاه، خرجت منها حمامة، حطّت على رأس يوسف". كذلك ينزل الروح القدس على يسوع عند عماده، كما جاء في مت ٣: ١٦: "واعتَمَدَ يسوع وخَرجَ لوَقته منَ الماء، فإذا السَّماواتُ قد انفتَحَت، فرأى رُوحَ الله يَهبِطُ كأنَّه حَمامةٌ ويَنزلُ علَيه"؛ مر ١: ١٠: "وبينما هو خارجٌ منَ الماء رأى السّماوات تَنشَقّ، والرّوحَ يَنزلُ عليه كأنَّهُ حمامَة"؛ لو ٣: ٢٢: "ونَزَلَ الرّوحُ القدسُ عليه في صورة جسْم كأنَّهُ حمامَة"؛ يو ١: ٣٢: "وشَهدَ يوحنَّا قال: رَأيتُ الرّوحَ يَنزلُ منَ السّماء كأنَّه حمامة فيَستَقرُّ عليه".

"**إحفظ العذراء**". أنظر مت ١: ٢٠: "وما نَوى ذلك حتّى تراءَى له ملاكُ الرّبِّ في الحُلم وقالَ له: يا يوسفَ ابنَ داود، لا تَخَفْ أن تأتيَ بامرأتكَ مريَمَ إلى بيتِك، فإنَّ الّذي كُوِّنَ فيها هوَ منَ الرُّوحِ القُدُس".

٩: ٢:

"**أنا شيخ**": يوسف هو شيخ، كما زكريّا (رج لو ١: ١٨: "فأنا شيخٌ، وامرأتي طاعنةٌ في السنّ").

"**لي أولاد**". يقول **إنجيل يعقوب التمهيديّ** بأنّ ليوسف أولادًا من زواج أوّل؛ هكذا، وبطريقة مقتضبة تسمح بالتأكيد على بتوليّة مريم، يُفسَّر حضورُ إخوة يسوع وأخواته في الأناجيل؛ أنظر مت ١٣: ٥٥–٥٦: "أليسَ هذا ابنَ النّجّار؟ أليست أمُّه تُدعى مريم، وإخوتُه يعقوبَ ويوسفَ وسمعانَ ويهوذا؟ أوَليسَ جميعُ أخواته عندَنا؟ فمِن أينَ له كُلُّ هذا؟"؛ مر ٦: ٣: "أليسَ هذا النّجّارَ ابنَ مريم، أخا يعقوبَ ويوسَى ويَهوذا وسمعان؟ أوَليسَت أخواتُهُ عندَنا ههنا؟ وكانَ لَهم حَجَرَ عَثرَة".

"**داتان وأبيرام وقورح**": توصف ثورة زمرة قورح في فصل ١٦ من سفر العدد. يستجلب موسى عقاب الله، فتنفتح الأرض وتبتلع مناصري قورح معًا كما قائدهم (رج عد ١٦: ٣١–٣٢: "إنفَرِدَا عن هذه الجماعة لأنّي سأُفنيها في لحظَة. فسَقَطَا على وُجُهَيهما وقالاَ: "أللَّهُمَّ، يا إلهَ أرواح كُلِّ بَشَر، رَجُلٌ واحِدٌ يَخطأ، وعلى الجَماعَة كُلِّها تَغضَب؟".

٩: ٣:

"**وقَبِلَها يوسفُ تحت حمايته**". أنظر مت ١: ٢٤: "فلمّا قامَ

يوسفُ مِنَ النّوم، فَعلَ كما أَمرَه ملاكُ الرّبِّ، فأَتى بِامرأتِه إِلى بيتِه".

الفصل العاشر: لمريم الأُرجوان والقرمز

النصّ:

١٠: ١: وكان اجتماع للكهنة فقالوا: لنصنع حجابًا لهيكل الربّ. وأضاف الكاهن: إستدعوا إليّ العذارى اللواتي هنّ بلا عيب من سبط داود. فذهب الخدّام وفتّشوا، فوجدوا سبع عذارى. وتذكّر الكاهنُ أنّ الفتاةَ مريمَ كانت من سبط داود، وأنّها كانت بلا عيبٍ لأجل الله، فذهب الخدّام وأحضروها.

١٠: ٢: وأدخلوها الى هيكل الربّ، فتكلّم الكاهن كما يلي: أعلموني بالقرعة مَن سينسج الذهبَ والفضّةَ والصوفَ والحريرَ والأرجوانَ البنفسجيَّ والقرمزَ والأرجوانَ الخالص؟ فحصلتْ مريم على الأرجوان الخالص وعلى القرمز، فأخذتهما وذهبت الى بيتها. في هذا الوقت كان زكريا قد أضحى أبكم، فحلّ صموئيل مكانه إلى الوقت الذي عاد فيه زكريا يتكلّم. أمّا مريم فأخذت القرمز وراحت تحوكه.

التعليق:

ترفع هذه المحطّة مريم إلى أعلى مصافّ الفتيات الطاهرات الإسرائيليّات اللّواتي نلنَ شرف نسج حجاب الهيكل. كما تأخذ أيضًا وجهة معاكسة للتقليد الذي حفظه شلسيوس (Celse) الذي يجعل من مريم حائكة مسكينة، وامرأة من تلك الأرض، مقتنعة بأنّها زانية طردها زوجُها، الذي كان يمتهن النجارة [١٦].

١٠: ١:

"لنصنع حجابًا": من المحتمل أن يكون المقصود هو الحجاب الذي كان يفصل القدس عن قدس الأقداس، كما نقرأ في خر ٢٦: ٣١: "واصنَعْ حجابًا من برفير بنفسجيٍّ وأُرجُوان وقُماش قِرمزيّ وكَتّان ناعم مَفتول، صُنْعَ فنّان يُصنَعُ بِكروبين". استنادًا إلى **المِشْنَه**، يُنسَج كلّ سنة حجابانِ على يد اثنتَين وثمانين فتاة [١٧].

"قبيلة داود": يضع **إنجيل يعقوب التمهيديّ** نسلَ مريم الداوديّ في المقدّمة؛ أنظر لو ١: ٢٦–٣٢: "أرسل الله الملاك جبرائيل إلى... عذراءَ مخطوبة لرَجُل من بيت داودَ اسمُهُ يوسف... فستحملينَ وتلدينَ ابنًا، فسَمِّيه يَسوع...، وسيُوليه الرّبُّ الإلهُ عرشَ أبيه داود" (آ ٢٧)؛ لو ٢: ٤: "وصَعدَ يوسفُ أيضًا من الجليل من مدينَة النّاصرة إلى اليهوديَّة إلى مدينة داودَ الّتي يُقالُ لَها بيتَ لَحم، فَقد كَانَ من بيتِ داودَ وعَشيرته"؛ مت ١: ٢٠: "وما نوى ذلك حتَّى تَراءى لَه ملاكُ الرّبِّ في الحُلم وقالَ له: "يا يوسفَ ابنَ داود، لا تَخَفْ أَن تأتيَ بامرأتَكَ مريَمَ إلى بَيتكَ". لكنّنا نحن نعلم أنّه لم يكن هناكَ من "قَبيلة لداود" في إسرائيل.

"ووُجدت سبع من تلك العذارى": يعطي التقليدُ المخطوطُ والترجماتُ أرقامًا عدّة، أهمّها الرقم "سبعة"، تحاول كلّها أن تحوّل معضلةَ توزيع المهمّات المنسوبة إلى الفتيات: من جهة، هناك "سبع" مهَمّات للتوزيع، ومن جهة ثانية، هناك "سبع" فتيات تُضاف إليهنّ مريم، التي تتسلّم وحدها عملَين.

١٠: ٢:

"خيط ذهب، وخيط ناريّ، وكتّان، وحرير، وخيط أزرق، وقرمز، وبرفير حقيقيّ": العدد هنا هو سبعة؛ تَرِدُ هنا في **إنجيل يعقوب التمهيديّ** أربعةٌ من الموادّ المذكورة في نصوص سفر الخروج (أنظر خر ٢٦: ٣١، ٣٦؛ ٣٥: ٢٥؛ ٣٦: ٣٥، ٣٧). يضيف عليها الإنجيل المذكور "الذهب والخيط الناريّ والحرير".

"عندها أصبح زكريّا أبكم": تذكير وجيز بأحداث يُخبر عنها لو ١: ٥–٢٥، ٥٧–٧٩. يفقد زكريّا النطق، كما يخبر لو ١: ٢٠: "وسَتَظَلُّ صامتًا، فلا تستطيعُ الكلامَ إلى يومَ يَحدُثُ ذلك، لأَنَّكَ لم تُؤمِنْ بأقوالي وهي سَتَتِمُّ في أوانها"؛ لن يستعيد زكريّا النطقَ إلّا بعد ولادة ابنه، وبالتحديد عند ختانة هذ الأخير، وإعطائه اسمًا، كما يقول لو ١: ٦٤: "فانفتحَ فمُه لوقته وانطلقَ لسانُه، فتكلّمَ وبارَكَ الله". بطريقة ماهرة، يُدخل **إنجيل يعقوب التمهيديّ** هكذا ثالث زوجَين

(١٦) ORIGÈNE, *Contre Celse* 1,28.
(١٧) **المِشْنَه**، شقليم، ٨: ٥.

هامَّين لتاريخ الخلاص: بين يواكيم وحنّة، من جهة، ومريم ويوسف، من جهة ثانية، يُدرَج زكريّا وأليصابات، والدَا يوحنّا المعمدان.

"**صموئيل**": في عدد لا بأس به من المخطوطات، يُدعى مَن يحلّ موقّتًا مكان زكريّا "سمعان". في الواقع، هو سمعانُ الذي سيأخذ مكانَ زكريّا بعد موته: "وبعد تلك الأيّام الثلاثة، اجتمع الكهنة لينتخبوا واحدًا مكانه، فحلَّت القرعة على سمعان" (**إنجيل يعقوب التمهيديّ** ٢٤: ٤).

الفصل الحادي عشر: بشارة مريم بابن الله

النص:

١١: ١: وتناولتْ جرَّةً ومضت تستقي ماءً، فإذا بها تسمع صوتًا يقول: "السلام عليك، يا مريم، يا مملوءة نعمة، الربّ معك: مباركة أنت بين النساء". وكانت تنظر يمنةً ويسرةً لتعرف من أين يأتي ذلك الصوت. وإذ تملّكتْها الرهبة، عادت إلى بيتها، ووضعت الجرَّة، ثمّ تناولت الأرجوان، وجلست على مقعدها تكمل الحياكة.

١١: ٢: وفجأةً وقف ملاكٌ إزاءَها وقال: "لا تخافي بعد الآن، يا مريم، فلقد وجدتِ حظوةً لدى ربِّ الجميع، وستحملين بكلمته". وإذ سمعتْ مريم بهذا الأمر، تملّكتها الحيرة في نفسها، وقالت: "إذا حبلتُ بفعل الربّ، الإله الحيّ، هل ألدُ كما كلُّ امرأة؟".

١١: ٣: فقال لها ملاكُ الربّ: "لن يكون الأمر كذلك، يا مريم، لأنّ قدرةَ الله تظلِّلُك، والكائن الذي سيولد منك سيُدعَى قدّوسًا، ابنَ العليّ، وتَدْعينَهُ يسوع؛ فهو في الواقع سيخلّصُ شعبه من خطاياه". فأجابت مريم: "ها أنا في حضرته أمَة الربّ، فليكن لي بحسب كلامكَ".

التعليق:

أنظر لو ١: ٢٦–٣٨.

تجري بشارة مريم على مراحل ثلاث:

١) دعا صوتٌ مريمَ في البستان مبشِّرًا إيّاها بأنّها قد نالت نعمة من الله (أنظر لو ١: ٢٨: "فدَخَلَ إليها فقال: "إفرحي، أيّتُها الممتلئةُ نعمةً، الرّبُّ معكِ"؛ لو ١: ٤٢: "فَهَتَفَت بأعلى صوتها: "مباركةٌ أنت في النّساء، ومباركةٌ ثمرةُ بطنِكِ"). عندها انسحبت مريم إلى بيتها.

٢) فيما كانت مريم تنسج، ظهر ملاكٌ بقربها، وبشّرها بأنّها ستحبل بكلمة سيّد كلّ شيء (أنظر لو ١: ٣٠–٣١: "فقالَ لها الملاك: "لا تَخافي يا مريَم، فقد نلتِ حُظوةً عندَ الله، فستحمِلينَ وتَلدينَ ابنًا، فسَمِّيه يسوع").

منذ ذهابه من الواضح أنّه سيكون لها حَبَلٌ بابن بطريقة غير مألوفة. ولكن كيف يمكن تفسير هذا الحبَل "من كلمته"؟ تتفحّص مريم والقارئون معها هذه المسألة. ويضع أيضًا قسمٌ كبيرٌ من التقليد المخطوط على فم مريم السؤال التالي: "هل أحمل من الربّ الإله الحيّ، وألد كما تلد كلّ امرأة ؟". يعتقد واضعو هذه المخطوطات أنّ الحبل العجائبيّ الذي نالته مريم، يقودها إلى التساؤل حول ما سيجري عندما تلد؛ لكنّ هذا التصحيح يعجز عن فرض ذاته، لأنّ جواب الملاك يفسِّر العبارة "حُبِل به من كلمته".

٣ – يوضح الملاك أنّ المقصود هو "قوّة الله" (أنظر لو ١: ٣٥: " فأجابَها الملاك: "إنَّ الرُّوحَ القدُسَ سَينزلُ عليك، وقدرةَ العليِّ تظلِّلك، لذلكَ يكونُ المولودُ قدّوسًا وابنَ الله يُدعى")؛ ولاحقًا سيُقال إنّ الثمرة التي تحملها مريم في بطنها هي من الروح القدس: "وإذا بملاك الربّ يظهر له أثناء نومه، ويقول له: لا تخشَ الاحتفاظ بهذه المرأة، فمَنْ سيولد منها هو من عمل الروح القدس" (**إنجيل يعقوب التمهيديّ** ١٤: ٢؛ رج مت ١: ٢٠–٢١)؛ "فقال يوسف: إنّها ليست زوجتي، بل هي مريم التي ربيت في هيكل الربّ وحبلت من الروح القدس" (**إنجيل يعقوب التمهيديّ** ١٩: ١). إنّ الفكرة التي وَفْقَها الروح الذي ينزل على مريم ما هو إلاّ الكلمة، وأنّ هذه الأخيرة هي مصدر التجسّد، هي شائعة جدًّا في الكنيسة القديمة [١٨].

١١: ٢

"**راحت تتفحّص هذه الكلمات**": الفعل المستَعمَل هنا هو

(١٨) JUSTIN, *Première apologie*, 33 et 46; TERTULIEN, *Contre Praxéas*, XXVI; CLÉMENT d'AIALEXANDRIE, *Stromates*, V, 13, 16.

قريب من الفعل الذي يستعمله لو ١: ٢٩: "وساءلت النفْسَ" (dielogizeto) [١٩]، أي "ميّز فكريًّا في حوار داخليّ"، ولكنّه يضيف أيضًا مفهومَ شكٍّ: "فَحْصٌ بهدف اتّخاذ قرار"، أو "تَرَدُّد".

١١: ٣

"**قوّة الله تظلّلك**": تُستَعمَل العبارةُ ذاتُها لاحقًا في ١٩: ٢ عند مولد يسوع، حيث يُقال: "وكانت غمامةٌ مضيئةٌ تغطّي المغارةَ بظلّها". أنظر لو ١: ٣٥: "قوّةُ العليِّ تظلِّلُك".

"**ابن العليّ**": أنظر لو ١: ٣٢: "وابنَ العليِّ يُدعَى".

"**يسوع**": أنظر مت ١: ٢١: "وستَلِدُ ابنًا فسَمِّه يسوع".

"**بحسب كلمتك**": أنظر لو ١: ٣٨: "فَليَكُنْ لي بحسبِ قَولِكَ".

الفصل الثاني عشر: مريم تزور أليصابات

النصّ:

١٢: ١ وكانت مريم قد أكملت حياكة القماش الأرجوانيّ، فأحضرته إلى الكاهن، وباركها الكاهن وقال لها: الربّ قد عظّم اسمك، وجميع شعوب الأرض تطوّبك: "يا مريم، إنّ الربّ قد عظّم اسمك، وستباركُك أجيالُ الأرضِ كلُّها".

١٢: ٢ وإذ شعرت مريم بحبور عظيم، مضت إلى عند أليصابات نسيبتها، وطرقت الباب؛ سمعت أليصابات، رمت القرمز من يدها، وركضت إلى الباب وفتحته. وإذ رأت مريم باركتْها قائلةً: "من أين لي أن تأتي أُمُّ ربّي إليّ؟! فلقد اختلج الجنين الذي في داخلي وباركَكِ". لم تتذكر مريمُ الأسرارَ التي كان رئيسُ الملائكة جبرائيلُ قد كلّمها عنها. فرفعتْ عينَيها إلى السماء وقالت: "مَنْ أنا، يا ربّ، لتباركني الأجيال كلُّها (لو ١: ٤٨)؟".

١٢: ٣ وبقيت مع أليصابات ثلاثة أشهر، وكان بطنها يكبر يومًا فيومًا، فاستولى عليها الخوف، فعادت إلى بيتها، وأخفتْ نفسَها عن أنظار بني إسرائيل، وكانت في السادسة عشرة من العمر عندما حصلت هذه الأمور الغامضة.

التعليق:

رج لو ١: ٣٩–٥٦. لا تُعْلَن الزيارة كما في لو ١: ٣٦.

لا يجري الإعلان عن زيارة مريم لأليصابات (رج لو ١: ٣٩–٥٦: "وفي تلك الأيّام قامَت مريمُ فمَضَت مسرعةً إلى الجبل إلى مدينة في يهوذا، ودَخَلَت بيتَ زكريّا، فسَلَّمَت على أليصابات..."، كما في لو ١: ٣٦، حيث يُعلِمُ الملاكُ مريمَ أنّ نسيبتَها أليصابات العاقر هي حبلى، وأنّها في الشهر السادس لحَبَلِها: "وها هي نسيبتك أليشَبَعُ حاملةٌ بابنٍ أيضًا في شيخوختها، وتلك التي كانت تُدعَى عاقرًا هي في شهرها السادس".

١٢: ١

"**ستكونين مباركة**": أنظر لو ١: ٤٢: "فَهَتَفَت بأعلى صَوتِها: مُبارَكَةٌ أنتِ في النِّساء! ومباركةٌ ثمرةُ بطنِكِ".

"**في كلّ الأجيال**": أنظر لو ١: ٤٨: "لأنّه نَظَرَ إلى أمَتِه الوضيعة. سَوفَ تُطوّبني بَعدَ اليومِ جميعُ الأجيال".

١٢: ٢

"**القرمز**": بدّلَ العديدُ من الشهود كلمةَ "قرمز" بكلمة "صوف" أو بكلمة "عملها" لعدم قبولهم بأن تكونَ أليصابات، زوجة زكريّا وأمّ يوحنّا المعمدان، تشتغل القرمز كالفتيات العذارى اللواتي من نسل داود.

"**كانت مريم قد نسيت الأسرار**": في **إنجيل يعقوب التمهيديّ** ٢٢: ٣ تؤكّد مريم بالطريقة عينها أنّها لا تعرف أصل الثمرة التي في أحشائها. في كلّ مرّة يجعل هذا السهوُ القصّةَ تطفر من جديد. بفضل هذا الصمت (رج لو ٢: ١٩: "وكانت مريمُ تَحفَظُ جميعَ هذه الأمور، وتتأمّلُها في قلبها"؛ آ ٥١: "وكانت أُمُّه تَحفظُ تلكَ الأمورَ كلَّها في قلبها")، يمكن هذه الحقيقة التي يتبيّنها القارئ المطّلِعُ أن تنكشف بتألّقٍ أكبر (أنظر ١٩: ٢).

"**جبرائيل**": في رواية بشارة العذراء مريم، كان الأمر يتعلّق مرّةً واحدة "بصوت"، ومرّتَين "بملاك". يجري إدراج

(١٩) **الترجمة الكاثوليكيّة**: «وسألَت نَفسَها»؛ ترجمة فان دايك: «وَفَكَّرَتْ».

اسم جبرائيل هنا وكأنّه يُفتَرَض بالقارئ أن يعرفه. في لو ١ : ٢٦ يُعطى اسمُ الملاك منذ بداية رواية البشارة :"وفي الشّهر السّادس، أرسَلَ الله الملاكَ جبرائيلَ إلى مدينةٍ في الجليلِ اسمُهَا النّاصرَة".

"**الأجيال كلّها**": لدينا بحسب مخطوط **بودمر ٥** "النساء كلّهنّ". أنظر لو ١ : ٤٨ : "لأنّه نَظَرَ إلى أمَته الوضيعة، سَوفَ تُهنِّئُني بَعدَ اليومِ جميعُ الأجيال".

الفصل الثالث عشر: يوسف يعود ويجد مريم حبلى، فيقع في حزن شديد

النصّ:

١٣ : ١: وكانت في الشهر السادس، فإذا بيوسف يعود من عمله في البناء. وإذ دخل البيت، وجدها حبلى، فلطم وجهه، وانطرح أرضًا على المسْح، وانفجر باكيًا بمرارة قائلاً: بأيِّ وجه سأتجرّأ وأنظر إلى الربّ إلهي؟ وبأيّة صلاة أتفوّهُ من أجلِ هذه الفتاة؟ لقد أخذتُها من هيكل الربّ إلهي عذراءَ، ولم أحرسْها! مَن خدعني؟ مَن ارتكبَ جُرْمًا في بيتي؟ مَن أغوى العذراء ودنّسها؟ أتتكرّر قصّةُ آدم في حالتي؟ فكما كان آدم في ساعة صلاته، عندما جاءت الحيّةُ، ووجدت حوّاءَ بمفردها، فأغوتها ودنّستها، هكذا حصل لي أنا أيضًا.

١٣ : ٢: ونهض يوسفُ من فوق المسْح، واستدعى مريم، وقال لها : أنت ، موضوع عناية خاصّة مَن قِبَل الربّ، كيف فعلت هذا؟ أنَسَيْت بالتالي الربَّ إلهَك؟ لماذا جعلت نفسَك حقيرةً/دنيئةً/خسيسةً، أنتِ التي كبرتِ في قدس الأقداس، وغُذيتِ بيد الملاك؟

١٣ : ٣ أمّا هي فقد انفجرت باكيةً بكاءً مرًّا قائلةً: "أنا طاهرة، ولم أعرف رجلاً." فأجابها يوسف: "كيف يُفَسَّرُ ما عندك في حشاك؟ ومن أين السبب إذًا في أنّك حبلى؟". فأجابتَ: "حيٌّ هو الربُّ إلهي؛ أنا لا أعلم كيف حصل هذا الأمر لي".

التعليق:

١٣ : ١:

"**وانطرح أرضًا على المسْح**": يجري استعمال ثوب الحداد كفراش. أنظر **أش ٥٨ : ٥**: "أهكذا يكونُ الصّومُ الذي فَضَّلتُه، اليومُ الذي فيه يُعَذِّبُ الإنسانُ نَفْسَه؟ أإذا حَنى رأسَه كالقَصَب، وافتَرَشَ المِسحَ والرَّماد، تُسَمِّي ذلكَ صَومًا ويَومًا مَرضِيًّا للرّبّ؟".

١٣ : ٢:

"**قصّة آدم**": تلميح إلى تفسير خطيئة حوّاء، الذي نجده في **ترجوم يوناتان المنحول** حول تك ٤ : ١: "وعَرَفَ آدمُ حَوَّاءَ أمرَاتَه التي [أو: "عرف آدمُ أنّ حوّاءَ امرأتَه"] كانت حاملاً من صَمَّائيل/شمَّائيل، ملاك الربّ" (٢٠).

"**حوّاء وحدها**": أنظر: **تك ٣: ١٣**: "فقالَ الرّبُّ الإلهُ للمرأة: ماذا فَعَلت؟ فقالَت المَرأة: "الحيّةُ أغوَتْني فأكَلتُ"؛ **٢ كو ١١ : ٣**: "ولكنّي أخشى عليكُم أن يكونَ مَثَلُكم مَثَلَ حوّاءَ الّتي أغوَتْها الحيّةُ بحيلتها، فتَفسُدَ بصائرُكُم وتَتَحوَّلَ عن صفائها لدى المسيح"؛ **١ تم ٢ : ١٤**: "ولَم يُغْوَ آدَم، بل المَرأةُ هي الّتي أُغوِيَت فوَقَعَت في المعصية".

"**لا أعرف رجُلاً**". أنظر **لو ١ : ٣٤**: "فقالَت مريمُ للملاك: كيفَ يكونُ هذا ولا أعرِفُ رجُلاً؟".

الفصل الرابع عشر: الملاك يظهر ليوسف

النصّ:

١٤ : ١ وخاف يوسفُ جدًّا، وابتعد، وراح يفكّرُ ما عساه يفعلُ بها قائلاً: "إذا أخفيتُ خطيئتَها، فسوف أجدُ ذاتي على تعارض مع شريعة الربّ؛ وإذا شهّرْتُ بها أمام بني اسرائيل، فأخشى أن يكونَ الذي في حشاها يأتي من ملاك، وعندها أكونُ كمن سَلّمَ إلى حكم الموت دمًا بريئًا. ماذا أفعل بها إذًا؟ سأبعدها عنّي سرًّا". وفاجأه الليل.

(٢٠) رج **ترجوم يوناتان المنحول** = **ترجوم نيوفيتي**. **سفر التكوين**، إعداد بولس الفغالي، سلسلة على هامش الكتاب ١٠، لبنان ٢٠٠٢، ص ٣٦، حاشية ٢.

١٤: ٢ وإذا بملاك الربّ يظهر له الحلم ويقول له: "لا تقلقْ بشأن بهذه الفتاة؛ فمَا هو في داخلها يأتي من الروح القدس، وهي سوف تلد ابنًا، وتدعو اسمه يسوع، لأنّه سيخلّص شعبه من خطاياه". فاستفاق يوسف من الحلم، ومجّد إلهَ إسرائيل، الذي صنع إليه هذه النعمةَ، وواصل القيام بحراستها.

التعليق:

١٤: ١:

"أخشى أن أُسلِّم الدم البريء": رج **مت ٢٧: ٤**: "وقال: خَطِئتُ إذ أسلَمتُ دمًا بريئًا".

"سوف أتركها سرًّا"؛ أنظر **مت ١: ١٩**: "وكان يوسفُ زوجُها بارًّا، فَلَمْ يُرِدْ أن يَشهَرَ أَمْرَها، فعزَمَ على أن يُطلِّقَها سِرًّا".

١٤: ٢:

الملاك يظهر ليوسف: أنظر **مت ١: ٢٠-٢١**: "وما نَوى ذلك حتّى تراءى له ملاكُ الرّبِّ في الحُلم وقالَ له: يا يوسفَ ابنَ داود، لا تَخَفْ أن تأتيَ بامرأتكَ مَريمَ إلى بيتكَ، فإنَّ الذي كُوِّنَ فيها هو منَ الرّوح القُدُس، وستَلِدُ ابنًا فسَمِّه يسوع، لأنّه هو الذي يُخَلِّصُ شَعبَه من خطاياهم".

"فنهض يوسف": **مت ١: ٢٤**: "فلمّا قامَ يوسفُ منَ النّوم، فَعلَ كما أمرَه ملاكُ الرّبِّ...".

الفصل الخامس عشر: حنانيا يشي بمريم لعظيم الكهنة الذي يستجوبها

النص:

١٥: ١ وقَدِمَ حنّانُ الكاتبُ إليه وقال له: "لِمَ لَمْ تأت إلى المحفل؟"؛ فأجابه يوسف: "كنت متعبًا من الرحلة، فاسترحت في اليوم الأوّل". وإذ التفتَ حنّانُ، رأى أنّ مريم كانت حبلى.

١٥: ٢: فمضى مسرعًا إلى الكاهن، وقال له: "إنّ يوسف، الذي أنتَ شاهدُه، قد ارتكب تجاوزًا جسيمًا للشريعة". فقال الكاهن: "ماذا اقترف؟"؛ فأجاب (الكاتب): "لقد دنَّس العذراء التي تلقّاها من هيكل الربّ، وأتمّ معها الفعلَ الزوجيَّ خلسةً، ولم يبلغ بني إسرائيل بذلك". فقال له الكاهنُ: "أَفَعَلَ يوسفُ هذا؟". وقال له: "أرسل خدّامكَ، وستجد أنّ العذراءَ هي حبلى". فمضى الخدّامُ ووجدوها كما كان قد قال لهم، فأحضروها ويوسف إلى الهيكل، حيث مثُلَا أمام المحكمة.

١٥: ٣: وطرح الكاهنُ السؤال: "يا مريم، لماذا فعلْت هذا الأمر؟ ولِمَ أذلَلْت نفسَك، ولم تتذكّري الربَّ إلهَكِ، أنت التي كبرتِ في قَدس الأقداس، وتلقّيت الطعام من يد ملاكٍ، وسمعتِ الأناشيد ورقصت في حضرتِه؟"؛ فانفجرتْ باكيةً بكاءً مرًّا، وهتفتْ:"حيّ هو الربّ إلهي، إنّني طاهرة أمامه، ولا أعرف رجلاً".

١٥: ٤ فسأل الكاهنُ يوسفَ قائلاً: "لِمَ فعلت هذا؟"؛ فأجاب يوسفُ: "حيٌّ الربُّ إلهي، وحيٌّ مَسيحه والشاهدُ على حقيقته، أنا طاهر تجاهه". لكنّ الكاهن ردّ قائلاً: "لا تُدْلِ بشهادة زور، بل قُلِ الحقيقة؛ لقد أتممتَ زواجكَ خلسةً، ولم تُبلغ بني إسرائيل بذلك، ولم تحنِ رأسَكَ تحت يد الله القديرة، ليكون نسلك مباركًا"؛ فصمتَ يوسف.

التعليق:

١٥: ٢:

تحذير يوسف من الرفض.كان الكاهن قد أخذ هو أيضًا التزامات معلنًا ليوسف بأنّه كان قد تمّ اختياره ليحرس مريم، مذكّرًا إيّاه بنتائج الرفض؛ رج ٩: ٢: "فأجاب الكاهن الأعظم يوسف: "إخشَ الربّ إلهك وتذكّر كيف عاقب الله عصيان داتان، وأبيرون وقارح، وكيف انفتحت الأرض وابتلعتهم، لأنّهم تجرّأوا على اعتراض أوامر الله. إخشَ إذًا، يا يوسف أن يحصل كذلك لبيتك".

"لقد تحايلِ على قانون الزواج". يُتَّهَم يوسف بأنّه تصرّف كسارق؛ فبدلاً من أن يحرس مريم، أتمّ عمله الزوجيّ معها دون أن يصرّح بذلك علنًا، وقبل أن يطلب البركة (أنظر ١٥: ٤).

١٥: ٣:

"تلقّيت غذاءً من يد الملائكة". وحده مخطوط **بودمر ٥** يستعمل الجمع، ولا يوجد في المخطوط إلاّ هنا؛ (رج ٨: ١: "وكانت مريم تتلقّى طعامًا من يد الملائكة"؛ ١٣: ٢: "أنتِ التي كنتِ تتلقّين الطعام من يد الملائكة".

"**وسمعت أسرار الربّ**": أمر خاصٌّ أيضًا بمخطوط **بودمر ٥**؛ لدينا في باقي التقليد "والتي سمعتِ" فقط.

"**ولم أعرف رجلاً**": أنظر **لو ١: ٣٤**: "فَقالَت مريمُ للملاك: كيفَ يكونُ هذا ولا أعرِفُ رَجُلاً؟".

١٥: ٤:

أدّى ظهور يوسف المفاجئ أمام المحكمة بقسْم من التقليد المخطوط إلى إدخال المحكمة بدءًا بنهاية ١٥: ٢. لقد تمّ جَلْبُ مريم إلى الهيكل مع يوسف، ثمّ أُحضِرَ الاثنان أمام المحكمة.

"**ليحيَ الربّ الإله، وليحيَ مسيحه والشاهد على حقيقته**": أعاد الناشر بناء هذه الجملة بهذه الطريقة بهدف إبراز صيغة ثالوثيّة قديمة جدًّا. لقد وفّق معظم المخطوطات هذه الصيغة مع استعمالات أخرى في **إنجيل يعقوب التمهيديّ**: "ليحيَ الربّ الإله". سياق مواجهة الشهادات (الكاهن الأعظم، ومريم، ويوسف)، يجعل ظهور التعبير "المسيح" (*christos*) مقبولاً: يدعو صموئيل في آخر أيّامه إلى شهادة "الربّ ومسيحه"؛ رج **١ صم ١٢: ٣**: "هاءنذا، فأشهدوا عليَّ أمامَ الرّبِّ وأمامَ مسيحه. ثَورَ مَن أخَذتُ أو حمارَ مَن أخَذتُ، أو مَن ظَلَمتُ أو مَن ضايَقتُ، أو من يَدِ مَن ارتشَيتُ، لأُغضيَ عينيَّ عنه، فأرُدَّ لَكم؟"؛ **١ صم ١٢: ٥**: "فقالَ لهم: "يَشهَدُ الرّبّ عليكم ويَشهَدُ مسيحُه اليومَ أنَّكم لم تجدوا في يَدي شيئًا. فقالوا: يَشهَد". هذا التلميح بالذات لم يَعُدْ يُفهَم لاحقًا.

"**لم تحنِ رأسك تحت يد العليّ القدير**": هي يد الله. التعبير شائع في العهد القديم، كما نجده في **١ بط ٥: ٦**: "فتواضعوا تحتَ يد الله القادرة ليَرفَعَكم في حينه". بالنسبة إلى الكاهن الأعظم، قد لا يكون هناك مانع، على ما يبدو، من زواج مريم ويوسف، بشرط أن يتمّ علنًا وأمام شاهد. رج **راعوت ٤: ١١**: "فقالَ كُلُّ الشّعبِ الذي في بابِ المدينةِ والشيوخ: نحنُ شهود. ليَجعَلِ الرّبُّ المَرأةَ الدّاخِلةَ بيتَكَ كراحيلَ ولِيئَةَ اللَّتَينِ بَنَتا كِلْتاهما بَيتَ إسرائيل. فكُنْ صاحبَ قدرة في أفراتَة، وأقِمْ لَكَ اسمًا في بيتَ لَحم"؛ **طو ٧: ١٢**: "ثمّ دَعا رَعوئيلُ سارةَ ابنتَه، فأتَت إليه، فأخَذَها بيدها وسلَّمَها إليه وقال: إقبلْها، فهي تُزَفُّ إليكَ امرأةً بحسَبِ الشَّريعة وبحسبِ الحُكمِ الوارد في كتاب موسى. خُذْها وعُدْ إلى أبيكَ سالِمًا. أوصَلَكم إلهُ السّماءَ بسلام".

الفصل السادس عشر: إمتحان يوسف ومريم

النصّ:

١٦: ١ وقال الكاهن: "أعدْ هذه العذراء التي تقبَّلتَها من هيكل الربّ". وراح يوسف يذرف دموعًا كثيرة، فقال له الكاهن: "سوف أسقيك ماء إدانة الربّ، وهو يُظهِر خطيئتكم [٢١] لأعينكم".

١٦: ٢ وإذ أخذ الكاهنُ من الماء، أعطاه ليوسف كي يشرب، ثمّ أرسله إلى المنطقة الجبليّة [٢٢]، لكنّ يوسف عاد من هناك سالمًا معافًى. وأسقى مريم أيضًا من الماء عينه لتشرب، ثمّ أرسلها إلى المنطقة الجبليّة [٢٣]، لكنّها عادت من هناك سالمةً معافاة. فتعجّب الشعبُ كلُّه من عدم ظهور خطيئة فيهما.

١٦: ٣ وقال الكاهن الأعظم [٢٤]: "إذا كان الله لم يُظهِرْ خطيئتكما [٢٥]، فأنا أيضًا لن أحكم عليكما".

(١٦: ٤) [٢٦] وصرفهما. وأخذ يوسفُ مريمَ، ومضى إلى بيته مسرورًا، وممجِّدًا إله إسرائيل.

التعليق:

١٦: ١:

"**وكان يوسف يذرف دموعًا كثيرة**". الفعل المصَرَّف "ذرف" غير موجود في مخطوطات عدّة.

(٢١) ERBETTA, *ANT,* 16, 1; p. 25: خطاياكم.
(٢٢) *ÉAC*, 16, 2, p. 96.
(٢٣) *ÉAC*, 16, 2, p. 96.
(٢٤) *ÉAC*, 16, 3, p. 97 : الكاهن الأعظم.
(٢٥) ERBETTA, 16, 1, p. 25: خطاياكم.
(٢٦) ERBETTA, 16, 3.4, p. 25:
يقسم إربتّا آ ٣ إلى اثنتين، فيصبح لدينا آ ٣ وآ ٤، بدلاً من آ ٣ فقط، كما هي الحال في *ÉAC*.

"مياه الامتحان": جاء في **عد ٥: ١١-٣١** ما يلي: "وخاطَبَ الرّبُّ موسى قائلاً: كَلِّمْ بني إسرائيلَ وقُلْ لهم: أيّ رَجُل انحَرَفَت زوجتُه فخانَتْه خيانةً، وكانت لها علاقات جنسيَّة مع رَجُل، وأُخفيَ ذلك على رَجُلها، واستَتَرَ تَنَجُّسُها، ولا شاهدَ عليها، وهي لم تُؤخَذْ، وأَخَذَ رَجُلَها روحُ الغَيرَة، فغارَ على زَوجَته وهي نَجِسَة، أو أَخَذَهُ روحُ الغَيرَة، فغارَ على زَوجَته وهي غَيرُ نَجِسَة، فلْيَأت ذلك الرَّجُل بامرأته إلى الكاهن...؛ فإن كانت قد تَنَجَّسَت وخانَت زوجَها خيانةً، يَدخُلُ فيها ماءُ اللَّعنة للمرارة، فيَرِمُ بطنُها، وتَسقُط وَرِكُها، وتَكونُ المرأةُ لعنةً في وَسْط شعبِها...". الرجل الغيور الذي يشكّ في امرأته دون أن تتوفّر لديه لا البراهين ولا الشهود، باستطاعته إذًا أن يلجأ إلى الامتحان، فيعطي الكاهنُ المرأةَ ماءَ المرارة لتشربه، فإذا كانت مذنبة، ينتفخ بطنها، ويُتلَف حشاها. في **إنجيل يعقوب التمهيديّ**، على يوسف أيضًا أن يخضع لهذا الامتحان، لأنّه لا يلعب دور الزوج بل العشيق.

١٦: ٢:

"وأرسل الكاهن الأعظمُ يوسفَ إلى الصحراء": في معظم المخطوطات، يُرسَلُ يوسفُ إلى الصحراء، ومريمُ إلى الجبل. في **إنجيل يعقوب التمهيديّ** يشمل المفهومان الواقعَ نفسَه؛ أنظر ١: ٤: يؤكّد يواكيم أنّه لن ينزل من الصحراء ليأكل ولا ليشرب: "إذاك لم يشأ يواكيم، مُغتمًّا لهذه الذكرى، الظهور ثانيةً أمام امرأته؛ فمضى إلى الصحراء، ونصب فيها خيمته، وصام أربعين يومًا وأربعين ليلة، قائلاً في قلبه: لن أتناول طعامًا ولا شرابًا؛ وصلاتي ستكون طعامي الوحيد". أنظر أيضًا ٢٢: ٣.

١٦: ٣:

"وقال الكاهنُ الأعظم: أنا لا أدينُكما". أنظر **يو ٨: ١١**: "فقال لها يسوع: وأنا لا أحكُمُ عليكِ".

"وصرفهما". أنظر **مر ٨: ٩**: "وكانوا نَحوَ أربعةِ آلاف، فصَرَفَهم".

مولد يسوع وطفولته

الفصل السابع عشر: أَمْرُ أوغوسطوس؛ وَضْعُ مريم الملتبس؛ رؤية شعبَين[٢٧]

النصّ:

١٧: ١ وصدر أمْرٌ من الإمبراطور أُوغسطوس بأن يتمّ إحصاء كلّ سكّان بيت لحم في اليهوديّة؛ فقال يوسف: "سوف أُسجِّل إبنيَّ [٢٨]، لكن ماذا أفعل حيال هذه المرأة؟ كيف ينبغي أن أسجّلها؟ أبصفتها زوجة ؟ أخجل من ذلك. أبصفتها ابنة؟ لكنّ كلّ بني إسرائيل يعلمون أنّها ليست ابنتي. ليفعلِ الربُّ في هذا اليوم كما يشاء".

١٧: ٢ وأسرجَ يوسفُ حمارَه وأركبَها (= مريم) عليه. وكان ابنُه يجرُّ اللجامَ، وصموئيلُ يتبع. وبعد مسافة ثلاثة أميال، التفتَ يوسف، فرآها حزينةً، فقال في نفسه: "ربّما ما فيها يكدِّرها". وإذ التفت مجدَّدًا، رآها تضحك، فسألها: "يا مريم، ماذا يحصل لك؟ أرى وجهَك تارةً ضاحكًا، وتارةً حزينًا؟"؛ فأجابت مريمُ يوسف قائلةً: "هذا لأنّني أرى أمام عينَيَّ شعبَين: واحدًا يبكي وينوح، والآخرَ يُسَرُّ ويفرح".

١٧: ٣ وعندما وصلوا إلى منتصف الطريق، قالت له مريم: "أنزلني عن الحمار، لأنّ ما فيّ يضغط عليَّ كي يخرج إلى النور"؛ فأنزلها وقال لها: "أين أقتادكِ لأضع في مأمن خَفَرَكِ، وهذا المكان قفر؟".

التعليق:

١٧: ١:

"أَمْرٌ من الأمبراطور قيصر". أنظر **لو ٢: ١**: "وفي تلكَ الأيّام، صدَرَ أمرٌ عنِ القيصرِ أوغُسطُوس بإحصاءِ جميعِ أهلِ المعمور".

"بيت لحم اليهوديّة". أنظر **مت ٢: ١**: "ولمَّا وُلِدَ يسوعُ في بيتَ لحم اليهوديّة، في أيّام الملكِ هيرودُس، إذا مجوسٌ قدِمُوا أورشليمَ منَ المَشرق".

(٢٧) *ÉAC*, p. 97.

(٢٨) ERBETTA, p. 25 :
إستنادًا إلى ١٧: ٢، قد يكون ليوسف ابنان، واحد لا يرد ذكرٌ لاسمه، والثاني يُدعى صموئيل.

"**ابنه**": ذَكَرَ النصُّ أنّ يوسف يريد أن يسجّل أبناءَه، ونعلم أنّه كان متقدّمًا في السنّ، وكان له أولاد، كما نقرأ في ١٧: ١: "فقال يوسف: سوف أُسجِّل ابنَيَّ"؛ وفي ٩: ٢: "فقدَّم يوسف اعتراضات قائلاً: لي أولاد وأنا شيخ". هو يتكلّم هنا على ابنه الذي يَتقدَّمُ الحمارَ، وعلى صموئيل الذي يتبعه. في ما يلي، وبالتحديد في ١٨: ١، سيُدعَى الاثنان "ابنَيْه".

١٧: ٢:

"**شعبان**". نقرأ في **تك ٢٥: ٢٣**: "ومَضَت تَستَشيرُ الرّبّ فقالَ لها الرّبّ: في جَوفِكِ أُمَّتان، ومن أَحشائِكِ يَتَفَرَّعُ شَعبان: شَعبٌ يَقوى علىَ شَعب، والكَبيرُ يَخدُمُ الصّغير". وفي **لو ٢: ٣٤**: "وبارَكَهما سمعان، ثُمَّ قالَ لمريمَ أُمِّه: ها إِنَّه جُعِلَ لسقُوطِ كثيرٍ منَ النّاس، وقِيامِ كثيرٍ منهُم في إِسرائيل، وآيَةً مُعَرَّضةً لِلرَّفضِ". لا مجال هنا لقبول ما ورد في حاشية إسكندر شديد، أي أنّ المقصود بالشعبَين هم "الكافرون والمؤمنون" [٢٩].

الفصل الثامن عشر: رؤيا يوسف؛ يوسف[٣٠] يبحث عن قابلة

النصّ:

١٨: ١ وإذ وجد في ذلك الموضع مغارة، اقتاد مريم إلى داخلها، وتركها قربَ ابنَيه، وخرج يبحث عن قابلة عبريّة في أرض بيت لحم.

١٨: ٢ وبينما كنت، أنا يوسف، أمشي ولم أكن أمشي، شخصتُ بعينيّ إلى العلاء، فرأيتُه وقد أصيب بالذهول. ونظرتُ إلى وجه السماء، فرأيتُه دون حراك، وطيور السماء واقفة. ثمّ أخفضتُ النظر إلى الأرض فرأيت قصعة موضوعةً أرضًا، وعَمَلَةً ممدَّدين حولها، وأيديهم في القصعة؛ فالذي كان يمضغ، لم يعد يمضغ، والذين كانوا يضعون الطعام في أفواههم لم يعودوا يضعوه، وكانت وجوه الجميع تطلّع إلى العلاء. ورأيت غنمًا مسوقةً إلى الأمام، لم تعد تتقدّم، بل وقفت في مكانها، فرفع الراعي يده ليضربها بالعصا، فبقيت يدُه في الهواء. ثمّ حوَّلتُ نظري إلى مجرى ماء، فرأيت أفواهَ الجداءِ فوق الماء، ولكنّها لم تكن تشرب. وبطرفة عين فجأةً عاد كلُّ شيء الى حركته المعتادة.

١٨: ٣ وكانت الجداء [٣١] مشتَّتةً، ولم تكن تسير، بل كانت لابثةً جامدة. والراعي الرافع يده ليضربها بعصاه، كانت يده باقية من دون انخفاض. وإذ نظر من ناحية نهر، رأى كباشًا يلامس فمها الماء، لكنّها لم تكن تشرب، فكلّ الأشياء كانت في تلك اللّحظة جامدة.

التعليق:

١٨: ١:

"**مغارة**". إنّ التقليد الذي وَفْقَهُ وُلِدَ يسوعُ في مغارة هو قديم؛ أنظر يوستينوس [٣٢]. في أيّام أوريجانوس كانت مغارة الميلاد في ضواحي بيت لحم [٣٣]. يتكلّم **لو ٢: ٧** على مذود وضعت مريمُ فيه المولود الجديد: "فولَدَت ابنَها البكر، فَقَمَّطَتْهُ وأَضجَعَتْهُ في مذوَد". في **إنجيل يعقوب التمهيديّ**، يُستَخدَم المذود لإخفاء يسوع فيه، كيلا يقع في أيدي القتلة الذين أرسلهم هيرودس: "وأرسل هيرودس أتباعًا ليقتلوا كلّ الأطفال الذين كانوا في بيت لحم، من عمر سنتَيْن وأدنى. وامتلأت مريمُ خشيةً، وقد علمت أنّهم يقتلون الأطفال، فأخذت الطفل، ولفَّته بأقمطة، وأضجعته في مذود الثيران" (٢٢: ٢).

١٨: ٢:

بدءًا من هذه الآية، وحتّى ١٩: ١، تصبح الرواية بصيغة المتكلّم المفرد. هو يوسفُ مَن يُخبر عن رؤيا وعن لقائه مع القابلة. لقد قصّر مخطوط **بودمر ٥** هذا المقطع جدًّا، وتمّت كتابتُه بصيغة الغائب المفرد. وحاولت مخطوطات أخرى أيضًا إعادة كتابة هذا المقطع. إنّ مقارنة مختلف الصيَغ النصوصيّة، كما أيضًا وجود الرواية بصيغة المتكلّم

(٢٩) شديد، ص ٤٣، حاشية ٢.
(٣٠) العنوان هو بحسب *ÉAC*, p. 99 .
(٣١) شديد، ص ٤٣، حاشية ٢: «النعاج»؛ *ÉAC*, p. 99 :«الخراف».
(٣٢) JUSTIN, *Dialogue avec Tryphon* LXXVIII.
(٣٣) ORIGÈNE, *Contre Celse* 1, 51.

المفرد، حسبما نجد في مخطوط يرقى إلى القرن الرابع، يبيّنان أن المقطع لا يتضمّن أيّ إضافات. إنّ المقطع بصيغة المتكلّم المفرد هو أسلوبٌ بلاغيّ معروف يُستعمَل بهدف إضفاء طابع الأصالة عليه. يضمن يوسفُ بالذات ما يكشف. يضحي القارئ ملزَمًا بأن يقبل الخبر. يذكّر المشهدُ الموصوفُ في الرؤيا بمشهد الرعاة الذين يبشّرهم ملاكُ الربِّ بمولد المخلّص، كما نقرأ في لو ٢: ٨–١٤.

"**رأى القطب حيث السماء كانت جامدة**". عند رؤيا يوسف توقّف كلُّ شيء. تعليق الوقت، الصمت، والجمود هي موضوعات واسعة الاستعمال في الأدبَين القديم كما الحديث. هي تعلن في الغالب عن تجلّيات إلهيّة أو تواكبها؛ أنظر، على سبيل المثال **حب ٢: ٢٠**: "أمّا الرَّبُّ فهو في هيكل قُدْسه، فاسكتي أمامَ وَجهه يا جميعَ الأرض"؛ **صف ١: ٧**: "أُصمُتوا من وَجه السّيّد الرَّبّ"؛ **زك ٢: ١٣**: "وهاءنذا أَرفَعُ يَدي عليها فتَكونُ غنيمَةً لعبيدهم، فتَعلَمونَ أنَّ رَبَّ القُوَّات أرسَلَني"؛ **حك ١٨: ١٤–١٥**: "وبينَما كان صمتٌ هادئٌ يُخيّمُ على كُلِّ شيء...، هَجَمَت كلمتُكَ القديرةُ منَ السّماء..."؛ **مت ٢٧: ٤٥–٥١**: "وخَيَّمَ الظَّلامُ على الأَرض كُلِّها...، وزُلزلَت الأَرضُ وتَصَدَّعَت الصُّخور"؛ **مر ١٥: ٣٣–٣٨**: "ولمَّا كَانَ الظُّهرُ خَيَّمَ الظَّلامُ على الأَرض كُلِّها..."؛ **لو ٢٣: ٤٤–٥٥**: "وكانَت السَّاعَةُ نَحوَ الظُّهر، فخَيَّمَ الظَّلامُ على الأَرض كُلِّها حتَّى الثَّالثَة، لأنَّ الشَّمسَ قد احتَجَبَت...".

الفصلان التاسع عشر والعشرون: الإيلاد. رواية سالومي

الفصل التاسع عشر

النصّ:

القابلة

١٩: ١ وإذا بامرأة تنزل من المنطقة الجبليّة وتقول لي: "أيّها الرجل، إلى أين تذهب؟". فأجبتها: "إنّني أبحث عن قابلة عبرانيّة"[٣٤]. فسألتني: "أإسرائيليّ أنت؟" فأجبتُها: "نعم". فأكملتْ: "ومَنْ هي تلك التي ستلد في المغارة؟" فأجبتُها: "تلك المخطوبة لي". فقالت لي: "أليست زوجتَكَ؟"؛ فأجبتها: "إنّها مريم التي تربّت في هيكل الربّ، وقد صارت لي بالقرعة كامرأة؛ هي ليست زوجتي، ولكنّها حبلتْ من الروح القدس". فقالت القابلة: "أهذا صحيح؟"؛ فأجاب يوسف: "تعالي وانظري". ومضت القابلة معه.

١٩: ٢ وتوقّفَا عند مدخل المغارة، وإذا بغمامة مضيئة تغطّي المغارة. فقالت القابلة: "لقد تجمَّدَت نفسي اليوم، لأنّ عينَيَّ رأتَا أمورًا مذهلة: وُلدَ الخلاصُ لإسرائيل". وفجأةً انسحبت الغمامةُ من المغارة، وظهر نورٌ قويٌّ إلى حدّ أنّ العيون لَم تكن تستطيع تَحَمُّلَه. بعد قليل، أخذ هذا النورُ يتلاشى، حتّى ظهر الطفلُ، الذي استدار ليأخذ ثديَ أمِّه مريم. وعند ذلك هتفت القابلةُ: "هذا يوم عظيم بالنسبة إليَّ، لأنّني شاهدتُ هذا المنَظر البهيّ".

القابلة وسالومي

١٩: ٣ وخرجت القابلةُ من المغارة، فإذا بسالومي تلاقيها ، فقالت لها: "سالومي، سالومي، يجب أن أخبرك عن مشهد جديد: إنّ عذراء قد أنجَبَتْ، وهذا أمْرٌ لا تسمح به طبيعتُها". فأجابت سالومي: "حيّ هو الربّ إلهي، إذا لم أضع يدي ولا أتفحّص طبيعتَها، فلن أُصدِّق أنّ عذراءَ قد أنجَبَتْ".

التعليق:

١٩: ١:

يستعيد الزمن مساره، وتُعيد الروايةُ الارتباط مع ١٨: ١: "وإذ وجد في ذلك الموضع مغارة، اقتاد مريم إلى داخلها، وتركها قربَ ابنَيه، وخرج يبحث عن قابلة عبريّة في أرض بيت لحم". يرى يوسفُ، بعد رؤياه، وصولَ القابلة التي كان يبحث عنها.

"**الخطّيبة**". أنظر **لو ١: ٢٧**: "إلى عذراءَ مخطوبة لرَجُل من بيت داودَ اسمُهُ يوسف، واسمُ العذراء مريَم"؛ **لو ٢: ٤–٥**: "وصعد يوسف إلى بيت لحم اليهوديّة ليُحصَى فيها هو وخطّيبته مريم، وكانت مريم حُبلَى".

"**حُبِلَ به من الروح القدس**". أنظر **مت ١: ١٨**: "ومولد يسوع هكذا كان: خُطِبَت أمُّه مريم على يوسف. وقبل أن

(٣٤) "يهوديّة": *ÉAC*, p. 99 .

تساكنه وُجدَت حاملةً من الروح القدس"؛ آ ٢٠: "يا يوسف ابن داود، خُذ مريم امرأتك ولا تَخَفْ، فمن الروح القدس ما تحمل". رج أيضًا **إنجيل يعقوب التمهيديّ** ١١: ٢: "وإذا بملاك الربّ يظهر في حضرتها، قائلاً: "لا تخشي شيئًا، يا مريم؛ لقد وجدت حظوةً لدن الربّ".

"تعالَي وانظري". أنظر **يو ١: ٤٦**: "قال فيلبّس: تعال وانظر".

١٩: ٢:

"مضيئة": **"وكانت غمامة تغطّي المغارة"**. لدينا في مخطوط **بودمر ٥** وحده الصفة "مظلمة" أو "كثيفة"؛ تقارب المخطوطاتُ الأخرى النصَّ من رواية التجلّي (رج **مت ١٧: ٥**: "وبينما هُوَ يَتَكَلَّم إذا غمامٌ نَيِّرٌ قد ظَلَّلَهُم، وإذا صوتٌ مِنَ الغمام يقول: هذا هو ابني الحبيبُ الّذي عنهُ رَضيت، فَلهُ اسمَعوا"؛ **مر ٩: ٧**: "وظَهَرَ غمامٌ قد ظَلَّلَهم، وانطلقَ صوتٌ مِنَ الغمام يقول: هذا هُوَ ابني الحبيب، فلهُ اسمَعوا")، أكثر منه من تَجلّي الله، الذي يجري وصفه في خر ١٩: ٦: "وحَدَثَ في اليوم الثّالث عندَ الصَّباح أنْ كانت رعودٌ وبروقٌ وغمامٌ كثيفٌ علَى الجَبَل وصوتُ بَوق شديدٌ جدًّا، فارتَعَدَ الشّعبُ كلُّهُ الّذي في المُخَيَّم"؛ **لو ٩: ٣٤**: "وإنّهُ لَيَتَكلَّم، إذ ظهرت غمامة، وأقامت تظلّلَهم".

"كانت تغطّي": حرفيًّا، "كانت غمامةٌ مضيئةٌ تغطّي المغارة بظلّها"؛ هذا الظلّ هو ظلّ القدرة الإلهيّة (أنظر ١١: ٢: "فقال لها ملاك الربّ: لن يكون الأمر كذلك، يا مريم، لأنّ قوة الله تظلّلك"). إنّ الغمامة هي رمزُ الحضور الإلهيّ؛ أنظر، مثلاً، **خر ١٣: ٢١-٢٢**: " وكانَ الرّبُّ يَسيرُ أمامَهم نهارًا في عمودٍ مِن غمـامٍ لِيَهدِيَهمُ الطّريق، وليلاً في عمودٍ مِن نارٍ لِيُضيءَ لهم، وذلكَ لِكي يسيروا نهاراً وليلاً. ولم يَبرَحْ عمودُ الغمام نهارًا وعمودُ النّارِ ليلاً مِن أمامِ الشَّعْب"؛ **خر ٤٠: ٣٤-٣٨**: "ثُمَّ غطَّى الغمامُ خيمةَ المَوعِد وملأَ مجدُ الرّبِّ المَسكِن، فلَم يَستَطِعْ موسى أن يَدخُلَ خيمةَ المَوعِد، لأنَّ الغمامَ كانَ حالاًّ عليه، ومجدَ الرّبِّ قد ملأَ المَسكِن. وكانَ، إذا ارتَفَعَ الغمامُ عنِ المَسكِن، يَرحَلُ بنو إسرائيل في جميعِ مَراحِلِهم، وإذا لم يَرتَفِع، لَم يَرحَلوا إلى يوم ارتِفاعِه، لأَنَّ غمامَ الرّبِّ كانَ على المَسكِنِ نهارًا، وكانتِ النّارُ في الغمامِ ليلاً، على مشهدِ جميعِ بيتِ إسرائيل في جميعِ مراحِلِهم"؛ **١ مل ٨: ١٠**: "وكان، لَمَّا خرَجَ الكهنةُ مِنَ القُدْس، أَنَّ الغمامَ مَلأَ بيتَ الرَّبّ"؛ **مز ١٨: ١٠**: "أَمالَ السّماواتِ ونَزَل والغَيمُ المُظلِمُ تَحتَ قَدَمَيه"؛ **مز ٩٧: ٢**: "السحاب والضباب من حوله"؛ **لا ١٦: ٢**: "وقالَ الرّبُّ لموسى: مُرْ هارونَ أخاكَ بأن لا يَدخُلَ القُدْسَ في كُلِّ وقتٍ إلى داخلِ الحِجاب، إلى أمامِ الكَفّارةِ الّتي على التّابوت، لِئَلاَّ يَموت، فإنّي مُتَراءٍ في الغَمام فَوقَ الكَفّارة"؛ **لا ١٦: ١٣**: "وُيلقي ذلك البخورَ على النّارِ أمامَ الرّبّ، حَتَّى يُغَطِّيَ غمامُ البخورِ الكفّارةَ الّتي على الشّهادة، فلا يَموت"؛ **مت ١٧: ٥**: "وبينما هُوَ يَتَكَلَّم، إذا غمامٌ نَيِّرٌ قد ظَلَّلَهُم، وإذا صوتٌ مِنَ الغمام يقول: هذا هَو ابنيَ الحَبيبُ الَّذي عَنهُ رَضيت، فلَهُ اسمَعوا". تتبدّد الغمامة، فيظهر نور متلألئ، ويتناقص حتّى تستطيع عيون البشر تَحمُّلَه، وتَأمُّلَ سرِّ التجسّد، الولد الذي يأخذ ثديَ أمّه.

"عيناي رأتا": أنظر **لو ٢: ٣٠**: "فقد رأَت عيناي خلاصَكَ"؛ **لو ٥: ٢٦**: "فاستولى الدَّهَشُ عليهم جميعًا، فمَجَّدوا الله، وقد غَلَبَ الخوفُ عليهم فقالوا: "رأينا اليومَ أُمورًا عجيبة".

"وُلِدَ الخلاص لإسرائيل": أنظر **لو ١٩: ٩**: "فقالَ يسوعُ فيه: "اليومَ حصَلَ الخلاصُ لهذا البيت، فهوَ أيضًا ابنُ إبراهيم".

"ضوء عظيم": أنظر **أش ٩: ٢**: "كَثَّرتَ له الأُمَّة، وَفَّرتَ لَها الفَرَح. يَفرَحون أمامَكَ كالفرح في الحصاد، كابتهاج الّذينَ يتقاسمونَ الغنيمة"؛ **مت ٤: ١٦**: "الشّعبُ المُقيمُ في الظّلمة أبصَرَ نُورًا عَظيمًا، والمُقيمونَ في بقعةِ الموتِ وظلالِه أشرَقَ عليهم النُّور".

"اليوم": أنظر يهوديت ١٢: ١٨: "أَشربُ، يا سيدي، فقد كَرُمَتْ عندي الحياةُ في هذا اليوم أكثرَ منها في جميعِ أيّامِ حياتي".

١٩: ٣:

"إنّ عذراء قد أنجبت": أنظر **أش ٧: ١٤**: "فلذلك يُؤتيكُمُ السّيّد نفْسُه آيةً: ها إنَّ الصَّبيَّةَ تَحملُ فتَلدُ ابنًا وتَدْعو اسمَه عمَّانوئيل"؛ **مت ١: ٢٣**: "ها إنَّ العذراءَ تَحملُ فتَلدُ ابنًا يُسمُّونَه عمَّانوئيل، أي الله معَنا". تُبرز روايةُ القابلة وسالومي فكرةَ أنّ مريم، على غِرار النساء القدّيسات، تضع مولودَها

دون أوجاع ودون مساعدة قابلة؛ أنظر **أش ٦٦: ٧**: " قبلَ أن تَتَمَخَّضَ وَلَدَتْ، قبلَ أنَ يأخذَها الطَّلْقُ وَضَعَتْ ذَكَرًا"؛ رج أيضًا **أش ٥٤: ١-٣**؛ **خروج رَبَّا ١: ٢٠**؛ **صعود أشعيا ١١: ١٢-١٤**؛ **موشّحات سليمان ١٩: ٦**.

"**إن لم أضع إصبعي**". أنظر **يو ٢٠: ٢٥**: "فقال لهم توما: لن أؤمن ما لم أرَ موضع المسمارَين في يديه، وأضع إصبعي فيهما".

"**عذراء**". هناك مَن يضيف أل التعريف اليونانيّة h، فتصبح "العذراء"، مع إدخال الأداة oti، "أنّ"، أمام أل التعريف المفترَضة. ليس من دعم لهذا التصحيح في المخطوطات، التي لا تتضمّن أل التعريف، لكنّها تؤمّن العَطْفَ بطريقتَين، وبالتحديد بواسطة oti أو ei التي تُلفَظ مثل أل التعريف h.

الفصل العشرون: معاقبة سالومي ثمَّ شفاؤها

النصّ:

٢٠: ١ ودخلت القابلة وقالت لمريم: "أعدِّي نفسك، لأنّ هناك جدالاً غير بسيط بشأنك". ووضعت سالومي إصبعها في طبيعتها. عند ذاك أطلقت صرخةً وقالت: "الويل لخطيئتي ولقلّة تصديقي! لقد جرَّبتُ الله الحيّ، لذلك ها إنّ يدي تنفصل عن ذراعي وتلتهمها النار".

٢٠: ٢ عندئذ سجدت على ركبتيها أمام الكلّيّ القدرة وصلّت قائلةً: "يا إله آبائي، تذكّر أنّي أنا من نسل إبراهيم، وإسحق، ويعقوب، فلا تجعلني مثلاً أمام بني إسرائيل، بل أعدْني إلى الفقراء؛ فأنتَ تعلم، أيُّها الكلّيّ القدرة، أنّني، حبًّا باسمك، كنت أغدقُ اعتنائي باسمك، وأنّني كنتُ أتلقّى أجْري منك".

٢٠: ٣ فظهر لها ملاك الربّ وقال لها: "سالومي، سالومي، إنّ الربّ قد استجابك؛ مُدِّي يدَك إلى الطفل، واحمليه، فسيكون لك خلاصًا وفرحًا".

٢٠: ٤ ودَنَت سالومي من الطفل بفرح وحملته على ذراعَيها وهي تقول: "أريد أن أعبده، لأنّه هو الذي وُلدَ ملكًا عظيمًا وُلد لإسرائيل". وللحال شفيت سالومي، وخرجت من المغارة مُبَرَّرة. وإذا بصوت يقول: "سالومي سالومي، لا تُخبري عن الأمور التي رأيتِها، إلى أن يذهبَ الطفل إلى أورشليم".

التعليق:

٢٠: ١:

"**ما ينتظرك ليس نقاشًا صغيرًا**". في **إنجيل يعقوب التمهيديّ ١١: ٢** لدينا تفسير لنصّ **لو ١: ٢٦-٣٨** [٣٥]، وشرْحٌ لكيفيّة وجوب فهْم "الحبَل من كلمته". النقاش الحقيقيّ لا يدور إذًا حول كون أنّ عذراء تستطيع أن تُنجب، بل حول نزاهة العذراء الجسديّة بعد الولادة. هذا التفسير لِمَا جاء في **أش ٧: ١٣** ("فقالَ أشعيا: إسمعوا يا بيتَ داود: أقليلٌ عندَكم أن تُسئموا النّاسَ حتّى تُسئموا إلهي أيضًا؟") لِنزاعٍ بين الناس حول أمومة مريم العذريّة، كانت شائعة جدًّا؛ أنظر **صعود أشعيا ١١: ١٢-١٤**؛ **أعمال بطرس ٢٤** [٣٦].

"**الويل لي، أنا الخائنة والكافرة، لأنّني جرَّبت الله الحيّ**". رج **مت ٤: ٧**: "فقالَ له يسوع: مكتوبٌ أيضًا: لا تُجَرِّبَنَّ الرّبَّ إلهَكَ"؛ **تث ٦: ١٦**: "لا تُجَرِّبوا الرّبَّ إلهَكم، كما جَرَّبتُموه في مَسَّة".

٢٠: ٢:

"**لا تجعلني مضربَ مَثَل**". أنظر **مت ١: ١٩**: "وكان يوسفُ زوجُها بارًّا، فَلَمْ يُرِدْ أن يَشهَرَ أمْرَها، فعزَمَ على أن يُطلِّقَها سرًّا".

٢٠: ٤: "**لا تُعلني المعجزات التي رأيتها**". يُحَظَّر في الغالب إفشاء الوحي. هناك أمرٌ زجريّ بألاّ يُرشح شيءٌ ممّا رأيناه يوجد في آخر رواية التجلّي؛ أنظر **مت ١٧: ٩**: "وبينما هم نازلونَ منَ الجَبَل، أوصاهم يسوعُ قال: لا تُخبروا أحدًا بهذه الرّؤيا إلى أن يقومَ ابنُ الإنسانِ من بينِ الأموات"؛ **لو ٩**:

---

(٣٥) **لو ١: ٢٦-٣٨**: «وفي الشّهر السّادس، أُرسلَ اللهُ الملاكَ جبرائيلَ إلى... عذراءَ مخطوبة لرجُل من بيت داودَ اسمُهُ يوسُف، واسمُ العذراء مريَم. فدخلَ إليها وقال: إفرحي، أيَّتُها المَمتلئةُ نعمةً، الرّبُّ معك... لقد نلت حظوةً عندَ اللهِ؛ فستَحملينَ وتلدينَ ابنًا فسَمّيه يسوع... فقالتْ مريمُ للملاك: كيفَ يكونُ هذا ولا أعرفُ رجُلاً؟ فأجابَها الملاكُ: إنَّ الرُّوحَ القدسَ سينزلُ عليكِ، وقدرةَ العليِّ تُظلّلكِ، لذلكَ يكونُ المولودُ قدّوسًا وابنَ اللهِ يُدعى...».

(٣٦) IRÉNÉE, *Contre les hérésies*, III, 21, 4.

٣٦: "ولزم التلاميذ الصمتَ، فما أخبروا في تلك الأيّام أحدًا بشيءٍ ممّا رأوا". أنظر أيضًا **مت ٨**: **٤**: "فقال له يسوع: إيّاكَ أن تُخبِرَ أحدًا بالأمر، بل اذهَبْ إلى الكاهن فأرِه نَفْسَكَ، ثُمَّ قَرِّبْ ما أمَرَ به موسى من قُربان، شهادةً لديهم"؛ **مت ٩**: **٣٠**: "فانفَتَحَت أعيُنُهُما، فأنذَرَهما يسوعُ بلهجَة شديدة قال: إيَّاكُما أن يَعلَمَ أحَد"؛ **مت ١٢**: **١٦**: "ونَهاهُم عَن كَشْف أمرِه"؛ **مت ١٦**: **٢٠**: "حينئذٍ حظّرَ على التلاميذ أن يقولوا لأحدٍ إنّه المسيح".

علاوةً على ذلك، من شأن نشر الخبر أن يعرّض للخطر بقيّةَ القصّة (**إنجيل يعقوب التمهيديّ ٢١**)، كما أيضًا نبوءتَي حنّة وسمعان (**لو ٢**: **٢٦–٢٨**: "وكانَ الرُّوحُ القدسُ قد أوحى إليه أنَّه لا يَرى الموتَ قبلَ أن يُعايِنَ مسيحَ الرَّبّ، فأتى الهيكلَ بدافعٍ منَ الرُّوح. ولـمّا دَخَلَ بالطِّفل يسوعَ أبواه، ليؤدِّيَا عنهُ ما تَفرِضُه الشّريعَة، حمله سمعانُ على ذراعيه، وحمد الله، قال: قلتَ، سيّدي، فأطلق عبدَك بسلام..."؛ **لو ٢**: **٣٦**: "وكانت هناكَ نبيّةٌ هي حنّةُ ابنةُ فنوئيل من سِبْط آشير، طاعنةٌ في السّنّ، عاشَت مَعَ زوجِها سبعَ سنواتٍ".

"**إلى أن يكون الطفل قد دخل أُورشليم**": تلميحٌ إلى تقديم يسوع إلى الهيكل؛ رج **لو ٢**: **٢٢–٣٩**: "ولـمَّا حانَ يَومُ طُهورِهما بحسب شريعَة موسى، صَعدا به إلى أُورشليم لِيُقدِّماه للرَّبّ...". رج أيضًا **إنجيل يعقوب التمهيديّ ٢٤**.

الفصل الحادي والعشرون: المجوس وهيرودس[٣٧] وقتْل الأطفال[٣٨]

النصّ:

٢١: **١** واستعدّ يوسف للذهاب إلى اليهوديّة، وإذا صخبٌ كبيرٌ يحدث في بيت لحم اليهوديّة، لأنّ مجوسًا ثلاثة كانوا قد وصلوا إلى هناك وسألوا قائلين: "أين المولودُ الجديدُ ملكُ اليهود؟[٣٩]؛ فلقد رأينا نجمَه في المشرق، وأتينا لنسجد له".

٢١: **٢** وإذ سمع هيرودوس بذلك، اضطرب، وبعَثَ جُندًا[٤٠] إلى المجوس، واستدعى عظماء الكهنة[٤١]، واستجوبهم[٤٢] قائلاً: "ما المكتوب عن المسيح؟" أين يجب أن يولَد؟"؛ فقالوا: "في بيت لحم اليهوديّة، فهكذا هو مكتوب". فصرفهم، واستجوب المجوس قائلاً: "أيّ علامة رأيتم في شأن الملك المولود الجديد؟"؛ فقال المجوس: "لقد رأينا نجمًا كبيرًا جدًّا يسطع بين هذه النجوم ويكسفها، إلى حدّ أنّها لم تَعُدْ تُرَى؛ وهكذا فهمنا أنّ ملكًا قد وُلِدَ لإسرائيل، وجئنا نسجد له". فأجاب هيرودوس: "إذهبوا وابحثوا، وإذا وجدتموه أعلموني، فأنا أيضًا أريد أن آتي لأسجد له".

٢١: **٣** وانصرف المجوس، وإذا بالنجم الذي كانوا قد رأوه في المشرق يرشدهم إلى أن دخلوا المغارة، وتوقّف فوقها[٤٣]. ورأى المجوس طفلاً مع مريم أمّه، فأخرجوا من جعبتهم تقدمات، ذهبًا وبخورًا ومُرًّا.

٢١: **٤** وإذ حذّرهم الملاك من أن يدخلوا إلى اليهوديّة، سلكوا دربًا أخرى للعودة إلى بلادهم.

التعليق:

يتبع هذا الفصلُ عن قرب روايةَ مت ٢: ١–١٢، لكنّه يتجاوز النبوءةَ المتعلّقةَ ببيتِ لحم (مي ٥: ١؛ ١ صم ٥: ٢)، ويوسّع علامةَ النجم: يتخطّى تألُّقُها بهاءَ النجوم الأخرى كلِّها، ويثبت ولادةَ مَلِكٍ[٤٤].

٢١: **١**:

"**اليهوديّة**": تطرح المعطيات الجغرافيّة التي في **إنجيل يعقوب التمهيديّ** مشكلةً؛ فاسم مدينة الناصرة التي كان يوسف يعيش فيها، حسبما تفيد الأناجيل القانونيّة (أنظر **لو**

(٣٧) *ÉAC*, p. 99.
(٣٨) ERBETTA, p. 26.
(٣٩) *ÉAC*, p. 101 : أين هو ملكُ اليهود؟.
(٤٠) *ÉAC*, p. 101 : خدّامًا ؛ ERBETTA, p. 26 : ضبّاطًا.
(٤١) *ÉAC*, p. 101 : الكهنة .
(٤٢) *ÉAC*, p. 101 : يضيف: «في المحكمة».
(٤٣) *ÉAC*, p. 101 : فوق رأس الولد.
(٤٤) Voir IGNACE d'ANTIOCHE, *Lettre aux Éphésiens*, XIX, 2.

٢: ٤: "وكان يوسف من بني داود وسلالته، فصعد هو أيضًا من ناصرة الجليل إلى بيت لحم اليهوديّة، مدينة داود")، لا يظهر في النصّ. بدلاً من ذلك، يبدو أنّ يوسف ومريم يسكنان قرب الهيكل، في أورشليم. إلى هذه المدينة يريد يوسف أن يذهب، وهي المدينة (التي تُدعَى أيضًا اليهوديّة)، التي فيها يعيش هيرودس، والتي يتحاشاها المجوس في طريق العودة.

مجوس": يُلاحَظ أنّ **إنجيل يعقوب التمهيديّ** لا يشير إلى عدد المجوس (أنظر **متّى المنحول ١٦: ٢**)، ولا أسماءهم، ولا صفتهم الملكيّة (أنظر **إنجيل الطفولة الآراميّ ٥: ١٠**، حيث نجد هذه التفاصيل).

"مَلِكُ اليهود": يضيف العديد من الشهود، بعد مت ٢: ٢، "الذي وُلِدَ لِتَوِّهِ".

٢١: ٣:

"على رأس الولد": لم تتقبّل مخطوطاتٌ عدّةٌ دخولَ النجم إلى المغارة، لذلك صحّحت النصّ كما يلي: "فوق المكان الذي كان الطفل موجودًا"، "فوق المغارة"...

أليصابات وزكريّا (ف ٢٢-٢٥)

الفصل الثاني والعشرون: أليصابات ويوحنّا المعمدان يختبئان خوفًا من هيرودوس

النصّ:

٢٢: ١ وإذ رأى هيرودس أنّ المجوس قد خدعوه، استولى الحنق عليه، وأرسل قَتَلَةً وأمرهم قائلاً: "أقتلوا كلّ الأطفال الذين من عمر سنتَيْن وما دون".

٢٢: ٢ وإذ سمعت مريم أنّ الاطفال يُقتَلون، تملّكها الخوف، فأخذت الطفل، ولفّته بأقمطة، وأضجعته في مذود الثيران/المواشي[٤٥].

٢٢: ٣ وسمعت إليصابات أنّ هناك بحثًا عن يوحنّا، فالتجأت إلى المنطقة الجبليّة، وراحت تبحث هنا وهناك عن مكان لتخبّئه فيه، فلم تجد؛ عندها تنهّدت صارخةً: "يا جبل الله، تقبَّل الأُمَّ مع ابنها"؛ فلقد كانت عاجزةً عن أن تواصل التسلّق بسبب الخوف؛ وفجأةً انفرج الجبلُ وتلقّاها. وكان الجبلُ يَدَعُ النورَ يدخل من أجلها؛ فلقد كان ملاك الربّ يرافقهما ويحرسهما.

التعليق:

٢٢: ١: أنظر **مت ٢: ١٦**: "ولمّا رأى هيرودس أنّ المجوس قد سخروا منه، استشاط غضبًا، وأرسل فقتل كلّ طفلٍ في بيت لحم وضواحيها، من ابن سنتين فما دون، بحسب الوقت الذي وقف عليه بدقّةٍ من المجوس".

٢٢: ٢:

"مَعْلَف المواشي": يبدو أنّ مريم قد تركت المغارة، وخبّأت الولد في مَعْلَف؛ أنظر **لو ٢: ٧**: "وأضجعَتْه في مَعْلَف".

الفصل الثالث والعشرون: استشهاد زكريّا[٤٦]؛ هيرودس يبحث عن يوحنّا[٤٧]

النصّ:

٢٣: ١ خلال ذلك الوقت، كان هيرودس يبحث عن يوحنّا، فأرسل موفدين[٤٨] إلى زكريا[٤٩] يقولون له: "أين خبَّأتَ ابنَكَ؟"؛ فأجابهم: "أنا خادم الله، وأعتني[٥٠] باستمرار بهيكل الربّ، فلا أعلم أين ابني"[٥١].

٢٣: ٢ فرجع الموفدون[٥٢] إلى هيرودس، ونقلوا إليه

(٤٥) الماشية : *ÉAC*, p. 101.
(٤٦) العنوان بحسب ERBETTA، p. 27.
(٤٧) العنوان بحسب *ÉAC*, p. 103.
(٤٨) خدّامًا: *ÉAC*, p. 103 .
(٤٩) إلى المذبح لدى زكريّا: *ÉAC*, p. 103 .
(٥٠) أنا أقيم: *ÉAC*, p. 103 .
(٥١) كيف أعرف أين ابني؟: *ÉAC*, p. 103 .
(٥٢) الخدّام: *ÉAC*, p. 103 .

كلَّ شيء، فغضب وقال: "سيملك ابنُه على إسرائيل" (٥٣). فأرسل إليه مرّة ثانية يقول له: "قل الحقيقة: أين هو ابنُكَ؟ أنت تعلم جيّدًا أنّ دمَكَ هو فيَ متناول يدي"؛ فذهب الموفدون (٥٤) وأعلموا زكريا بكلّ شيء.

٢٣: ٣ قال: "أنا أكون شهيدَ الله إذا ما أهرقتَ دمي. يتقبّل الكلّيُّ القدرة روحي، لأنّكَ تكون قد أرقتَ دمًا بريئًا في رواق هيكل الربّ". وعند الفجر قُتِلَ زكريّا، لكنّ بني إسرائيل لم يكونوا يعرفون أنّه قد قُتِلَ.

التعليق:

٢٣: ١:

يعتقد هيرودس أنّ ابن أليصابات وزكريّا هو الولد الذي كان المجوس قد تكلّموا عليه. كما يظنّ أنّ ابن عظيم الكهنة قد يستطيع أن يطالب بالمَلَكيّة (أنظر ٢٣: ٢: "هل سيملك ابنه على إسرائيل؟").

"**أرسل خدّامًا إلى المذبح**". أنظر **مت ٢٣: ٣٥**: "من دم هابيل البار إلى دم زكريّا بن برَكْيا، ذاك الذي قتلتم بين الهيكل والمذبح"؛ **لو ١١: ٥١**: "من دم هابيل إلى دم زكريّا الذي قُتِل بين الهيكل والمذبح".

٢٣: ٣:

"**أنا شاهد لله**": أي "شهيد" (وهو الذي يدفع شهادتَه من دمه)، كما يبيّن ذلك باقي الأحداث.

"**خُذْ دمي**": الفعل "خُذ" هو خاصّة المخطوط **بودمر ٥**؛ معظم المخطوطات اليونانيّة لديها الفعل "سفك"؛ إنّ كتابة المفردتَين ولَفظهما هما متقاربان جدًّا (ece وekcee).

"**الله يتقبّل روحي**": أنظر **أع ٧: ٥٩**: "وبينما هم يرجمون اسطفان، دعا هذا الدعاء: أيّها الربّ يسوع، إقبل روحي".

"**لأنّك تسفك دمًا بريئًا**": أنظر **مت ٢٣: ٣٥**: "فيقع عليكم كلُّ ما سُفِكَ على الأرض، من دم هابيل البارّ إلى دم زكريّا بن برَكيا، ذاك الذي قتلتم بين الهيكل والمذبح".

الفصل الرابع والعشرون: مصير زكريّا (٥٥)؛ الأسباط تبكي زكريا (٥٦)

النصّ:

٢٤: ١ وحضر الكهنة في موعد السلام، ولكنّ زكريّا لم يتقدّم لملاقاتهم كالمعتاد، فوقفوا هناك ينتظرونه ليحيّوه بالصلاة، ولكي يمجّدوا الله العليَّ.

٢٤: ٢ ولأنّه تأخّر، بدأوا يخشون سوءًا، ولكنّ واحدًا منهم أخذته الشجاعة، فدخل الهيكل، ورأى إلى جانب المذبح دماء متجمّدة، وسمع صوتًا يقول: "لقد قُتِلَ زكريّا، ولكنّ دماءه لن تُزال حتّى يصل المنتقم له". ولمّا سمع هذه الكلمات، تملّكه الخوف، فخرج وأخبر الكهنة [بما رأى وسمع] (٥٧).

٢٤: ٣ إذّاك أخذتهم الشجاعة ليدخلوا، فرأَوا ما كان قد حصل؛ وكانت كسوات سقف الهيكل تهتزّ، فشقّوا أرديتَهم من أعلى إلى أسفل. لكنّهم لم يعثروا على جسده، بل عثروا على دمه، وقد تحوّل إلى حصى. فخرجوا مذعورين، وأخبروا الجميع: "لقد قُتِل زكريّا". وعلمت أسباطُ الشعبِ كلُّها، فبكتْه وناحتْ عليه ثلاثة أيام وثلاث ليال.

٢٤: ٤ وبعد الأيّام الثلاثة، تداول الكهنةُ ليعرفوا مَن يضعون مكانه. وحلّت القرعة على سمعان؛ كان هو الذي أوحِيَ له بالروح القدس أنّه لن يرى الموتَ قبل أن يعاين المسيح في الجسد.

التعليق:

٢٤: ١:

"**ولم يتقدّم زكريّا [...] وفقًا للعادة**"؛ حرفيًّا: "ولم تُواف بركة زكريّا لاستقبالهم كالمعتاد". أنظر **لو ١: ٢١**: "وكان

(٥٣) «أسيملك ابنُه على إسرائيل؟»: *ÉAC*, p. 103.
(٥٤) الخدّام: *ÉAC*, p. 103.
(٥٥) العنوان بحسب *ÉAC*, p. 103.
(٥٦) العنوان بحسب شديد، ص ٤٨.
(٥٧) بحسب *ÉAC*, p. 103.

الشعب ينتظر زكريّا، ويعجب من إبطائه في الهيكل".

٢٤: ٢:

"**المنتقم**": تلميحٌ إلى تدمير الهيكل على يد تيطس سنة ٧٠.

٢٤: ٣:

"**ومزّقت ثيابَها من فوق إلى أسفل**"؛ أنظر **مت ٢٧: ٥١**: "وانشقّ في الحال حجاب الهيكل من أعلى إلى أسفل"؛ **مر ١٥: ٣٨**: "وانشقّ حجاب الهيكل من أعلى إلى أسفل".

٢٤: ٤:

"**سمعان**": أنظر **لو ٢: ٢٥-٢٦**: "وكان في أورشليم رجُلٌ بارٌّ تقيٌّ اسمه سمعان، يترقّب عزاء إسرائيل، وكان الروح القدس عليه. وكان الروح القدس قد أوحى إليه أنّه لن يذوق الموت حتّى يعاين مسيح الربّ".

الفصل الخامس والعشرون: يعقوب يلجأ إلى الصحراء

النصّ:

٢٥: ١ أنا، يعقوب، الذي كتب هذه القصّة في أورشليم، إبّان اضطراب حصلَ في أورشليم عند موت هيرودس، لجأت إلى الصحراء، ولم أعُدْ إلاّ بعدما هدأ الاضطراب. إنّني أسبّح الله الكلّيّ القدرة الذي منحني الحكمةَ لأكتب هذه القصّة.

٢٥: ٢ لتكن النعمة مع الذين يخافون سيّدنا يسوع المسيح، الذي له المجد إلى أبد الآبدين. آمين.

التعليق:

٢٥: ١: "**هدأ الاضطراب**" (o katepausen qoruboj)؛ رج يهوديت ٦: ١: "ولمّا هدأ ضجيج الرجال...".

٢٥: ٢: رج أف ٦: ٢٤: "لتكن النعمة على جميع الذين يحبّون ربَّنا يسوع المسيح حبًّا لا يزول".

خاتمة

بعد هذه الجولة من النقد الأدبيّ لنصّ إنجيل يعقوب التمهيديّ، ومن المقارنة بين نصّ الإنجيل المذكور وبين نصوص موازية أو متقاربة من الكتاب المقدّس، لا بدّ لنا من أن نستنتج كم أنّ الكتب المنحولة عامّةً، وهنا **إنجيل يعقوب التمهيديّ** خاصّة، هي متجذّرة في العهدين القديم والجديد، وكم هي هامّة بالنسبة إلينا لنتعرّف أكثر فأكثر إلى الفكر المسيحيّ الذي نشأ بدءًا من القرن الثاني مباشرة بهذا الشكل الرائع، الأمر الذي يعكس اهتمامات دينيّة جدّيّة بالإيمان الجديد وبشخصيّاته الأساسيّة أو المؤسِّسة. لذلك نأمل أن يكون إسهام محرِّريّ مجلّة بيبليا في التعريف بهذا الكنز الثمين وفي نشره إسهامًا في إبراز أدبٍ مسيحيٍّ عريقٍ يستحقّ أن يحظى بالكرامة التي تليق به.

مراجع

شديد إسكندر، **الأناجيل المنحولة**، دير سيّدة النصر، نِسْبَيْه، غوسطا ١٩٩٩.

شهوان أيّوب، "إنجيل يعقوب التمهيديّ. القسم الأوّل: مقدّمات"، **بيبليا** ٤٧ (٢٠١٠) ١٥–٢٢.

AMIOT F., *La Bible apocryphe*. Évangiles apocryphes, Paris, 1952.

BAUER J. B., *Les apocryphes du NT*, coll. Lire la Bible/ 37, Cerf, Paris 1973.

BOVON F. et GEOLTRAIN P., *Écrits apocryphes chrétiens* (*EAC*), I, Gallimard 1977.

CAMERON Ron, "Sayings Traditions in the Apocryphon of James", *Journal of Biblical Literature* l05 (l986) 74l-43.

CHAINE M., *CSCO* 39/40 lat. (script. aethiop. 22/23, aa. 1962/1963.

Écrits testamentaires, p. 1253 et 1298.

ERBETTA Mario, *Gli Apocrifi del Nuovo Testamento*, I/2 (= ERBETTA), ed. Marietti, ²1982.

HEDRICK Charles W., "Kingdom Sayings and Parables of Jesus in the Apocryphon of James: Tradition and Redaction", *New Testament Studies* 29 (l983) l-24.

PSEUDO-PHILON, *Le livre des antiquités bibliques*; Charles PERROT, *Les antiquités bibliques*, Sources Chrétiennes, Cerf 1979.

ROSCHER W. H., *Die Zahl 40 in Glauben, Brauch und Schriftum der Semiten*, 1909.

إنجيل العبرانيِّين

الخور أسقف بولس الفغالي
باحث في الكتاب المقدّس

أناجيل عديدة ظهرت في القرون الأولى من المسيحيَّة وصولاً إلى القرن السابع، بل إلى القرن السادس عشر مع **إنجيل برنابا** الذي دعاه صاحبه "الإنجيل الحقيقيّ" معتبرًا الأناجيل الأربعة مزيَّفة أو محرَّفة، لأنَّها لم تُكتَب في لغة ساميَّة بل في لغة يونانيَّة. يسوع تكلَّم أراميَّة فلسطين فينبغي أن يصل الإنجيل "الواحد" في هذه اللغة لا في غيرها. هذا ما عارض اليهود والذين تبعوهم في هذا المضمار، فقالوا: تكلَّم الله في العبريَّة، والأسفار التي لم تصلنا في هذه اللغة هي مرفوضة ولا يمكن أن تكون كلام الله. هي كلام بشريّ. لا بأس إن قرأناه ولكنَّه لا يشكِّل قاعدة الإيمان والأخلاق.

هناك **الإنجيل بحسب توما** الذي هو "توأم" المسيح، كما يقولون، ووحده عرف أسرار المسيح. وبدايته: "هذه هي الأقوال الخفيَّة التي قالها يسوع الحيّ والتي دوَّنها التوأم يودا توما". وتجاه إنجيل مرقس القانونيّ الذي عنوانه: "بدء إنجيل يسوع (الذي هو) المسيح (الذي هو) ابن الله"، هناك إنجيل سرّيّ يقولون إنَّ مرقس كتبه. وراح في هذا الخطّ **إنجيل يعقوب** الذي هو إنجيل قبل الإنجيل لأنَّه يتحدَّث عن والدَي مريم العذراء عن ولادتها ودخولها باكرًا إلى الهيكل. وجاء من كتب إنجيلاً ربطه بمتَّى فاستعاد **إنجيل يعقوب** وأمورًا أخرى.

هي أمور تقويَّة تحاول أن تسدَّ فراغًا في الأناجيل القانونيَّة، خصوصًا في ما يتعلَّق بطفولة يسوع وبحياة مريم العذراء... ولكنَّ أناجيل أخرى تبدو أكثر خطورة، فتقدِّم تعليمًا يخرج على تعليم الكنيسة الكبرى. لهذا رُفض هذا التعليم واضطهد، فما بقي منه الكثير. والذي أُفلت من التلف والتحريف، لم يبقَ منه سوى مقاطع ندعوها في اللغة العلميَّة "تقطاع، fragment". من هذه الأناجيل، **إنجيل الأبيونيِّين** الذي وصلت إلينا نصوصه عبر إبّيفان، أسقف سلامينة في قبرص. أمّا الإبيونيُّون فيعتبرون نفوسهم مساكين الربّ. و**إنجيل الناصريِّين** (أو: النازرين) الذي وُلد في محيط يهومسيحيّ فوصل إلى الجزيرة العربيَّة. ومع هذين الإنجيلين وفي خطّهما نقرأ **الإنجيل إلى العبرانيِّين**.

* * *

إنجيل العبرانيِّين وصل إلينا منه بعض التقطاعات، التي نقرأها في الدرجة الأولى عند جماعة الإسكندريَّة، عند كليمان الإسكندرانيّ في كتاب **الموشَّيات**، عند أوريجان في تفسيره لإنجيل يوحنّا، كما في عظاته حول نبوءة إرميا، عند ديديم الأعمى في تفسيره للمزامير.

هناك قرأنا للمرَّة الأولى عنوان هذا "الإنجيل". قال كليمان الإسكندرانيّ: "وهذا ما نجده مكتوبًا أيضًا في **إنجيل العبرانيِّين**" [1]. وقال أوريجان: "إذا رضي أحدكم **بإنجيل العبرانيِّين** حيث يقول المخلِّص عن نفسه...". أمّا ديديم الأعمى فتحدَّث عن إنجيل لوقا، وبيَّن أنَّ متَّى هو ماتيّاس، وأنهى كلامه: "هذا يبدو واضحًا في **إنجيل العبرانيِّين**".

من هنا انطلق جيروم في **مشاهير الرجال** [2]، في كلام حول

(١) To kaq Ebraiouj euagelion.

(٢) هيرونيمس، **مشاهير الرجال**، نقله إلى العربيَّة وقدَّم له وعلَّق عله ووضع فهرسه الأب جوزيف كميل جباره، دار المشرق، بيروت، ٢٠١٠، ص ٢٥-٢٦ (٢: ٦-١٤).

"يعقوب أخي الربّ"، فأورد المراجع ليصل إلى "أقليمنضس في الجزء السابع من كتابه **المخطّطات** [٣]. نقرأ: "أمّا الإنجيل المعروف بحسب العبرانيّين الذي نقلتُه سابقًا إلى اللغتين اليونانيَّة واللاتينيَّة، والذي غالبًا ما استعمله أوريجنُس [٤]، فيروي أنَّ المخلِّص، بعد القيامة، أعطى خادم رئيس الكهنة كفنه، ثمَّ "تراءى ليعقوب" (١ كو ١٥: ٧) الذي كان قد حلف منذ شرب من كأس الربّ ألاَّ يذوق الخبز إلى أن يرى معلِّمه قائمًا من الأموات (عدد ١٢).

ويتواصل كلام جيروم في عدد ١٣: "وبعد ذلك قال الربّ: "هاتوا لنا طاولة وخبزًا". ويضيف الإنجيل: "فقُدِّم له خبز، فأخذه وكسره وباركه، وأعطاه ليعقوب البارّ قائلاً: "يا أخي، كُلْ خبزك، لأنَّ ابن الإنسان قد قام من بين الأموات".

ماذا اكتشفنا من نصّ جيروم؟ دور يعقوب أخي الربِّ وعلاقته بيسوع المسيح، خصوصًا أنَّه "لا يذوق الخبز إلى أن يرى معلِّمه قائمًا من بين الأموات". هذا ما يعيدنا إلى العشاء السرِّيّ حيث قال يسوع لتلاميذه حول أكل الفصح (لو ٢٢: ١٥): "لا آكل منه بعدُ حتّى يكمل في مُلكوت الله". وكانت إشارة ثانية حول كفن المسيح الذي أُعطي "لخادم رئيس الكهنة". وربَّما يكون ملكس (يو ١٨: ١٠). ويعلن جيروم "أنّه نقل هذا الإنجيل إلى اليونانيَّة واللاتينيَّة"، فهل كُتب في العبريّة؟ في الأراميَّة؟ يبقى السؤال مطروحًا.

هنا نتذكَّر أنَّ لفظ "عبرانيّين" لا يعني اللغة، بل التعليم الخاصّ بهذه الجماعة التي تركت الكنيسة الكبرى وراحت في خطّ مستقلّ به. هم اليهود المسيحيُّون أي أولئك اليهود الذين رأوا في المسيح نبيًّا من الأنبياء، أو ذاك الماسيّا الذي وُعدوا به في خضم الدعاوة اليهوديَّة في الجماعات المسيحيَّة العائشة بين سنة ٤٠ وسنة ٧٠ب. م. هؤلاء اصطدم بهم بولس، ولكنَّهم واصلوا حضورهم في الشرق [٥].

فإنجيل العبرانيّين هذا الذي يعتبر الكردينال دانيالو (ص ١٨) أنَّه دُوِّن في اللغة الأراميَّة، لبث أمينًا للاهوت عتيق يشدِّد على المونوتاويَّة أو القول بإله واحد لا شريك له، وعلى مسيحانيَّة يسوع. أبعد هؤلاء "العبرانيُّون" من أورشليم ومن سائر اليهوديَّة فتحجَّروا حيث هم وتركوا آثارهم في الشرق العربيّ.

أمّا إنجيلهم فجاء ردًّا على إنجيل المصريِّين الذي دُوِّن في اليونانيَّة، فقال فيه كليمان الإسكندرانيّ إنَّه "كتاب مقدَّس لدى بعض المتشيِّعين المحلِّيِّين، أولئك المسيحيِّين الآتين من العالم الوثنيّ".

* * *

نورد أوَّلاً نصَّ أوريجان حول هذا "الإنجيل"، قبل أن نجعله في إطاره الواسع:

"إن قال أحد إنَّ **إنجيل العبرانيّين** حيث يقول الربّ: "بعد وقت، أمِّي، الروح القدس أخذني بشعرة من شعراتي ونقلني على الجبل العظيم، تابور" تصل به الأمور ليتساءل كيف أنَّ الروح القدس الذي ينبثق من الكلمة يمكن أن يكون أمّ المسيح " [٦].

هذا التقطاع يعود إلى خبر تجربة يسوع، على ما يبدو، فهو الحدث الإنجيليّ الوحيد حيث الروح يجتذب يسوع على جبل (مت ٤: ١، ٨). جاء الكلام في صيغة المتكلِّم المفرد (أنا)، والهدف القول بأنَّ هذا الحدث الذي لم يكن له أحد شاهدًا عرفه التلاميذ. قال يسوع عن الروح القدس هو "أمِّي". نتذكَّر في التراث الساميّ عامَّة وفي التراث السريانيّ خاصّة أنَّ الروح (ܪܘܚܐ) هو مؤنَّث. هو جوهر مثل الحكمة . وكيف نُقل المسيح "إلى جبل عظيم"؟ كما نُقل حزقيال (٨: ٢: "ومدَّ يده وأخذني بشعر رأسي")، أو حبقوق الماضي، إلى دانيال (دا ١٤: ٣٦، حيث أخذه الملاك بشعره). غير أنَّ الروح لم يحتجْ إلى الشعر كلِّه.

(٣) قلنا نحن: «كليمان». والكتاب هو «الموشَّيات». راجع **قاموس أعلام الفكر الدينيّ المسيحيّ**، الجزء الأوَّل، من القرن الأوَّل حتَّى القرن الثامن، وضعه الأب جوزيف كميل جباره، المكتبة البولسيَّة، ٢٠١٠، موسوعة «الفكر المسيحيّ بين الأمس واليوم»، ٣٥، ص ٨٤، عدد ١٤٨. أمّا **تاريخ الفكر المسيحيّ عند آباء الكنيسة** (المكتبة البولسيَّة، ٢٠٠١)، فقال إكليمنضس الإسكندريّ، ودعا الكتاب **المتفرّقات** strwmateij.

(٤) في اليونانيَّة ينتهي الاسم nhj، وفي اللاتينيَّة القديمة هو Origenes. أمّا نحن فقلنا أوريجان.

(٥) Jean DANIELOU ,*Théologie du Judéo-Christianisme* ,Histoire des doctrines chrétiennes avant Nicée ,vol. I ,Desclée ,1958 ,p17.

(٦) **تفسير يوحنّا** ٢/١٢: ٨٧. SC 120, p. 262-263.

شعرة واحدة كانت كافية، ممَّا يدلُّ على طواعيَّة هذا المسيح لعمل الله.

ونقرأ كيف ورد النصُّ عند أوريجان في **تفسير يوحنّا**. الموضوع العامّ هو الروح القدس: الابن يأتي من الآب بواسطة الروح. كذا قال أوريجان. ولكنَّ البعض اعتبروا أنَّ الابن الذي صار إنسانًا، انحدر فصار أدنى من الروح القدس. ويأتي هنا "شرح مقطع من **الإنجيل إلى العبرانيّين**".

إن قال أحد إنَّ **الإنجيل إلى العبرانيّين**... (عدد ٨٧).

ويجيب أوريجان:

لن يكون صعبًا بأن نشرحه هكذا: إذا كان "كلُّ من يتمُّ مشيئة الآب السماويّ هو أخوه وأخته وأمُّه" (مت ١٢: ٥٠)، وإذا كان اسم أخي المسيح لا يعود فقط إلى الجنس البشريّ، بل أيضًا إلى الكائنات الأكثر ألوهة منه، لن نعجب أن يكون كلٌّ آخر يُدعى "أمُّ المسيح"، الروح القدس، أمُّه، لأنَّه يتمُّ مشيئة الآب السماويّ.

أعطى أوريجان "أمّ المسيح" معنى رمزيًّا. إذا كان الروح يعلِّمنا كيف نتمُّ مشيئة الله، فهو بالأحرى يعلِّم المسيح الذي لا يحتاج إلى حفظ كبير لكي يفعل. ونضيف أنَّ **خفايا يوحنّا** (٦: ٢٠-٢١) يقول عن المسيح إنَّه ابن الروح القدس. وفي هذا الخطّ عينه يقول أوريجان في مواعظ حول إرميا:

قلت هذا بشكل استطراد بالنسبة إلى الكلام: "ويل لي، يا أمِّي". ولكن تبيَّن أنَّ هذا يتوافق مع ألوهيَّة مخلِّصنا، حين رأى خطايا البشر، بأن يقول هنا: "ويل لي، يا أمِّي"، أنَّ هذا يتوافق مع المخلِّص لا على أنَّه الله بل على أنَّه إنسان، لا على أنَّه الحكمة، بل على أنَّه نفس. أوردتُ هذا الكلام النبويّ: "ويل لي، يا نفس، لأنَّ الإنسان التقيّ انتزع من الأرض وما من إنسان يمارس الفضيلة" (مي ٧: ١-٢). فالنفس المغبوطة أتت في الحياة البشريَّة واتَّخذت جسمًا من أجل البشر. فحين رأت الخطايا، قالت للآب: "ما الفائدة من دمي وأن أكون نزلت إلى الفساد؟ هل التراب يعترف لك؟" (مز ٣٠: ١٠). يا ليتها لا تقول عنّا: "الويل لي"، ويا ليت الملائكة لا يقولونه عنّا. إن كان المخلِّص قال: "الويل لي"، فهم أيضًا يقولون لأنَّهم ليسوا أسمى من مخلِّصنا، وهم يرون أيضًا سقطاتنا. ولكن مطوَّبون هم أولئك الذين لا يقول عنهم الملائكة: "الويل لي". ويبقى أنَّهم يُعلَنون مغبوطين "لأنَّ هناك فرحًا في السماء بخاطئ واحد يتوب أكثر من تسعة وتسعين لا يحتاجون إلى التوبة" (لو ١٥: ٧) [٧].

* * *

كان هذا النصُّ من **إنجيل العبرانيّين** كما قرأناه عند أوريجان. وها نحن نعود إلى كليمان الإسكندرانيّ في كتاب **الموشَّيات**:

"وهذا ما نجده أيضًا مكتوبًا في **إنجيل العبرانيّين**. من يندهش يصبح ملكًا، ومن يصبح ملكًا ينال الراحة" [٨].

ورد هذا النصُّ في الفصل التاسع من **الموشَّيات** وعنوانه: "تترافق الفضائل الواحدة مع الأخرى، وهي كلُّها ترتبط بالإيمان". والبداية: "مثل هذا الخوف، في أيِّ حال، يقود إلى التوبة وإلى الرجاء. والرجاء هو انتظار خيرات، هو ينتظر خيرًا غائبًا... (ص ٦٦). ونصل إلى المقطع الذي فيه يرد إنجيل العبرانيّين (ص ٦٩، عدد ٤٥: ٤-٦). الإطار هو الغنوصة أو المعرفة الباطنيَّة. ويرد أفلاطون، كما ترد **تقاليد ماتيّاس** التي هي منحول غنوصيّ تحدَّث عنه هيبوليت في **الفلسفيّات** أو **الردّ على كلِّ الهرطقات** [٩] (٧: ٣٠) وأشار إليه مرارًا كليمان الإسكندرانيّ في **الموشَّيات** (٣/٤: ٢٦).

(٤) "بداية الغنوصة تقوم في التأمُّل بالمخلوقات كما يقول أفلاطون في كتابه **حول العلم** [١٠]، وماتيّاس في **التقاليد** [١١]، حين يدعو إلى "الإعجاب بما هو حاضر أمامنا"، مثبِّتًا هكذا أوَّل درجة في الغنوصة الآتية (٥) كما كُتب في إنجيل العبرانيّين... (٦) إذًا يستحيل على الجاهل، ما دام جاهلاً،

(٧) العظة ١٥: ٤. SC 238, p. 120-121.

(٨) **الموشَّيات** ٢/٩: ٤٥، ٥٠. SC 38, p. 69.

(٩) HIPPOLYTE, *Phiosophoumena* ou *Refutation de toutes les hérésies,* tr. et notes par H. SIOUVILLE (Coll. Les textes du Christianisme), Paris, 1928.

(١٠) Théétète ou Sur la science 155 d.

(١١) "Traditions de Matihias" in *Ecrits Apocryphes chrétiens (= EAC),* I, Gallimard, 1997, p. 470-471.

أن يكون فيلسوفًا، على الأقلّ ذاك الذي لم يتصوَّر فكرة الحكمة، لأنَّ الفلسفة هي رغبة الكائن الحقيقيّ والمعارف التي تتوجَّه نحوه".

والنصُّ الثاني الوارد عند كليمان الإسكندرانيّ نقرأه في الكتاب الخامس من **الموشَّيات**:

"ما نستطيع أن نجد مقابله في هذه الألفاظ: من يطلب لن يتوقف قبل أنٍ يجد. وحين يجدٍ ينال العجب. وحين يتعجَّب يصبح ملكًا. وحين يصبح ملكًا ينال الراحة" (١٢).

جاء هذا النصُّ في مقطع عنوانه: شبه الإنسان بالله ونتائجه. والبداية: "وهكذا كان موسى على حقّ حين قال إنَّ الجسد الذي يدعوه أفلاطون "خيمة أرضيَّة" (١٣)، قد جُبل بالتراب، وإنَّ النفس العاقلة أتت من فوق، بعد أن نفخها الله على الوجه، هنا، كما يُقال يوجد مركز القسم الموجِّه(١٤)، مفسِّرين الدخول الجديد الذي يتمُّ بالحواسّ، دخول النفس، في وضع الإنسان الأوَّل المجبول (بالتراب). لهذا يُقال إنَّ الإنسان صُنع على الصورة والمثال، لأنَّ "صورة" الله هي اللوغس الإلهيّ والملكيّ، الإنسان المعفى من الأهواء، والعقل البشريّ هو صورة الصورة" (ص ١٨١).

انطلق كليمان من أفلاطون حول مشاهدة الكائن، وهذه المشاهدة محطَّة تقود إلى الكمال (**حول الطبيعة** ٥٩٠د). مقطع جُعل في فم يسوع مثل برديَّة البهنسة ٦٥٤: ٥–٩ و**إنجيل توما** في القولة الثانية: قال يسوع: "من يبحث لا يتوقَّف عن البحث حتّى يجد. وحين يجد يتبلبل. وحين يتبلبل يتعجَّب ويملك على الكلّ".

ونلتقي مع إنجيل متَّى: "إسألوا تُعطوا، أطلبوا تجدوا، إقرعوا يُفتَح لكم" (٧: ٧؛ رج لو ١١: ٩). ونعود إلى إنجيل توما (٩٢): "قال يسوع: "أطلبوا تجدوا. ولكن ما طلبتم في تلك الأيَّام وما قلت لكم عند ذاك، أريد اليوم حقًّا أن أقول لكم وأنتم لا تطلبون". وفي القولة ٤٩: "من يطلب يجد ومن يقرع يُفتَح له".

كلُّ هذا يبيِّن تقارب **إنجيل العبرانيِّين** مع الغنوصيِّين، مع بعض الميول التعفُّفيَّة التي نجدها في **تقاليد ماتيّاس**: "يقولون إنَّ ماتيَّاس هو أيضًا علَّم هذه القاعدة: محاربة اللحم (والدم) واستعماله باللامبالاة، دون أن تمنح نفسك لذَّة جامحة، بل إنماء النفس بالإيمان والمعرفة" (١٥).

* * *

أين وُلد إنجيل العبرانيِّين؟ في مصر، على ما يبدو، وفي محيط يهومسيحيّ. كما يبدو أنَّه دُوِّن في اليونانيَّة، قبل نهاية القرن الثاني. فكليمان الإسكندرانيّ المولود سنة ١٥٠ والمتوفِّي بين سنة ٢٠٠ وسنة ٢١٥، قد استعمل نصوصه. وهناك نظريَّة تعتبر أنَّ هذا الإنجيل دُوِّن في منتصف القرن الثاني بدليل علاقته مع هيجيسيب كما يقول أوسيب القيصريّ في **التاريخ الكنسيّ** في كتابه الرابع، فيلتقي مع بعض ما جاء في **إنجيل العبرانيِّين**: "وكتب (هيجيسيب) (١٦) أيضًا أشياء أخرى كثيرة... وينقل أشياء أخرى عن الإنجيل بحسب العبرانيِّين وعن الإنجيل السريانيّ، وخصوصًا عن اللغة العبريَّة..." (١٧).

ويبقى الكلام عن بنية هذا الإنجيل. يبدو أنَّه شابه الأناجيل الإزائيَّة، فتحدَّث عن معموديَّة يسوع، عن التجربة على الجبل، عن فصحه الأخير، عن أحد ظهوراته للتلاميذ بعد قيامته. ووُجدت أيضًا أقوال أخلاقيَّة حول الحياة الروحيَّة والعلاقات الأخويَّة.

ولكن مع هذه التشابهات التي تبقينا في إطار يهوديّ لامسته المسيحيَّة على السطح، لبث مضمون هذا الإنجيل مختلفًا عن المشاهد التي نقرأها في الأناجيل القانونيَّة: هناك

(١٢) ٥/١٤: ٩٦: ٣. SC 278, p. 183

(١٣) PLATOT, *Axiochos* ou *Sur la mort* (oeuvre apocryphe) 365 e 5; 366 a 1

(١٤) PLATON, *Timée* ou *Sur la nature*, 45 b 1-2p 90a

(١٥) **الموشّيات** ٤/٣: ٢٦: ٣. *EAC* , I, p. 470

(١٦) زار هجسيب (Hégésippe) رومة في زمن البابا أنيقت (١٥٥–١٥٦) والبابا إلوتار (١٧٤–١٨٩).
J. QUASTEN, *Initiation aux Pères de l'Église,* I, Paris, 1955, p. 335-336.

(١٧) أوسابيوس القيصريّ، **التاريخ الكنسيّ**، المجلّد الأوَّل، ١٧ (٢٠٠٦)، ص ٢٧٧.

توازيات قليلة، والهدف مختلف كلَّ الاختلاف عمّا توخّته الأناجيل. مثلاً، هدف يوحنّا: "لكي تؤمنوا أنَّ يسوع هو المسيح ابن الله وإذا آمنتم كانت لكم الحياة باسمه" (يو ٢٠: ٣١). وهدف لوقا أن يجعل المؤمنين "يعرفون صحَّة التعليم الذي تلقَّوه" (لو ١: ٤). أمّا **إنجيل العبرانيّين وإنجيل الإبيونيّين وإنجيل النصارى** وغيرها من الأناجيل فتوخّت أن تطلق أفكارها الخاصَّة تجاه التعليم الرسميّ في الكنيسة الكبرى. راح لوقا يسأل "شهود عيان وخدَّام الكلمة" (آ ٣)، ليكون بدوره خادم إنجيل المسيح، لا خادم "إنجيل آخر" كما قال بولس الرسول للغلاطيّين (غل ١: ٧).

* * *

وفي النهاية، نقدِّم نصوص **إنجيل العبرانيّين** التي وردت عند جيروم وعند ديديم. النصّ الأوَّل يرد في شرح أشعيا:

"... حسب الإنجيل في اللغة العبرانيّين الذي يقرأه الناصريُّون، كلُّ ينبوع الروح القدس ينزل عليه... في الإنجيل أشرنا إليه الآن، اكتشفنا أنَّه كُتب هذا. وحصل أنَّه حين أصعد الربُّ من الماء، نزل كلُّ ينبوع الروح القدس وحلَّ عليه وقال له: "يا ابني، انتظرتك، في كلِّ الأنبياء، أن تأتي لكي أرتاح فيك. فأنتَ راحتي، أنت ابني البكر الذي يملك إلى الأبد" (١٨).

ما نلاحظ في هذا النصِّ هو عدم التمييز بين الأقانيم. الروح حلَّ على يسوع، هو أمر معروف مع إنجيل لوقا: "روح الربِّ عليَّ، لأنَّه مسحني... أرسلني" (لو ٤: ١٨). ولكنَّ الآب، لا الروح، هو الذي يدعوه "ابني" في المعموديَّة. وهكذا نجد توسُّعًا في ما سمع الابن حين كان يوحنّا يعمِّده: هذا هو ابني الحبيب، عنه رضيت.

فالاختلاف واضح بين ما قالت الأناجيل الأربعة (مت ٣: ١٣-١٧؛ مر ١: ٩-١١؛ لو ٣: ٢١-٢٢؛ يو ١: ٢٩-٣٤) وما قال **إنجيل العبرانيّين**. ذاك ما سبق ورآه جيروم نفسه. قال هذا: يستند هذا الإنجيل إلى أش ١١: ١-٣، وهو قول نبويّ يجد تتمَّته في مشهد الأردنّ: فمختلف المواهب الروحيَّة التي يعدِّدها النبيّ تلتقي في المسيح الذي كان آخر من تقبَّلها. هذا يلتقي مع يوستين في **حواره مع تريفون**:

٨٦ تُظهر لنا إذن الكتب المقدَّسة أنَّ المسيح بعد صلبه سيعود من جديد في المجد. إسمعوا كيف أنَّ يسوع هذا كان له رمز، هي شجرة الحياة التي كانت مغروسة في الفردوس.

...

وقد بيَّنّا من هذه الكتب أنَّ الإله لم يكن الله الآب.

...

وقد أعلن أيضًا عن المسيح في نصوص كثيرة من الكتب المقدَّسة.

...

"كذلك مسحك إلهك يا الله بدهن البهجة أفضل من شركائك" (مز ٤٥: ٨)

وفي الواقع، جميع الملوك وجميع المسحاء يستمدُّون اسمهم منه كملوك ومسحاء.

كما تسلَّم هو نفسه من الآب ألقاب ملك ومسيح وكاهن وملاك وسائر الألقاب المشابهة...

٨٧ ...

"ويخرج قضيب من جذر يسَّى وينمي فرعٌ من أصوله.

ويستقرُّ عليه روح الربّ، روح الحكمة والفهم..." (أش ١١: ١-٣)

هبات الروح هذه التي يعدِّدها الكلمة، لا يعلن أنَّها ستحلُّ عليه لأنَّه كان خاليًا منها، ولكن كان ينبغي أن تحلَّ عليه لأنَّها تنتهي إليه، إلى حدِّ أنَّه لم يعد أنبياء في ملّتكم كما كان في القديم، وهذا ما تستطيع أن تراه بعينيك..." (١٩).

أطلنا الإيراد من يوستين ابن القرن الثاني المسيحيّ، وهو المولود في نابلس (فلسطين)، لأنَّنا رأينا المناخ الذي وُلد فيه

(١٨) JÉRÔME, *Commentaire sur Isaïe*, IV, cité dans *EAC*, I, p. 459.

(١٩) القدِّيس يوستينوس، **الدفاع عن المسيحيّين، الحوار مع تريفون**، تعريب الأب جورج نصُّور، الكسليك، ٢٠٠٧. أقدم النصوص المسيحيَّة، سلسلة النصوص الليتورجيَّة، ٧، ص ٢٨١-٢٨٥ (عدد ٨٦-٨٧). راجع إيرينه، **الردّ على الهراطقة** ٣/٩: ٣١؛ ٣/١٧: ١.

إنجيل العبرانيِّين. وكان بالإمكان أن نذكر **الردّ على الهراطقة** الذي تركه لنا إيرينه (١٣٠–٢٠٢ تقريبًا) أسقف ليون.

ويلتقي **إنجيل العبرانيِّين** مع **إنجيل الإيبونيِّين** حين يقول "حين أصعد الربُّ من الماء" (مت ٣: ١٦؛ مر ١: ١٠). قال **إنجيل الإيبونيِّين**: "وبعد أمور كثيرة، يأتي هذا أيضًا: "حين اعتمد الشعب أتى يسوع أيضًا ليعتمد بيد يوحنّا. وإذ أصعد من الماء انفتحت السماوات ورأى الروح القدس بشكل حمامة ينزل ويدخل فيه. وجاء صوت من السماء يقول: "أنت ابني الحبيب، عنك رضيت". وقال أيضًا: "أنا اليوم ولدتُك..." [٢٠].

وإذ قال **إنجيل العبرانيِّين** "كلُّ ينبوع الروح القدس"، أي مجمل صفات الحكمة الإلهيَّة، حسب أش ١١: ١–٣، جاء قريبًا من **الأقوال السيبليَّة** (٦: ٤–٨): "وإذ اغتسل الابن على شاطئ نهر الأردنّ... رأى الإله الصالح يأتي بواسطة الروح، مع جناحين بيضاوين ليمامة: فالنبتة التي لا عيب فيها ستزهر، والينابيع تبدأ تتفجَّر".

ونقرأ: "وحلَّ عليه" (يو ١: ٣٢). "وقال له" الصوت الآتي من السماء ليس صوت الآب وصوت الروح القدس، كما سبق وقلنا. وإذ يعلن الروح القدس "هذا ابني" يدلُّ على أنَّه أمُّ يسوع. عن أوريجان في تفسير يوحنّا أخذ جيروم هذا المقطع.

ويتواصل إيراد جيروم: "في كلِّ الأنبياء انتظرتك أن تأتي" (حك ٧: ٢٧؛ سي ٢٤: ٧). هذا التعليم هو الذي تنظَّم في بعض طبقات الرواية البسودوإقليميَّة، حيث يشكِّل المسيح آخر ظهور للنبيّ الحقيقيّ الذي يعود من جيل إلى جيل بحثًا عن الراحة الإسكاتولوجيَّة.

إذًا، لا نعتبرها شاقَّةً أتعاب هذا السفر، لأنَّه تكون الراحة في نهايته. والنبيّ الحقيقيّ نفسه الذي يركض منذ بداية الأزمان في العالم الحاضر، يُسرع هو أيضًا نحو الراحة [٢١].

ولكنِّي أعود إلى الموضوع الأوَّل لعرض الحقيقة. إذا كان الإنسان الذي ولدته يدا الله لا يُمنَح له امتلاك الروح القدس، روح المسيح، أما نقترف أسوأ كفرٍ حين نمنحه لآخر وُلد من قطرة قذارة.

وعكس ذلك. فالتقوى السميا تقوم بأن نرفض هذا الامتلاك لآخر، وبأن نعطيه لمن هو وحده، منذ بداية الدهر الحاضر، يرتدي أشكالاً مختلفة ويبدِّل أيضًا أسماءه فيعبر هكذا هذا الدهر إلى أن يصل إلى الأزمنة التي هي أزمنته، بعد أن مسحَتْه رحمةُ الله بالنظر إلى أتعابه بحيث يمتلك الراحة على الدوام [٢٢].

أجل، المسيح هو في خطِّ الذين سبقوه. ولكنَّه "البكر" (كو ١: ١٥؛ عب ١: ٦). وقد يرادف هذا اللقب لقب الابن الحبيب الذي نقرأه في مت ٣: ١٧؛ مر ١: ١١.

* * *

ونقرأ جيروم في **شرحه للرسالة إلى الأفسسيِّين** (٣) مقطعًا من **إنجيل العبرانيِّين**:

يليق بالأحرى بالقدِّيسين، أن يبكوا وأن يكتئبوا أيضًا حسب الإنجيل العبرانيّ حيث نقرأ أنَّ المسيح قال لتلاميذه: "لا تكونوا فرحين ما دمتم لا تنظرون أخاكم بمحبَّة" [٢٣].

هذا يعود بنا إلى شرح أف ٥: ٣–٤: فقول يسوع حول الأولويَّة المطلقة للمصالحة الأخويَّة، نقرِّبه من مت ٥: ٢٣–٢٤ ("إذهب وصالح أخاك"). جاءت الترجمة "تنظرون أخاكم بمحبَّة"، بشكل عامّ. لهذا، حين نقابل هذه العبارة مع مت ١٨: ١٥ ("إذا خطئ أخوك...") نستطيع أن نترجم: "ما دمتَ لا تنظر أخاك نظرة محبَّة"، تتعامل معه بالمحبَّة.

---

(٢٠) EPIPHANE, *Boîte à remèdes* 13, 7-8, cité dans *EAC*, I, p. 452.
يبدو هذا النصّ أقرب إلى الأناجيل الإزائيَّة، فيورد كلام الآب في صيغتين: «عنك رضيت» كما في متّى ومرقس، ثمَّ «أنا اليوم ولدتك» كما في إنجيل لوقا. ونلاحظ الفرق بين «صعد» (هنا) و«أصعده» في إنجيل العبرانيِّين، حيث المسيح ينفعل ولا يفعل.

(٢١) **الاستعرافات** ٢/٢٢: ٤. Reconnaissances in *EAC*, II, p. 1701

(٢٢) **العظات البسودوإقليميَّة**، العظة الثامنة ٢٠: 4. *EAC*, II, p. 1287-1288 هنا نذكر ماني الذي جعل نفسه في سلسلة الأنبياء منذ آدم ودعا نفسه خاتمة الأنبياء.

(٢٣) *EAC*, I, p. 461.

ونقرأ مقطعًا ثالثًا من جيروم يرد في **تفسير حزقيال** (٦):

"الإنجيل الذي يُدعى حسب العبرانيّين والذي نقلته مؤخَّرًا إلى اليونانيَّة واللاتينيَّة، يعتبر مذنبًا بأكبر جريمة ذاك الذي يُحزن روح أخيه"(٢٤).

شرح جيروم حز ١٨: ٥–٩، وقدَّم فكرة تقول إنَّ ذنبًا ضدَّ عضو في الجماعة هو خطير جدًّا (رج مت ١٨: ٦). ويوضح النصّ: "من يحزن روح أخيه"، فيقابل هذا الكلام مع حز ١٨: ٧ ("لا يظلم أحدًا، يردُّ للمديون رهنه، لا يغتصب اغتصابًا خير أحد. يبذل خبزه للجائع، ويكسو العريان ثوبًا") ومع أف ٤: ٣٠ ("لا تحزنوا روح الله القدُّوس الذي خُتمتم به ليوم الفداء"). ونستطيع أن نضيف أش ٦٣: ١٠ ("ولكنَّهم تمرَّدوا وأحزنوا روح قدسه...")؛ رو ١٤: ١٥ ("فإذا أسأتَ إلى أخيك... فأنت لا تسلك في طريق المحبَّة").

ما نلاحظ هنا وجود النصوص الكتابيَّة التي تلهم **إنجيل العبرانيّين**. ففي كلام عن القيامة، نعود إلى الإفخارستيّا مع لو ٢٤: ٢٩–٣١، ٣٣، مع فرضيَّة تقول إنَّ يعقوب أخا الربِّ شارك في العشاء الأخير، وهذا أمر مستبعد، ممّا يجعلنا في إطار يهومسيحيّ. والذهاب إلى يعقوب والظهور له يحيلنا إلى ما قال بولس الرسول عن ظهورات المسيح، ومنها إلى أخي الربّ (١ كو ١٥: ٧). وكأس الربّ يحيلنا إلى الرسالة الأولى إلى كورنتوس حيث يرد اللفظ مرَّتين. مرَّة أولى في كلام عن عبادة الأوثان (١٠: ١ي): "لا تقدرون أن تشربوا كأس الربِّ وكأس الشيطان..." (آ ٢٢). ومرَّة ثانية عند ذكر دعاء الربِّ في الفصل الحادي عشر: "وكذلك أخذ الكأس بعد العشاء قال: هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي..." (آ ٢٤). وفي آ ٢٧: "فمن أكل خبز الربِّ وشرب كأسه..." (آ ٢٧).

وبعد ذكر العشاء السرِّيّ كما في الخبر التقليديّ الوارد في الأناجيل (مت ١٦: ٢٦؛ مر ١٤: ٢٢؛ لو ٢٢: ١٩: "أخذ خبزًا وبارك وكسر وأعطى") وعند بولس الرسول (١ كو ١١: ٢٣–٢٤)، يشير **إنجيل العبرانيّين** إلى يعقوب البارّ. هكذا يدعوه **إنجيل توما** (قولة ١١٢): "قال التلاميذ ليسوع: "نحن نعرف أنّك تتركنا، فمن يكون الكبير علينا؟" فقال لهم يسوع: "من أيِّ مكان أتيتم، تمضون إلى يعقوب البارّ. فلأجله صَنعتُ السماء والأرض" (٢٥).

* * *

ذاك ما أردنا أن نقوله عن **إنجيل العبرانيّين**، الذين وُلد في محيط يهومسيحيّ، في مصر على ما يبدو، ودُوِّن في اللغة اليونانيَّة. ولكنَّ كلام القدِّيس جيروم يجعلنا نتريَّث بعض الشيء. فهو القائل إنَّه نقل النصَّ إلى اليونانيَّة. فهل هناك نسختان لهذا الإنجيل؟ الأمر ممكن. ولكن يبقى أنَّ النصوص التي قرأنا جاءت في اليونانيَّة أو اللاتينيَّة.

أمّا مضمون هذا الإنجيل وما يشبهه من أناجيل أتينا على ذكرها، وهي التي وُلدَت في المحيط عينه، فهو يشبه ما نجد في الأناجيل القانونيَّة، مع غاية جديدة وقراءة مختلفة. نحن مع هذه الأناجيل خارج الكنيسة الكبرى، وهذا ما يفسِّر ضياع **إنجيل العبرانيّين** وغيره، ووجود مقاطع منه في كتب آباء الكنيسة، للردِّ على أفكار لا تتوافق والتعليم المستقيم.

وفي النهاية نعرف أنَّ وجود الأناجيل العديدة في القرون المسيحيَّة علامة غنى وانفتاح المسيحيِّين على الحضارات التي يعيشون فيها. وإذ نحن نذكرها لا نتوخَّى أن نضيف على الأناجيل القانونيَّة الأربعة ما يُغني العقيدة المسيحيَّة، بل أن نبرز جوانب من تاريخ الكنيسة يضيء على الأدب الشرقيّ اللاحق ويفهمنا انطلاقة التيَّارات الفكريَّة التي لا تزال حاضرة في وجداننا وفي المحيط الذي نعيش فيه.

(٢٤) المرجع السابق.

(٢٥) **إنجيل توما** ١٢. *Écrits gnostiques*, Gallimard, 2009, p. 311. راجع ما قاله هيجسيب في أوسيب، **التاريخ الكنسيّ** ٢/٢٣: ٤–٧، ١٦؛ ٤/٢٢: ٤.

ملفات الكتاب المقدس

السنة السادسة

تموز 2005

الأناجيل المنحولة

21

بقلم عدد من الإختصاصين

تعريب: الأرشمندريت أنطوان نصر

مركز الدراسات الكتابية
الموصل / العراق

إنجيل العبرانيّين

الأب بيتر مدروس
دكتور في العلوم البيبليّة

مقدّمة

ينتمي إنجيل الطفولة العربيّ إلى مجموعة أناجيل الطفولة المنحولة التي تروي أحداثًا ومعجزات معظمها أسطوريّة تدّعي أنّ يسوع قام بها في أثناء طفولته، في بداية حياته العلنيّة. تبغي تلك الكتابات أن تعوّض، من جهة، عن اقتضاب الأناجيل القانونيّة، لتشفي فضوليّة الشعب المسيحيّ وتقواه، أن تبيّن، من جهة أخرى، [١] ألوهيّة السيّد المسيح المُختبئة في طفولته.

الأناجيل المنحولة التي تتناول هذا الموضوع وهذه الفترة هي: **إنجيل توما المنحول**، القسم الثاني من **إنجيل متّى المنحول**، والصيغ المتعدّدة **لإنجيل الطفولة العربيّ**. ويضمّ بعض الكتّاب إلى هذه المجموعة **قصّة يوسف النجّار**. ولكن يلحظ المرء أنّ فيها فقرات قصيرة عن يسوع.

"ليس إنجيل الطفولة العربيّ سابقًا على الأرجح للقرن السادس الميلاديّ. جزؤه الأوّل يستند إلى **إنجيل يعقوب التمهيديّ**، وجزؤه الأخير إلى **إنجيل توما المنحول** (لا الغنوصيّ) . يتضمّن القسم الأوسط قصصًا عدّة من أساطير شرقيّة مثيرة في البعض منها، أمّا مسرحها فهو مصر، لغته الأساسيّة سريانيّة، ومنها نُقل إلى العربيّة في ثلاث روايات"[٢].

معظم ما سيرد هنا مقتبس من بحث الأب ماريو بروفيرا السالسيّ (Mario Provera)[٣]. وسيستشهد هذا البحث بأرقام جُمَل هذا "الإنجيل" (لا التقسيم بفصول وجُمَل).

لا يقتصر **إنجيل الطفولة العربيّ** على فترة الطفولة، بل يسرد روايات تسبقها وتلحقها، روايات مأخوذة من **إنجيل يعقوب المنحول**.

وتحوي النسخة السريانيّة ومخطوط المكتبة اللورنسيانا ملحقًا على حياة الربّ العلنيّة، وهو مختصر لأعظم الأحداث شأنًا من معموديّة يسوع إلى الآلام والموت والقيامة والعنصرة.

كان **إنجيل الطفولة العربيّ** معروفًا في أوّل الأمر عن طريق مخطوط "سيكه" (Sike) المُكتشَف في تركيا. يعود المخطوط إلى فترة متأخّرة، وليس محفوظًا بشكل جيّد. أمّا كرافيري (Craveri) فيكتب أنّه استخدم أيضًا مخطوط اللورنسيانا، ولكنّ بعض العبارات ليست واضحة.

أصل إنجيل الطفولة العربيّ

ما استخدم معظم الباحثين إلاّ مخطوط "سيكه" . ويبدو

(١) *I Vangeli Apocrifi* , Torino, 1969, pp. 145- 146.
(٢) **الاناجيل المنحولة**، ترجمة إسكندر شديد، نسبيه– غوسطا، ١٩٩٩، ص ٤٩.
(٣) M. PROVERA, *Il Vangelo Arabo dell'Infanzia* , fpp, Gerusalemme 1973.

أنّ وضعه الحاليّ لا يتطابق مع الأصليّ، بل زيد عليه الكثير بقلم كتّاب لاحقين متعدّدين، كانوا، بسبب أهوائهم أو احترامًا لتقاليد شعبيّة محليّة، يضيفون أمورًا جديدة[٤]؛ ويشهد مخطوط اللورنسيانا لتلك الحقبات المُتتالية في الكتابة[٥].

ويرى المرء في مخطوط "سيكه" عناصر متفرّقة، مثل معجزات العذراء.

يبدو أنّ **إنجيل الطفولة العربيّ** تعريب غير موفّق ومُستفيض لأصل سريانيّ أكثر قِدَمًا، كما كتب العالِم تيشندورف في مقدّمته لطبعة الأناجيل المنحولة. ويثبت ذلك بأنّ النصّ يتبع التقويم السريانيّ، ويخلط بين الحَبْر قيافا والمؤرّخ فلافيوس يوسيفوس، وهو خلط تميّز به السريان (!) وبعض الروايات التي يجدها المرء فقط في كتابات بعض الأساقفة النسطوريّين[٦].

يُثبت مخطوط اللورنسيانا الأصل السريانيّ **لإنجيل الطفولة العربيّ**؛ ففي مقدّمة الكتاب يُذكَر اسم الأسقف يشوع بن نون، أي إيشوعداد المروزيّ، أسقف "حداثا" النسطوريّ[٧].

وحافظ المُعرّب على عدد من الأسماء والعبارات السريانيّة، مثلاً الرسول توما مدعوّ "تآما"، مثل السريانيّة[٨]، وسمعان القانونيّ مسمّى "قينيا" واللفظة مرتبطة بـ "قينو" أي "عش". وكلمة "شليح" أو "سلِّيح" (من السريانيّة "شليحو") تشير إلى "الرسول" أو "الرسل"[٩]. كما أنّ مسار النصّ العربيّ يتبع عن كثب المخطوطات السريانيّة القريبة من الأصل، والتي نشرها بادج (W. Budge)، والأخرى السريانيّة التي نشرتها "الجمعيّة الآسيويّة" في لندن[١٠].

يرى "بيترز" (Peeters) أنّ النواة الأصليّة **لإنجيل الطفولة العربيّ** ترقى إلى ما قبل القرن الخامس، وبعدها أتت الزيادات[١١].

أمّا المخطوط الفاتيكانيّ فهو متأخّر (١٦٢٢ أو ١٦٢٣) لأنّه يتبع مخطوطة "سيكه" بشكل عامّ.

يبدو أنّ **إنجيل توما المنحول** كان النواة الأصليّة **لإنجيل الطفولة العربيّ**. ويجد المرء أثرًا **لإنجيل متّى المنحول** في روايات تقديم يسوع إلى الهيكل والهروب إلى مصر.

وهنالك مُعطيات مأخوذة من **إنجيل نيقوديموس** في الملحق حول حياة يسوع العلنيّة، وبالذات في رواية القيامة وسرد خلافات اليهود حولها.

القسم الأصليّ للكتاب

يرى الباحثون ذوو الإلمام أنّ أصل الكتاب هو الفصول الحادي عشر حتّى الحادي والأربعين من مخطوطة "سيكه"، أو الفصول العاشر إلى الأربعين من مخطوط اللورنسيانا؛ فالمعجزات التي يسردونها ليست مُقتبَسة من كتابات منحولة سابقة بل من تقاليد محليّة. ويبدو أنّ تجميع كلّ تلك العناصر تمّ بعد القرن الخامس. لاحقًا انتقل النصّ إلى الترجمة الأرمنيّة ثمّ العربيّة.

من صفات إنجيل الطفولة العربيّ

لا يدّعي أنّه ملهم موحى به، بل يصف نفسه بأنّه "قصّة" أو "كتاب معجزات سيّدنا يسوع المسيح". ولا يدقّق

(٤) M. PROVERA, *op. cit.*, pp. 19 ss.
(٥) بسبب الملحق عن حياة يسوع العلنيّة.
(٦) TISCHENDORF, *Evangelia Apocrypha* , Leipzig ²1876, pp. XLVIII – XLIX.
(٧) M. Dunlop GIBSON, "The Commentaries of Isho'dad of Merv", *Horae Semiticae* 5 (1911), pp. 19-20.
(٨) TISCHENDORF, *op. cit.*, c. XXVIII, 2.
(٩) Id., *ibid, c. XLI, 2.*
(١٠) اكتشف بادج النصّ السريانيّ **لإنجيل الطفولة العربيّ** في مخطوط بقرب الموصل سنة ١٨٩٠، يعود إلى القرن الثالث عشر أو الرابع عشر.
(١١) M. PROVERA, *op. cit., 20 - 21*

الكاتب في صحّة التقاليد الشعبيّة المحلّيّة التي ينقلها [١٢]. ويميّز الكاتب قصّته عن الأناجيل القانونيّة التي يستشهد بها بوقار [١٣]. وسيلحظ المرء لاحقًا في هذا البحث، عند تحليل النّصّ، إيراده للعديد من التفاصيل التي قد يخجل منها الإنسان، والتي لا ترد البتّة في الأناجيل القانونيّة!

مخطوطة مكتبة اللورنسيانا

سيتبع هذا المقال نصّ المخطوط الشرقيّ رقم ٣٨٧ المحفوظ في مكتبة لورنسيانا، في مدينة فلورنسا (إيطاليا) والمكوّن من ٤٨ ورقة. نُسخ المخطوط في مدينة ماردين المنتمية اليوم إلى إقليم كردستان. في العصور الوسطى كانت تلك المدينة مزدهرة كمركز أدبيّ وتجاريّ، وانتقلت من مقرّ النسطوريّين إلى اليعاقبة منذ القرن الثاني عشر. وأصبحت مقرًّا بطريركيًّا. اسم النَسّاخ إسحق بن أبي الفَرَج بن القسّيس المتطبّب [١٤].

كُتب المخطوط سنة ١٦١٠ من التقويم السريانيّ، أي سنة ١٢٩٩ للحساب الميلاديّ.

في الهوامش ترد كلمات أو أحرف من النصّ نسيها النسّاخ.

تحوي الورقة الأخيرة تثليثًا للتقديس "قدّوس الله" مونوفيزيّ الطابع.

يصاحب النصّ ٥٤ رسمًا .

عن مخطوط اللورنسيانا يكتب "ثيلو" (Thilo): "يبدو أنّ هذه هي أقدم مخطوطة من كلّ التي نعرفها" [١٥]. ومع أنّ "بيترز" يشكّ في قِدَم المخطوط، غير أنّه يرى أنّه جدير بكلّ عناية [١٦].

لغة مخطوط اللورنسيانا

إنّها لغة عربيّة وسيطة بين السليمة ("الفصحى") والعامّيّة كما كان يتحدّث بها أهل غرب العراق في القرنين الثاني عشر والثالث عشر. يقع الكتّاب أو النسّاخون في أخطاء لغويّة وإملائيّة، ولا يتبعون قاعدة ثابتة في النقاط أو الشّكل (أي وضع الحركات). وهنالك جُمَل صعبة الفهم لأنّها منقولة عن السريانيّة بشكل غير موفّق.

لاهوت المسيح في مخطوطة اللورنسيانا

يطابق لاهوت المخطوطة معطيات العهد الجديد والتقليد الشريف [١٧]، مع أنّ فيها ميزات الكتابات المنحولة من إسهاب وشغف بالمعجزات غير المعقولة والأمور الصبيانيّة وتفاصيل "مُحرجة" مُخجلة أحيانًا. يشدّد الكاتب على ألوهيّة المسيح، مع أنّ شخصيّة السيّدة العذراء تبدو أيضًا الرئيسيّة. بالفعل، فيشوع يتكلّم عندما كان في المهد صبيًّا. ولاحقًا عندما تهرب الأسرة المقدّسة إلى مصر تتحطّم الآلهة في هياكلها. وأجاب صنم مفسّرًا الارتجاج الذي تمّ بوصول يشوع: "إنّ ها هنا إلهًا خفيًّا وله ابن مثله خفيّ عنده، وباجتيازه في هذه الأرض تزعزعت وارتجّت، ومن عظيم نوره سقطت الآلهة" (رقم ٥٥–٥٨). وعندما يصنع الطفل يسوع طيورًا من طين وتطير يستنتج رفاقه الأولاد: "أنت إذن ابن الخالق" (رقم ٢٤٨). وتظهر هذه البنوّة في مشهد معموديّة يشوع أيضًا، حيث يدعوه يوحنّا "يا سيّدي" (رقم ٣٠٩).

ولقب "السيّد المسيح" (وهو مقابل الـ"كيريوس" في اليونانيّة، و"موريو" في السريانيّة) دليل على ألوهيّة يسوع (رقم ١٧).

(١٢) K. ALAND, "The problem of anonymity and pseudonymity in the Christian literature of the first two centuries", *Journal of Theological Studies,* (1961) 31.

(١٣) M. PROVERA, *op. cit.*, p. 25.

(١٤) المرجع نفسه، ص ٢٦ – ٢٧.

(١٥) *Codex apocryphus Novi Testamenti*, I, Leipzig 1832, p. XXXI.

(١٦) *Évangiles Apocryphes* II : *L'Évangile de l'Enfance. Rédactions syriaques, arabes et arméniennes* traduites et annotées, Paris 1914, p. VIII.

(١٧) بروفرا، المرجع نفسه، ص ٤٠ي.

وتبدو إنسانيّة يسوع في عناصر كثيرة منها الحَمْل به كإنسان طبعًا، ورضاعته من العذراء التي قمّطته وأضجعته في معلف (رقم ١٥–١٦)، وختانه (رقم ٣١ي). وفي كلّ رواية تقريبًا إشارة إلى ناسوت المسيح، خصوصًا في الآلام والصلب، حتّى في نبوّة زردشت (رقم ٤).

التأثير النسطوريّ على مخطوطة اللورنسيانا

أوّل عنصر هو – كما أسلفنا – ذِكر الأسقف ايشوعداد النسطوريّ، ثمّ الخلط بين يوسيفوس فلافيوس وألحبر قيافا (كما عند بعض الكتّاب النسطوريّين، مثل جورجس وردا وسليمان من البصرة) [١٨]، وطريقة تحيّة السيّدة العذراء سريانيّة لا عربيّة [١٩]، واسم يسوع هو بحرف الشين يشوع حسب السريانيّة.

تحليل النصّ

يبدأ بعبارة "بسم الله الرحمن الرحيم" : يعتقد بروفيرا أنّ القرآن هو الذي أثّر على هذا النصّ [٢٠].

– نبوّة "زردشت" المجوسيّ – الذي يضعه الكاتب في عهد موسى... – إنّ عذراء ستحمل من غير رجُل، ويَصلب اليهود ابنها، ويُبعَث من بين الأموات (رقم ٢ي)، تأتي كإطار أو سبب لزيارة المجوس.

– لا دليل على مثل هذه النبوّة في الكتابات المجوسيّة.

– رقم ٦ي: يتبع الكاتب إنجيل لوقا ويؤرّخ الإحصاء (الاكتتاب) منذ الإسكندر (٣٠٤ سنوات). العذراء تعبس وتبتسم في نفس الوقت: تعبس لأنّ اليهود المبصرين أصبحوا عميانًا، والشعوب التي في الظلمة والعَمى صارت بصيرة.

– رقم ١١ : "القرية" إشارة إلى بيت لحم، ربّما بتأثير من السريانيّة مَـحُـا. – "المغارة" : يبدو أنّ القدّيس يوستينوس النابلسيّ أوّل من ذَكَر المغارة – التي يحويها ضمنًا نصّ إنجيل لوقا الذي يذكر "المذود" (هنا: "المعلف") ثلاث مرّات في فصله الثاني.

– رقم ١٦–١٩: تراءت الأجناد السماويّة، فأشبهت المغارةُ البيعةَ العلويّة (أي الكنيسة السماويّة)، لأنّ الأفواه السماويّة والألسنة الأرضيّة كانت تمجّد وتعظّم ميلاد السيّد المسيح. هذا صدى لنصّ فيليبّي ٢ : ١٠ تحقيقًا لنبوة أشعيا ٤٥ : ٢٣، ثمّ لرومية ١٤ : ١١.

– رقم ٢٤: بعض الناس زعموا أنّ المجوس كانوا ثلاثة على عدد القرابين أي الهدايا (أو اثنا عشر أو عشرة ومعهم ألف ومئتا رجُل!). وهديّة المجوس فرس.

– رقم ٢٨–٣٢ : أعطت السيّدة العذراء من قماط يشوع، وأخذه المجوس إلى بلادهم ورموه في النار ولكنّها ما حرقته، فراحوا يكرمونه ويقبّلونه، وادّخروه عندهم بالكرامة الجليلة.

– رقم ٣٣: تأخذ العجوز القابلةُ العبريّةُ جلدةَ ختانِ يشوعَ وتسلّمها لابنها سائلة أن يضعها في قارورة دهن الناردين الفايق (أي الفائق)، فلا يبيعها حتّى لو قُدّمت له ثلاثمائة دينار (مثل سعر الناردين الذي سكبته امرأة على يسوع حسب ما قدّر يهوذا الإسخريوطيّ).

– رقم ٤٤: حنّة النبيّة تمجّد الله وتعطي الطّوبى لمريم! هذا ما علينا أن نفعل كمسيحيّين!

– رقم ٤٩ : أصبح يوسف (والأسرة) بقرب قرية فيها جنّيّ طاغ، أي أحد الشياطين الظالمين، كان يسكن في صنم من أوثان مصر.

– رقم ٥٠ : كان بحضرته "إمام" : كلمة من تأثير إسلاميّ تشير إلى رجُل دين.

(١٨) المرجع السابق، ص ٤٧ي.

(١٩) THILO, *op. cit.*, XXXV, nr. 25.

(٢٠) بروفرا، المرجع نفسه، ص ٣٥، ويرى أنّ لا مانع عند المسيحيّين من استخدام تلك العبارة، في حين أنّ آخرين يظنّون أنّ خلاف ذلك هو الصحيح.

– رقم ٥٣ : البيمارستان : المَضافة أو النُزُل أو الفندق.

رقم ٥٤ : كاهن، كهنة الأوثان هي هنا : سادن، سدنة.

– رقم ٥٩ : الإله الخفيّ المخفيّ، قد يذكّر بالإله المجهول الذي عمل له الأثينيّون حسابًا وبشّرهم به القدّيس بولس .

– رقم ٦٨–٧٢: تخاف السيّدة العذراء والقدّيس يوسف من عواقب تحطيم أصنام المصريّين، فهربَا مع الطفل يسوع. ومرّت الأسرة المقدّسة بقرب لصوص، فسمع اللصوص "ضجيجًا كأنّه جلبة ملك قد ورد مدينته ومعه خيول وطبول"، فجزعوا وتركوا كلّ ما سلبوه.

يلحظ المرء تشديد هذا "الإنجيل" على ملكيّة يسوع.

– رقم ٧٣: عندما سأل المصريّون السيّدة العذراء والقديّس يوسف، "أين الملك الذي سبّب كلّ تلك الجلبة؟"، أجابَا (من باب الخوف، لئلاّ يحصل في مصر كما حصل مع هيرودس الناوي قتل الطفل يسوع): "سوف يأتي بعدنا"!

– رقم ٧٣ي: امرأة مجنونة تقيم في المدافن وتحطّم السلاسل: محاكاة لنصّ الإنجيل المقدّس عن الممسوس ساكن القبور في بقعة الجراسيّين (مر ٥ : ١ي).

– رقم ٧٥: رأتها مريم ورحمتها! دور السيّدة العذراء سامي المقام مثير للاهتمام، وخصوصًا عبارة أنّها "رحمت" تلك المرأة.

– رقم ٧٦: (مضى الشيطان) كالرجُل الشاب : يظهر إبليس بمظهر شاب. وقال :"ويلاه منك ومن ابنك يا مريم"؛ فالعذراء بعد ابنها موضع فزع الشياطين وسائر قوى الشرّ بما أنّها المرأة التي سحق نسلُها رأس الحيّة (عن تك ٣ : ١٥).

– رقم ٧٩: في قرية أخرى يُخرس الشيطان عروسًا رأت الطفل يسوع وحضنته وقبّلته. "فتصاعدت رائحة جسمه، وانحلّ عقال لسانها وصمَم أذنيها... وظنّ (أهل العرس) أنّ الله مع ملائكته (إعلان ألوهيّة المسيح) قد نزل عليهم". قد يجد المرء هنا صدى لمعجزة يسوع مع الأبكم الأصمّ (مر ٧ : ٣١ي).

– رقم ٨٣: امرأة يمسّها الشيطان، ويظهر لها بصورة حيّة، ويجامعها بذَنَبه (!)ترى الطفل يسوع، وتطلب من السيّدة العذراء أن تحمله وتقبّله. وبعدما تفعل، يهرب الشيطان.

– رقم ٨٩: صبيّة برصاء عمدت إلى الماء الذي غسلت به المرأة الممسوسة سابقًا الطفل يسوع، فبرأت الصبيّة. وقال القوم إنّ يشوع ومريم ويوسف آلهة لا بشر.

– رقم ٩٠ي: امرأة قائد جليل أنجبت له ولدًا أبرص، فهدّد بتركها. تقول لها الصبيّة (التي بنفسها برئت من برص، رقم ٩٥) . يُغسَل الطفل يسوع بماء، وبعده الصبيّ الأبرص، فيطهر.

– رقم ١٠٢: تطوّب زوجةُ القائد "والدَي يسوع". تهنئة مؤثّرة لا نجدها في الأناجيل.

– رقم ١٠٢ي: تبيت الأسرة المقدّسة عند "عريس مربوط من زوجته" (بسبب سِحر)، فينحلّ رباطه.

– رقم ١٠٦ي: ثلاث شقيقات كان لهنّ شقيق همّ بالزواج، فتغايرت عليه النسوة وسحرنه وحُوِّل إلى بغل. توصي الصبيّة البرصاء السابقة الشقيقات أن يذهبنَ إلى مريم، فيذهبن ويقلن للعذراء : "يا ستّنا (لهجة عاميّة) مريم! إرحمي إماك (أي إماءك)... وهذا البغل كان أخانا!". يركب يسوع ظَهْرَ البغل فيجعله إنسانًا. وسجد لمريم مع أمّه وأخيه (أي أخواته)".

– رقم ١٣٠–١٣١: "طوبى لوالدتك يا يشوع" (صدى للتطويبة التي نقرأها في لو ١١ : ٢٧ : "طوبى للبطن الذي حملك")، و"طوبى للعيون التي تلتذّ بالنّظر إليك"– تطويبة جميلة تذكّرنا بقول الربّ يسوع في مت ١٣ : ١٧: "الحقّ أقول لكم: إنّ كثيرًا من الأنبياء والصدّيقين تمنّوا أن يروا ما تبصرون فلم يروا، وأن يسمعوا ما تسمعون، فلم يسمعوا".

– رقم ١٤٢ي: تسير الأسرة المقدّسة في أرض قفر فيها لصّان نائمان كان مفروضًا أن يحرسَا باقي اللصوص. وعندما

استيقظَا ورأيَا الأسرة المقدّسة قال أحدهما، هو طيطوس، للآخر، وهو دوماحوس: "أسألك أن ترشدهم السبيل ليمضوا ولا يشعر بهم أصحابنا". فأبى دوماحوس، ودفع طيطوس له أربعين درهمًا (أمّا تقدير العبرانيّين ليسوع وثمن خيانة يهوذا له فكان ثلاثين من الفضة) وكمَرين (أي حزامَين)، فدعت السيّدة العذراء لطيطوس: "ليلحظك (لتلحظك) رحمة الربّ إلهنا، ويمنحك المغفرة من خطاياك". "هذان هما اللذان صُلبَا مع يشوع عن يمينه وعن شماله".

معروف أنّ التقاليد والحكايات حول اللصّين كثيرة ومتعدّدة، وكذلك التفنّن في تسميتهما.

– رقم ١٥٣: يوصف السيّد المسيح، الطفل المليك، بأنّه "صاحب البلاد"؛ فهيرودس وأركيلاوس المتحكّمان به هما في الواقع زعيمان مزيّفان، أمّا الملك الحقيقيّ فهو يسوع. ويذكر المرء هنا أنتيفونة تنشدها الليتورجيّا اللاتينيّة عشيّة الميلاد المجيد :"لقد تعظّم ملك السلام الذي تشتهي الأرض كلّها رؤية وجهه".

– رقم ١٥٤: كان لامرأة ابن "ممرض" أي مريض. جاءت إلى مريم البتول ووجدتها تسبّح ابنها (يشوع) في الماء. سبّحت المرأة ابنها في ذلك الماء وتعافى.

– رقم ١٦٠: امرأة أخرى عُميت عينَا ابنها وتألّم من صداع شديد. ومضت وأخذت الماء الذي يسبّح فيه يشوع الطفل، فعوفي ابنها.

– كلّ تلك المعجزات قد تُشير أيضًا إلى المعموديّة.

رقم ١٦٥: تنهج السيّدة العذراء سياسة "السرّ المشيحانيّ" التي سينهجها الربّ يسوع المسيح لاحقًا: "إيّاك أن تُطلِع(ي) أحدًا !"، مع أنّ المعجزات ما تمّت في الخفاء ولا كانت قليلة.

– رقم ١٦٥: كانت هناك امرأتان لرجُل واحد: إشارة إلى واقع تعدّد الزوجات الذي ما أجازته التوراة قَطّ، ولكنّ التلمود البابليّ تقبّله وأعطى احتمال خمس زوجات لليهوديّ الواحد، وأقصى حدّ ثماني عشرة، أسوةً بداود الملك[٢١].

– رقم ١٦٦: شُفيَ طفل إحدى الزوجتين (المدعوّ قليوفا) بعد أن ذهبت أمّه إلى مريم العذراء وتوسّلت إليها بطلبها منها أحد أقمطة يسوع الذي حوّلته إلى قميص لبسه ابنها فتعافى. أمّا ابن "ضرّتها" (الكلمة من تأثير عربيّ إسلاميّ) فقد مات إذ لم تستجر أمّه بالعذراء. تأجّجت الغيرة في قلب المرأة (الضّرّة – و"الضّرة مُرّة ولو كانت عسلاً في الجرّة"!)، وغافلت أمّ قليوفا ورمت به في التنّور، ولكنّه بقي فيه سالمًا غانمًا بمعجزة.

– رقم ١٧٧: في وقت لاحق، طرحت الضرّة قليوفا في "بير" أي بئر، ولكنّ قوم البئر رأوه بعد ذلك جالسًا فوق الماء، فأخرجوه سليمًا .

كلّ هذه المعجزات وغيرها تؤكّد شفاعة السيّدة مريم البتول والإيمان الوطيد العريق بهذه الوجاهة الوالديّة لدى المسيح الابن المُحبّ المحبوب.

– رقم ١٨١: شكت أمّ قليوفا ضرّتها إلى العذراء التي أجابتها : "أسكتي، فإنّ الله سينتقم لكِ منها". ثمّ جاءت الضرّة لتملأ الماء من "البير" (البئر)، فعلقت الحبال برجلَيها، فأخروجها وقد تطحّن رأسها وتكسّرت عظامها وماتت، فتمّ قول القايل، أي "القائل" (وهو صاحب المزامير): "حفروا حفرة وعمّقوها، فوقعوا في الهوّة التي عملوها" (مز ٧ : ١٦ في صيغة المفرد).

تأنف تقوانا وذوقنا السليم وحسّنا المسيحيّ القويم أن نقبل على لسان العذراء وفي قلبها انتقامًا أو تأييدًا للانتقام،

(٢١) رج **التلمود البابليّ**، طبعة سونتشينو، سنهدرين ٢١، وشهادة فلافيوس يوسيفوس، **العاديات اليهوديّة** ١٧، الجزء الأوّل، الفقرة الثانية؛ القدّيس يوستينوس النابلسيّ الشهيد في **الحوار مع تريفون اليهوديّ**، رقم ١٣٤، وأيضًا بشكل عامّ **التلمود البابليّ**، كتيّب "كتوبوت"، أي "عقود الزواج"، وتشبهها العبارة العربيّة الإسلاميّة "كُتْب الكتاب".

(٢٢) المرجع نفسه، ص ٣٥–٣٦.

وإن كانت العزّة الإلهيّة تُعاقب البشر أحيانًا في هذه الدنيا، على خطاياهم.

١٨٥ – إمرأة لها ابنان توأمان، مات الأوّل، وقارب الآخر على الموت، فحملته أمّه وأتت إلى مريم العذراء وبكت بمرارة، فقالت لها البتول: "ضعي ولدك في سرير يشوع"، فشفي في الحال، وهذا هو توما الرسول (حسب التسمية السريانيّة الشرقيّة "تآما"، أي "التوأم").

١٩٦– أتت امرأة برصاء إلى مريم العذراء؛ ولـمّا صعد يشوع من الماء قالت العذراء: "خذي الماء وافضيه (أي صبّيه) عليك"؛ ولـمّا فعلت طهرت وسبّحت الله.

١٩٩– وهذه المرأة ابنة قايد (قائد)، بعد أن تعافت، زُفّت إلى ابن قايد آخر، فرأى آثار البرص بين عينيها فبطلت الزوجيّة. وعادت إلى العذراء مريم واغتسلت بالماء، بعد أن سبّحت البتول ابنها بشوع، فشفيت (العروس) وعادت إلى بيتها مسرورة؛ ولـمّا بلغ زوجها خبرها اصطنع عرسًا وأخذها.

ملحوظة: يمكن أن يرى المرء في كلّ هذه المعجزات إشارات إلى المعموديّة التي تطهّر وتشفي وتغسل؛ وكما أسلفنا، شفاعة السيّدة العذراء طبيعيّة بما أنّ الفتيات والنساء ولا سيّما الوالدات يلجأنَ إليها، فهي القادرة على تفهّمهنّ وإسعافهنّ.

٢١٣– صبيّة يتظاهر لها الشيطان على شكل تنّين، وكانت كلّما رأته تولول وتقول: "أليس فيكم من يخلّصني من هذا القاتل؟".

*** يلحظ المرء فعل "يخلّصني"، والربّ يشوع هو "المخلّص"، "يهوشواع"، واسمه على جسمه!

"سمعتها ابنة القايد المطهَّرة من البرص، وقالت لأمّها: "إحفظي عنّي هذا السرّ واكتميه. إحملي ابنتك إلى بيت لحم يهوذا، قرية داوود، إلى مريم أمّ يشوع، واكشفي حالك، وسوف تبرأ ابنتك". ومضت المرأة وابنتها إلى العذراء التي أعطتها غسالة جسم يشوع لتغسل به جسم الصبيّة، وأعطتها أحد قمط يشوع وقالت: "أيّ وقت رأيتِ عدوّك، تردّي بهذا القماط".

"وأثناء العودة إلى القرية، أتى التنّين ورأى من القماط الموضوع على رأس الصبيّة سهام نار يُصيبه على رأسه وعينيه، فصاح التنّين: "الويل لي منك، يا يشوع بن مريم"، ثمّ هرب. وما رأته الصبيّة بعدها وسبّحت الله".

*** هذه الروايات تثبت بشكل شعبيّ، وإن لم يكن دقيقًا تاريخيًّا، العقيدة الراسخة والتفسير المسيحيّ "المريميّ" لنصّ سِفر التكوين ٣ : ١٥، بمعنى أنّ نسل العذراء مريم هو الذي يسحق رأس الحيّة، إنطلاقًا من الكلمة الإلهيّة للأفعى القديمة: "سأجعل عداوة بينك وبين المرأة، وبين نسلكِ ونسلها، فهو يسحق رأسك، وأنت ترصدين عقبه".

٢٣٥– "ولـمّا صار يشوع ثلاث سنين، كانت امرأة ولها ابن اسمه يهوذا مُمتَحنًا من الشيطان. سمعت أمّه بخبر يشوع ومَن عوفي على يديه، فحملت ابنها إلى يشوع، وخرج ذلك الشيطان من يهوذا. وهذا هو يهوذا الإسخريوطيّ الذي أسلم يشوع للموت".

٢٤٥–لـمّا صار يشوع سبع سنين كان يعمل مع أترابه أشباه دواب وحمير وبقر من طين. وقال يشوع: "إنّ التماثيل التي أصنعها، متى آمرها بالمسير سارت". وقال له الصبيان: "أنت إذن ابن الخالق". وأمر يشوع الدواب بالمشي، فسارت؛ وأمرها بالعودة، فعادت. وكان يعمل العصافير، ويأمرها بالطيران، فتطير. وقال الناس إنّه ساحر، فاجتنبوه".

*** التأويل السّلبيّ لمعجزات يسوع الفتى – أي نسبها إلى السّحر– يشبه كثيرًا موقف التلمود (سنهدرين ٤٣ أ): "عشيّة عيد الفصح عُلّق يشو لأنّه كان يغوي إسرايل بالسّحر". هل كان كاتب "إنجيل الطفولة العربيّ" على علم بالافتراءات الرّابّينيّة؟

٢٥٤– "بينما يشوع يمشي في المدينة مع أترابه الصبيان، اجتاز بحانوت رجل صبّاغ، وصبغ كلّ الثياب بلون دن النيل. كان الصبّاغ يريد أن يصبغ كلّ واحد منها لونًا

منفردًا، وصبغ يشوع كلّ ثوب باللون الذي يريده الصبّاغ. حينما شاهد اليهود هذه الأعجوبة سبّحوا الله".

٢٦٠- "قال الناس: يقول قيافا إنّ يشوع تكلّم وهو في المهد صبيًّا؛ وحين كان له سنة واحدة قال لأمّه: "يا مريم، أنا يشوع ابن الله الذي ولدتني، كما بشّرك جبريل الملَك، وأبي أرسلني لخلاص العالم".

ملحوظة: يجد المرء هنا مثالاً على الأصل السريانيّ للنصّ، بما أنّ الكاتب يخلط بين قيافا وفلافيوس يوسيفوس، وهو خطأ شائع عند سريان القرون الأولى. ولكن، من جهة أخرى، لا ذِكر في كتابات يوسيفوس عن معجزات يسوع الطفل، ولا سيّما كلامه في المهد.

٢٦٢- "كان يشوع يساعد يوسف النجّار في أعمال النجارة".

*** كان يكفي يشوع أن يمدّ يده على أعمال القدّيس يوسف الخشبيّة للتطويل أو التقصير أو التوسيع أو التضييق...

"واستحضر ملِك أورشليم يوسف وقال له: "أريد سريرًا بقدر الموضع الذي أجلس فيه"، والمقصود عرش.

وأكمل يوسف عمله بعد سنتين، لكنّ الأسرّة كانت تنقص من كلّ جانب شبران. وحزن يوسف وخشي عقاب الملِك، "وبات يوسف طاويًا"، أي من غير طعام.

"وأصلح يشوع ما قد فسد. وعجب الحاضرون وسبّحوا الله".

*** لازمة "رأوا وسبّحوا الله" خاتمة سعيدة لمعاناة وبداية لتمجيد الخالق عن طريق يسوع، وفي السياق يتّضح أنّ يسوع نفسه هو الربّ والخالق الحميد الخليق بالتسبيح!

*** الخيال الواسع والمبالغة الخياليّة لا تتردّدان في وصف "خشب تلك الاسرّة" (جمع سرير) بأنّه كان من عهد سليمان بن داود! ولكن في زمن السيّد المسيح لم يكن هنالك أيّ "ملك لليهود"، خصوصًا بعد وفاة هيرودس الكبير (سنة ٤ قبل الحساب الميلاديّ)، وما حظي أيّ من أبنائه ولا أحفاده بذلك اللقب.

٢٧٢ وتابع: مضى يشوع في إثر صبيّة، بعد أن كانوا يلعبون ثم دخلوا دارًا. وسأل يشوع نسوة عن أولئك الصبيان، فأجبنَ: "لم يج (أي يجيء) إلى هنا صبية. فسألهنّ يشوع: "هؤلاء الذَين في الآتون ما هم ؟"؛ قالت النسوة: "جدي ثنيان". وقال يشوع للجديان: "أخرجنَ إلى راعيكنّ"، فخرجنَ يركضنَ حوله. فلمّا شاهد النسوة ذلك، سارعنَ بالسجود ليشوع ويقلنَ: "يا يشوع ابن مريم، أنت الراعي الصالح لإسرايل، فإنّك للشفاء وردتَ لا للإبادة". وانقلب الجديان إلى صورة الصبيان ومضوا مع يشوع.

*** يشوع هو الربّ بما أنّه "راعي إسرايل"، كما يخاطبه صاحب المزامير ٨٠ (٧٩): ٢: "يا راعي إسرائيل، كن سميعًا، يا هادي يوسف، كما تَهدي القطيع، يا من على الكاروبيم استوى...". وهو الرّبّ "عزيز يعقوب... صخرة إسرائيل" (عن تك ٤٩: ٢٤ حسب النقل اليونانيّ). والمسيح هو "الراعي الصالح" الذي يجمع رعاياه ويحفظ قطيعه (رج إر ٢٣: ١؛ ٣١: ١٠؛ زك ١١: ٥)، بخلاف رعاة بشريّين أشرار يبدّدون رعيّة الربّ (حز ٣٤: ٨، ١٠)، أي الربّ حسب مفاهيم العهد القديم (زك ٩: ١٦)، وانطلاقًا من يو ١٠: ١١، ١٤؛ فيسوع هو فعلاً "راعي الرعاة" (رج ١ بط ٥: ٤).

*** هنالك نقد "إنجيليّ" للشعب اليهوديّ الّذي يمسك كالسودان (أي الناس ذوو البشرة السوداء، ولعلّهم كانوا من العبيد) الذين يمسكون الجانب الطارف من "الغيم"، أي الغنم.

*** يبدو أيضًا من هذه المعجزة المزدوجة أنّ النسوة سحرنَ الصبيان وحوّلنهنَّ إلى جديان! لا يورد النصّ أيّ تبرير لتلك الفعلة –وإنْ كانت من "كيدهنّ العظيم"– بل ينسب إليهنَّ مباشرةً الكذب لتضليل يسوع حول هويّة الصبيان ومصيرهم، ولكنّه يعلم كلّ شيء.

٢٨٦- "جمع يشوع الصبيان وفرش ثيابهم على الأرض".

*** تتكرّر فكرة يسوع الملك، ويبدو أنّه هو – له المجد– صاحب المبادرة في تتويجه ملِكًا وإجلاله.

*** "فرش ثيابهم على الأرض"؛ يظهر أنّ المقصود هم الصبيان. لماذا "فرَشَ" في المفرد؟ إمّا أنّ هنالك خطأً لغويًّا، وإمّا أنّ النصّ متأثّر بالسريانيّة حيث لا تُلفَظ واو الجمع من الفعل.

"وجلس يشوع على الثياب، وصنعوا له إكليلاً من أزهار كالتاج، ووضعوا على رأسه، ووقفوا بين يديه عن يمينه وعن شماله، وكلّ من يجتاز الطريق يقولون له: "سلّم على الملِك".

*** يقصد الكاتب أن يعيد إلى الربّ يسوع مجده كملك وسيّد، محاكيًا مشهد إكليل الشّوك، مغيّرًا إيّاه إلى إكليل من الأزهار. وبدل إهانة الجنود الرومان للمليك الناصريّ المكلّل بالشوك واللابس ثوبًا أرجوانيًّا من الدرجة الأخيرة، "سلام يا ملك اليهود"، يتولّى الصبيان تكريم يسوع وإحضار الناس إليه ليُجلّوه! أيضًا في رقم ٣٠٧ قال الصبيان لرجُل أحضروه إلى يسوع: "السلَم على ملكنا".

*** "السلَم" من غير ألف، بما أنّ الألف في الآراميّة والعبريّة والسريانيّة وسط الكلمة تُصبح همزة قاطعة.

*** وقوف الصبيان عن يمين يسوع وعن يساره بكلّ وقار وإجلال، يريد أن يعوّض عن ذلّ صلبه بين لصّين، "أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره". ولكن، حتّى على الصليب يبقى يسوع المركز والمحور.

*** وقد يُشير أولئك الصبيان إلى الرسل الكرام بما أنّهم مُلازمون ليسوع ولا يُخالفون له أمرًا ولا يتجاهلون له كلمة (رقم ٢٨٤).

٢٩١- "وجاءت جماعة معهم صبيّ اسمه شمعون لسعته أفعى. حمله أهله إلى الأطبّاء في أورشليم (من غير جدوى). سلّموا على يشوع، وسألهم لماذا يبكون؟ وقالوا لأجل الصبيّ الذي ضربته حيّة. فلّما رآهم يشوع رحمهم".

*** رحمة يشوع وتأثّره مؤثّران وفعّالان!

وقال: "أمّا شمعون هذا فسوف يكون لي تلميذًا، وفي الوقت شفي، وهو شمعون المدعوّ "قينيا" لأجل العشّ الذي ضربته منه الحيّة".

*** إنّه، على ما يبدو، "سمعان الكنعانيّ" (مت ١٠: ٤أ؛ Simwn o Kananaioj). ويظهر أنّ اللفظة اليونانيّة "كانانايوس" تشويه للآراميّة קַנָּאי أو קַנָּאן، أي "الغيور" أو "الوطنيّ" المقاوم بحماسة للاحتلال الرومانيّ. ولكنّ كاتبنا ينسب اللفظة إلى "قنا" (قُنُو) الآراميّة–السريانيّة التي تعني "عُشّ" (קֵן).

٣٠٧- "أحضره الصبيان قايلين (قائلين) له : السلَم على ملكنا"، وربّما المقصود : "ألقِ السلام" أو "سلّم"؛ فلمّا رآه يشوع قال: "إذن تسلم".

*** هل تأثّرت المخطوطات اللاحقة بالعبارة الاسميّة "أسلِم تَسلَم"؟ على كلّ حال، يكفي إلقاء السلام على يسوع والإقرار به ملكًا لكي ينال المرء السلام من "رئيس السلام" الذي هو "السلام" (رج مي ٥: ٥).

"أثناء لعب الصبيان على سطح وقع منهم واحد ومات. واتّفقوا أن يتّهموا يشوع بقتله. وأخذوا معه "والديه"، أي البتول والقدّيس يوسف إلى الوالي.

*** نجد دورًا لوالدَي يسوع كوليَّي أمره، عند اتّهامه، وكأنّ المتّهِمين يلقون عليهما اللّوم في تربيته!

"قال يشوع للحاكم: "إن أنا ناديتُ هذا الميت فقام وأقرّ بأنّي لم أقتله، ماذا تفعل بالذين شهدوا بالكذب؟". قال الحاكم: "حينئذ تكون البريّ وهم الفسقة". فسأل يشوع الصبيّ: "توزا توزا (اسم الصبيّ)، أنا دفعتك ؟".

قام الصبيّ وقال: "ما أنت دفعتَني ولا كنتَ حاضرًا". وسمّى الصبيّ أسماء الذين شهدوا بالكذب. وفرح أهل الصبيّ وقالوا: "حقًّا أنّ الله مع يشوع". وكان ابن اثني عشرة سنة لـمّا عمل هذه الآية.

*** لا يورد النّصّ شيئًا عن عقاب المفترين لتركيزه على براءة يسوع، من جهة، وقدرته على إحياء الموتى، من جهة أخرى.

٣٠٨ ب: "ونيقوديموس، لـمّا نُقِل القول من هيرودس على الأطفال ليُقتَلوا، حملَته أمّه...".

*** النّصّ ناقص هنا. ويتوقّع المرء أنّ أمّ نيقوديموس (الذي سيزور يسوع ليلاً) حملته والدته إلى السيّدة العذراء ونجا من المذبحة. وعبارة "نُقِل القول"، أي الأمر أو الشيء (مقابل العبريّة דבר، أي الشيء والقول، مثل اللفظة اليونانيّة rhma (رج تث ٨: ٣؛ مت ٤: ٤).

٣٠٨ج وتابع – "يكون مدبّرهم، أي أحد زعماء الشعب، فلمّا وقع في مصايد الموت، حزنت له النساء والرّجال أكثر من أمّه، والعالِم بالخفايا عَلِمَ ذلك".

*** العبارة في العهد القديم تُشير إلى الربّ، الإله الواحد الغيور على مجده وألوهيّته (رج مز ٧: ١٠ب؛ ١٣٩ (١٣٨): ١ي وتابع، تأكيد آخر لألوهيّة المسيح التي تؤكّدها الأناجيل في عدّة مناسبات، مثلاً معرفة يسوع لأفكار الفرّيسيّين والكتبة المتّهمين إيّاه بالكفر لأنّه قال للمخلّع: "مغفورة لكَ خطاياك" (مت ٩: ٤)؛ يسوع يَعلم ما في الإنسان وليس بحاجة إلى أن يُطلعه أحد على البشريّات (رج يو ٢: ٢٤–٢٥). وبطرس الرسول جاهر بألوهيّة يسوع وبمعرفته كربّ لكلّ شيء: "يا ربّ، أنت تعلم كلّ شيء، أنت تعلم أنّني أحبّك" (يو ٢١: ١٧)، ولا عجب لأنّ في يسوع "كلّ كنوز الحكمة والعِلم" (كول ٢: ٣).

"ولم يختر إبراه (أي إبراءه) وإشفاه (أي شفاءه) من ألمه، بل آثر أن يظهر فيه إيده (أي : يده) ليُشاهده الناس ويؤمنوا به. ومات ذلك الشّاب...".

*** هذه الرّواية تحاكي، أي تحاول، تقليد السرد الإنجيليّ الكريم عن مرض لعازر، إذ فضّل يسوع أن يتوفّى صديقه، فيُقيمه بدل أن يسبق ويشفيه من مرض، مبيّنًا قدرة أسمى (رج يو ١١: ١ي).

"أقام يشوع الشاب الميت من القبر بقوله : "قم أيّها الشابّ النائم في السرير".

*** محاكاة للسرد الإنجيليّ عن إقامة يسوع لابن أرملة نائين (رج لو ٧: ١١ي)، ولبنت يائيروس (رج مت ٨: ٤٠، ٥٤). يسوع هو إيليّا الجديد الـمُحيي وأعظم من إيليا.

"أقام يشوع (الشابّ) على رِجليه، وأسلمه إلى أمّه، فسجدت له (أي ليشوع). وكافّة أهل بيته لئلاّ يظنّوا ذلك خيالاً قال لهم: "قرّبوا مايدة وخبزًا وكلوا وافرحوا فرحًا شديدًا...".

*** يعتني الربّ مقيم الموتى بصحّتهم، محاكاة لوصيّة يسوع بعد أن أقام الصبيّة بنت يائيروس: "أمرهم أن يُطعموها" (مر ٥: ٤٣).

*** الأكل والشرب والاحتفال: كأنّنا بالكاتب يتمّم حرفيًّا أوامر الأب مشروح الصّدر بعد عودة ابنه الضالّ: "...لنأكل ونتنعّم، لأنّ ابني هذا كان ميتًا فعاش، وكان ضالاً فوُجِد، فأخذوا يتنعّمون" (لو ١٥: ٢٣–٢٤).

*** "لئلاّ يظنّوا ذلك خيالا": استعادة للعبارة الإنجيليّة، عندما طلب يسوع القائم من بين الأموات من تلاميذه طعامًا؛ رج لو ٢٤: ٣٩ي).

" وقال الناس: "ابن مريم مبدّل الأحزان فرحًا".

*** لقب ووصف مؤثّران للربّ يسوع وإعلان لألوهيّته؛ فالله هو القادر أن "يحوّل الندب إلى رقص" (مز ٣٠: ١٢أ)، والمسيح الربّ هو تجسّد الإله الذي يعطي الحياة، وينقل من الموت إلى الحياة، إذ "به كان كلّ شيء،

وبه وفيه الحياة، والحياة نور الناس" (يو ١: ٣–٤).

*** بَعْثُ هذا الميت مثالٌ ملموس –حسب كاتبنا– لمعجزات من يسوع أراها لاثنين من تلاميذ يوحنّا الصّابغ (للحدث الإنجيليّ، رج مت ١١: ٢–٦).

٣٠٩– "رأى يوحنّا ليشوع بعين الروح".

*** الصّيغة آراميّة سريانيّة إذ تسبق "اللام" المفعول به. وفي العربيّة، من أساليب البلاغة تقديم المفعول على الفعل، وتقديم اللام عليه، كقولك: "وللمحزونين يعزّي".

"وقد امتلأت السماوات والأرض من نور وجهه".

*** محاكاة لرؤيا أشعيا لمجد الله ثلاثيّ التقديس: "ملء الأرض مجده". وربّما تأثّر الكاتب بالنصوص الطقسيّة السريانيّة: "هاو دَملِن شمايو وارعو من تشبحوتِه": "الذي من مجده السماء والأرض هما مملوءتان".

"وصار نور هذه الشّمس عند بهاء وجهه كضوّ الكواكب مع ضيآ الشّمس، وأعين البشر لا يستطيع أن تراه".

*** أوصاف مأخوذة من السرد الإنجيليّ للتجلّي السيّديّ (رج مت ١٧: ١–٨)، مع تبيان مشوّق أنّ ضياء يسوع أبهى من نور الشّمس!

*** عدم استطاعة الناس النّظر إلى نور يسوع أو رؤيته استعادة لسرد التوراة عن مجد الله الذي ما قدر موسى كليمه أن ينظر إليه، بحيث أنّ هذه الجزئيّة أيضًا تشير إلى ألوهيّة المسيح: "قال موسى (ليهوه): "أرِني مجدك"؛ قال الربّ: "وجهي لا تستطيع أن تراه، لأنّه لا يراني الإنسان ويحيا" (خر ٣٣: ١٨–٢٠).

"وحينما نزل يشوع ليعتمد، رأى يوحنّا أبواب السماء وقد تفتّحت، والروح قد هبطت كالحمامة، وصوت الآب يقول: "هذا ابني الحبيب إيّاه اصطفيت فاسمعوه"؛ فرعب الحاضرون رعبًا عظيمًا.

باقي السرد مطابق للأناجيل المقدّسة (في طبعة بروفيرا ص ١٢٤ و١٢٦ و١٢٨ و١٣٢ و١٣٤ و١٣٨).

فصل ٤٧: بدل "قانا" نقرأ "قاطنة الجليل".

"وكانت أمّه (مريم) واثقة بقوّة يشوع": تفسير لقول السيّدة العذراء الملكة لابنها :"ليس عندهم خمر".

*** نلحظ عبارة "ابن مريم" (كما في رقم ٣٠٨ج وتابع، و٣١٤) في الجُملة: "(قال السقاة): إنّ هذا الشراب مآ، وغيّره ابن مريم شرابًا. عند ذلك مدح الحاضرون ليشوع".

*** قد يكون هنا تلاعب بالألفاظ في كلمة "شراب"، بما أنّ لفظة "مشتيثا" الآراميّة (משתיתא) تعني أصلاً "الشراب" (من فعل "شته")، ولاحقًا "عُرس، زواج" حيث كان الناس يشربون (الخمر).

*** "مدح الحاضرون ليشوع": صيغة آراميّة سريانيّة تجعل "اللام" تسبق المفعول به.

– فصل ٤٨: تجربة الشيطان ليسوع: تحديد يوم بداية التجارب التي تتوزّع كلّ عشرة أيّام.

* يتحدّى الشيطان يسوع أن يحوّل الحجارة إلى خبز "كما حوّل الماء إلى خمر".

"جاء الشيطان ليجاهد (يشوع) ويقاتله بمحبّة القنايا"، أي الممتلكات والممالك.

* قد يكون هنا تأثير قرآنيّ في فعل "جاهدَ"، ولفظة "المجاهدة"، والمقصود بها "الجهاد".

فصل ٤٩، ٣٨: عدّة صفحات ناقصة من المخطوط، إذ ينتقل النصّ فجأة إلى بيلاطوس الذي يعلن براءة يسوع.

"طيّبَ يوسف جسد المسيح بالمرّ والصبر. أمّا المرّ فهو الذي أهداه إليه المجوس وقت ولادته، وحفظَته مريم العذراء إلى ذلك الوقت".

* سيظهر لاحقًا أنّ الكاتب، عن طريق الخطأ، يقصد القدّيس يوسف مربّي يسوع!

" مضت الكهنة والمعتزِلة إلى فيلاطوس...".

في حين يرى بروفيرا (المرجع نفسه، ص ٣٦) أنّ لفظة "المعتزِلة" أتت بسبب تأثير إسلاميّ، على اسم حركة خرجت من العراق في القرن السّابع الميلاديّ، يمكن أن يرى المرء فيها نقلاً ثقافيًّا ماهرًا لكلمة "فرّيسيّين" التي تعني في الآراميّة "المنفصلين"، **פְּרִישׁיָא** .

توجز زمرة الكهنة والمعتزلة الاتّهامات المستهدفة يسوع، وهم يخلطون فيها الدينيّ بالسياسيّ استمالة للوالي الرومانيّ. يسوع متّهم أنّه:

١– حلّ ناموس موسى؛

٢– جعل نفسه إلهًا (ولا تعني هاتان التهمتان بيلاطوس)؛

٣– قال إنّه ملك"؛

"فنحن لأجلك وبسببك قتلناه": الاستراتيجيّة مفضوحة: تظهر "أرسطوقراطيّة الهيكل" بمظهر الحريصة على مجد الأمبراطوريّة الرومانيّة.

"الآن يجب أن تقدّم أن يُقام على قبره نواطير".

*** اللفظة آراميّة سريانيّة من فعل **נטר**، أي حَرَسَ، وقد انتقلت إلى العربيّة الدارجة: ناطور، نواطير.

"ويوسف الذي ربّاه، وعلى يديه نشّأه، قيّده واحبِسه"؛ يحرسه سبعون رجُلاً، وخطّط الجند لقتله لاحقًا.

*** يخلط الكاتب بين القدّيس يوسف النجّار ويوسف الراميّ!

*** "الزنادق" تشويه للفظة "صدوقيّين".

ينقذ يشوع يوسف، وتسقط من يدي (يوسف) القيود. ويقول له يشوع: "إمضِ يا يوسف إلى الرّامة...".

*** هنا يبدو أنّ الكاتب أراد تصحيح الخلط بين يوسف ابن داود ويوسف الراميّ، أو أنّه استمرّ في خلطهما!

وقد يكون هنا استلهام من حدث إنقاذ بطرس من السّجن (رج أع ١٢: ١–١١).

"قال النواطير : هلمّوا نمضي إلى المدينة، فلا فايدة من نظرتنا (نطرتنا) قبرًا فارغا".

*** هنا أيضًا يبدو الأصل أو التأثير الآراميّ السريانيّ، فعل **נטר**، "نطر"، يعني "حَرَسَ"، وسهل خلط الطاء مع الظاء بحيث تصبح "نظر".

"الّذي نصنا في حفظه ها هو في البستان".

*** قد تكون لفظة "نصنا" مأخوذة من الفعل الآراميّ السريانيّ **נסי** أي "جرّب"، "حاول": الّذي حاولنا حراسته ها هو في الجنّة...

النسوة، بما فيهنّ السيّدة العذراء، يتوهّمن أنّ يسوع هو الجنّان أي البستانيّ! تعميم لوهم المجدليّة (رج يو ٢٠: ١٥–١٦).

*** يأتي اعتراف بالإيمان من الحرّاس: "إنّ هذا يشوع بن مريم هو المسيح المُرتجى من العوالم" (جمع عالَم).

يزعم أعداء يسوع متّهمين الجنود: "أخذتم رشوة من أتباعه، وأسلمتم إليهم جسده، واتّفقتم معهم على قول واحد: إنّه انبعث حيًّا".

٣١٤– فعلاً، أعطى الكهنة الجنود الرشوة لاحقًا: "قولوا إنّ أتباع يشوع سرقوه ليلاً ونحن نيام. وفَشَت بين اليهود إلى الآن".

"السلّيحون" أي "الرسل"، من الآراميّة السريانيّة، **שליחיא**.

٣١٥ : الصّعود السيّدي يوم الخميس، وبعده بعشرة أيّام (يوم أحد) العنصرة!

خاتمة

٣١٥ (**الفصل الخامس والخمسون**): نهاية "قصّة ظهور سيّدنا يشوع المسيح لذِكره السّجود والتّسبيح".

تاريخ النسخ : الرابع عشر من شباط لسنة ألف وست مئة وعشر للإسكندر اليونانيّ.

النّسّاخ : إسحق بن أبي الفرَج بن القسّيس المتطبّب بماردين.

"والله الرحمان الرحيم" (تأثير إسلاميّ؟) قدّوس الله... والتسبيح للربّ يسوع!

مقابلة مع النصوص القرآنيّة

أ – تأثير قرآنيّ على نصّ "إنجيل الطفولة العربيّ"

يورد بروفيرا[٢٣] أمثلة على تأثير – على الأقلّ – غير مباشر من اللغة القرآنيّة على مخطوط اللورنسيانا – لا لشيء إلاّ "بسبب الاستخدام الدارج الشفهيّ أو الكتابيّ للعبارات القرآنيّة" حتّى عند المسيحيّين (كما يحصل في أيّامنا).

١ – عبارة "بسم الله الرحمن الرحيم": مع أنّ بروفيرا[٢٤] يعتقد أنّ "الكتّاب المسيحيّين تبعوا هذه الممارسة الإسلاميّة"، غير أنّ صيغة العبارة نفسها متأثّرة بالآراميّة السريانيّة. مثلاً، "بِسم" تتبع الآراميّة والسريانيّة في صيغة "بْشِمْ" (בשם)، في حين أنّ العربيّة السليمة تحتفظ بالألف (مع همزة الوصل) : "اسم، باسم".

و"الرحمن الرحيم" كلمتان تؤدّيان المعنى ذاته في العربيّة – ويجب صرف النظر عن نظريّة تقول إنّ "الرحمان" كان معبودًا في قسم من شبه الجزيرة العربيّة، و"الرحيم" معبودًا آخر في جزء آخر منها – بما أنّ "رحمانا" أحد ألقاب الله في التلمود، في الآراميّة. ومن ناحية السريانيّة والآراميّة[٢٥]، يعني فعل "رحِم" "أحبّ"[٢٦]، و"رحيم" على وزن "فعيل" هو اسم مفعول يعني "محبوب" – عندها يصبح المعنى "باسم الله المحبّ المحبوب"[٢٧].

١ – "عليه السّلام"[٢٨]، عبارة واردة في سورة يوسف، ولكن في العبريّة (الحديثة على الأقلّ) تعني العبارة "رحمه الله"، وتقال عن الأموات الأبرار.

٢ – "الشّيطان الرّجيم": عبارة وردت في الفصل الخامس عشر من "إنجيل الطفولة العربيّ" (رقم ٧٩). ويجدر أن يلحظ المرء أنّ لفظة "شيطان" ذاتها غير عربيّة، بل معرّبة من العبريّة "سَطَنْ"، أي "المتّهِم"[٢٩]، كما أنّ كلمة "إبليس" يونانيّة الأصل، diaboloj.

٣– "أهل": يرى بروفيرا أنّ الكلمة قرآنيّة كما في عبارة "أهل الكتاب".

٤ – "ضُرَّة" (في الفصل السابع والعشرين، أي رقم ١٧١) مأخوذة من المفردات الإسلاميّة، حسب رأي بروفيرا.

٥ – "إمام" (في الفصل العاشر، أي رقم ٤٩) لفظة إسلاميّة.

٦ – "من كلّ فجّ عميق" (سورة الحجّ ٢٨): وردت العبارة في الفصل الرّابع والأربعين، ١، أي رقم ٣٠٨).

٧ – "سمعًا (سامعا) وطاعة": يقرأ المرء هذه العبارة في الفصل الثامن والثلاثين ١، أي رقم ٢٦٥، مقابلة مع سورة النور ٥٤.

ملحوظة ذات شأن كبير

لا يجد المرء أيًّا من هذه الكلمات ولا العبارات القرآنيّة في مخطوطة "سايكه" ولا في المخطوط الفاتيكانيّ، حيث استبدلت بأخرى[٣٠].

ب – الشَبَه والاختلاف بين "إنجيل الطفولة العربيّ" والنصوص القرآنيّة

١) رقم ٢٤٥–٢٥٠ (الفصل الرابع والثلاثون): كان يشوع

(٢٣) المرجع نفسه، ص ٣٥.
(٢٤) نولديكه، **القرآن**، ص ٥٣.
(٢٥) كوستاز، **قاموس سريانيّ – عربيّ**، ، دار المشرق، بيروت ١٩٩٤، ص ٣٤٣ أ.
(٢٦) لأمثلة أخرى على قراءة عن طريق السريانيّة، مراجعة كتاب كريستوف لوكسنبرغ:
(٢٧) *Die syro-aramäische Lesart des Koran,* Druckerei Weienrt, Berlin 2000.
(٢٨) بروفيرا، المرجع ذاته، ص ٣٥.
(٢٩) F. ZORELL, *Lexicon Hebraicum et Aramaicum Veteris Testamenti,* p. 798 , Pontificium Institutum Biblicum, Roma
(٣٠) بروفيرا، المرجع ذاته، ص ٣٦.

الفتى يصنع تماثيل من طين، منها عصافير ودوابّ، ويأمرها فتحيا وتتحرّك. وكانت العصافير المصنوعة هكذا تطير بأمره.

في سورة المائدة ١١٠: "إذ قال الله : يعيسى ابن مريم أذكر نعمتي[٣٠] عليك وعلى والدتك إذ أيّدتك بروح القُدُس، تُكلّم النّاس في المهد [٣١] وكهلا، وإذ علّمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل، وإذ تخلُقُ[٣٢] من الطّين كهيئة الطّير **بإذني** فتنفخ فيها فتكون طيرًا **بإذني**...وإذ تُخرِجُ الموتى **بإذني**...".

يعيد النّص القرآنيّ ثلاثًا أنّ "خلق" المسيح للطّير من الطّين وإخراجه للموتى ما تمّ إلاّ بإذن الباري.

والخلاف هنا جوهريّ مع "إنجيل الطّفولة العربيّ" حيث يستنتج الصّبيان: "فأنتَ إذن الخالق".

هنا يأتي السّؤال: أيّ النصّين أقدم، القرآنيّ أم "إنجيل الطفولة العربيّ"؟ إذا سبق نصّ "الإنجيل" المشار إليه، يدرك المرء أنّ القرآنيّ ردّ فعل، وإذا سبق النصّ القرآنيّ، تعمّد كاتب "الإنجيل" تبيان ألوهيّة المسيح. ومهما يكن من أمر الأقدميّة، كلا الموقفين اللاهوتيّين واضح جليّ.

٢) رقم ٢٥٩–٢٦٠ (الفصل السّادس والثّلاثون)

"إنّ يشوع تكلّم وهو في المهد صبيّا؛ وحين كان له سنة واحدة قال لأمّه: يا مريم، أنا يشوع بن الله... وإنّي أرسلني لخلاص العالم".

ورد في سورة مريم (١٩)، ٢٩–٣٦: "فأشارت إليه قالوا : كيف نكلّم من كان في المهد صبيّا، قال: إنّي عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيّا... ذلك عيسى ابن مريم... ما كان لله أن يتّخذ من ولَد... وإنّ الله ربّي وربّكم فاعبدوه، هذا صراط مستقيم".

يرى المرء الاختلاف الجوهريّ ورفض القرآن لمفهوم "ابن الله"، وإصراره على بشريّة "ابن مريم"، وعلى عدم إمكانية اتّخاذ الرحمَن من وَلَد. أمّا "رسالة" المسيح أو "دعوته" هنا فهي توحيديّة يهوديّة [٣٣]. ولا ترد فكرة "المسيح المخلّص" في القرآن، وإن كان بعضهم يرى في لفظة "الفُرقان" المعنى الآراميّ السريانيّ، أي الخلاص، ولكن لا يربط أيّ نصّ قرآنيّ ابن مريم بالفُرقان.

خاتمة

يضيق المقام هنا للتعمّق في موضوعات أخرى، منها أوصاف السيّدة العذراء في "إنجيل الطفولة العربيّ"، وأيضًا موضوع الرسومات الأربعة والخمسين المرافقة للنصّ. في شأن والدة الربّ الدائمة البتوليّة يعبّر عنها "إنجيل الطفولة العربيّ" بعبارات ملؤها الوقار، متجنّبًا تفاصيل أوردها "إنجيل يعقوب التمهيديّ"، مع أنّ كاتب "إنجيل الطفولة" اعتمد على "الإنجيل الأوّل" في عدّة نقاط[٣٤]. ولكنّ اتّباعنا للنّصّ عن كثب جعلنا نطّلع على شِيَم السيّدة العذراء ووجاهتها أي شفاعتها وشفقتها ("رحمتها").

وتبقى مسألة تاريخ المخطوطات مصيريّة، خصوصًا عندما يصعب تمييز أقدم أقسامها من أحدثها. ولكنّ الاتّجاه العامّ والخطوط الرئيسيّة جليّة، وخصوصًا في مجتمعنا العربيّ أو النّاطق بلغة الضّاد. هنالك دور لما يُدعى "إنجيل الطفولة العربيّ" حيث التقارب مع النّصوص القرآنيّة والاختلاف عنها، وهذا الدّور مطلوب لإيجاد جوّ –أو تعزيز بيئة– من "حوار الجوار"، الذي يجب أن يعطي شرقنا الأوسط فيه مثالاً للعالم كلّه وقدوة!

(٣١) في النصوص القرآنيّة يتكلّم الله مع المسيح في صيغة المتكلّم المفرد، لا في صيغة الجمع: "نحن، إنّا، نعمتنا..."، وما إلى ذلك؛ مثلاً: "إنّي متوفّيك ورافعك إليّ"، لا "إنّا متوفّوك ورافعوك إلينا...".

(٣٢) سترد هذه الفكرة والعبارة لاحقًا في "إنجيل الطفولة العربيّ"، رقم ٢٦٠، وفي نصّ قرآنيّ آخر.

(٣٣) المسيح هو الإنسان الوحيد، في النصوص القرآنيّة، الذي يقال فيه إنّه "يخلق"؛ فالخلق من صفات الخالق المميّزة. وورد أيضًا في القرآن، من موافقات عُمَر: "تبارك الله أحسنُ الخالقين" (سورة المؤمنون ١٤)، التي يفسّرها الصحيحان (مُسلم وبخاريّ) في عبارة يقولها تعالى للمصوّرين: "أحيوا ما خلقتم"، ولا يعني "الخلق" هنَا من العدم ،كما يفعل الباري وحده، بل التصرّف والتغيير.

(٣٤) في سورة مريم ، ٢٥ يُذكَر جذع النّخلة ويشبه نصّ "إنجيل متّى المنحول"، في الفصل العشرين.

رقاد مريم في الأدب المنحول

الخور أسقف أنطوان مخائيل
أستاذ مادّة اللاهوت العقائدي
جامعة الروح القدس – الكسليك

مقدّمة

تكمّل الكتب المنحولة ذات الطابع المريميّ معطيات العهد الجديد القليلة نسبيًّا حول مريم، بخاصّة في ما يتعلّق ببدايات حياتها ونهاياتها؛ كما وتتنوّع المخطوطات التي تحتوي نصوص هذه الكتب، وتتعدّد في كلّ اللغات القديمة تقريبًا (اليونانيّة، والسريانيّة، والقبطيّة، واللاتينيّة، والعربيّة)، ممّا يجعل من عمليّة مناغمتها وتوحيدها أمرًا عسيرًا.

من بين مجموعة هذه الكتب الكبيرة، تبرز تلك التي تروي مصير مريم النهائيّ، وانتقالها من هذه الحياة إلى الحياة الأخرى؛ ولقد امتلك كلّ تقليد مسيحيّ قديم كتبه الخاصّة بهذه الرواية. من بين هذه التقاليد، برز تقليدان: التقليد البيزنطيّ والتقليد اللاتينيّ. ففي حين يستعمل التقليد البيزنطيّ صورة "الرقاد" (أو النياح، في اليونانيّة κοιμεσις)، وينسب الكتاب الذي يخبر رقادها إلى الرسول يوحنّا [١]، يستعمل التقليد الغربيّ صورة "الانتقال" (في اللاتينيّة transitus أو assumptio)، وينسب الكتاب الذي يروي انتقال السيّدة إلى ميليتون السرديّ (من القرن الرابع) في عظة شهيرة له بمناسبة عيد الفصح[٢]. يبلغ مجموع هذه الكتب حوالى الاثنين وستين كتابًا [٣].

أ. مختصر روايات الرقاد [٤]

على الرغم من تعدّد نسخها، تحتوي نصوص الرقاد على سيناريو شبه موّحد لانتقال السيّدة مع بعض الفوراق والإضافات البسيطة. الجميع متّفق على أنّ مريم ماتت في أورشليم[٥]، ودُفنت في قبر جديد في الجسمانيّة على أقدام جبل الزيتون. في المقابل، ليس لدينا شهادات واضحة حول تاريخ موتها.

هكذا تروي كتب "الرقاد" الأيّام الأخيرة من حياة مريم:

"بعيد صعود يسوع إلى السماء، زار ملاك من السماء مريم التي كانت بقيت في أورشليم، وسلّمها سعفة نخل[٦]، وبشّرها بأنّه عليها أن تترك جسدها بعد ثلاثة أيّام. لكن قبل هذا الموعد، عليها أن تسلّم السعفة للرسل الاثني عشر، الذين سوف يجتمعون حولها قبيل انطلاقها، بطريقة عجائبيّة، لكي يحملوها في المطاف الجنائزيّ. تقصد مريم، بمعيّة الملاك، جبل الزيتون، حيث تتلقّى كشوفات

(١) لأنّه هو من تعهّدها بعد موت ابنها، وأخذها إلى بيته (يو ١٩: ٢٧). وُضع هذا الكتاب، على الأرجح، في القرن السادس.
(٢) E. COTHENET, «Découvrir les apocryphes chrétiens», *DDB* 2009, p. 213, 219.
(٣) S. MIMOUNI, *Dormition et Assomption de Marie. Histoire des traditions anciennes*, Beauchesne 1995, 654.
(٤) لقد نقلنا هذا المختصر عن كتاب:
NORELLI Enrico , *Marie des apocryphes*, Labor et Fides, Genève 2009, p. 106-108.
(٥) في روايات أخرى، كانت مريم تسكن في بيت لحم، ومنها انتقلت إلى أورشليم لتموت فيها، مثلها مثل ابنها.
(٦) تذكّرنا هذه السعفة بالسعف التي يحملها بأيديهم الشهداء الظافرون في سفر الرؤيا، وهي ترمز إلى الانتصار والخلود (رؤ ٧: ١٠).
(٧) تظهر هذه الغرفة بوضوح في لوحات البشارة المرسومة في القرون الوسطى، ويصوّر غالبًا داخلها باللون الأسود للإشارة إلى السرّ الذي يحيط بشخص مريم.

إضافيّة، من بينها صلاة عليها تلاوتها قبل أن تغادر جسدها. بعد عودتها إلى بيتها، تدخل مريم إلى غرفتها السرّيّة [٧] حيث تضع السعفة، وتغتسل، وتبدّل ملابسها، وتصلّي إلى المسيح طالبة منه ألاّ يسمح للقوّات السماويّة أن تقترب منها لتحملها، عندما تخرج روحها من جسدها، بل أن يأتي هو بنفسه ليأخذ روحها، على حسب وعده لها. من ثمّ، تستدعي مريم أقرباءها وجيرانها، ليأخذ كلّ واحد منهم سراجًا ويسهر عليها في فترة الثلاثة أيّام المتبّقية من حياتها. عند هذه النقطة من الرواية، يصل الرسول يوحنّا من سرديس، محمولاً على غمامة. فتذكّره مريم بأنّ يسوع كان قد أوصاه بها، وتطلب منه أن يسهر على جسدها خوفًا من أن يأتي اليهود، ويسيئوا إليه. تدخل مريم يوحنّا إلى غرفتها السرّيّة، حيث تسلّمه الكتاب الذي يحتوي الكشوفات التي قام بها يسوع بعمر الخمس سنوات. تترك لأرملتين الثوبين الوحيدين اللذين كانت تمتلكهما، وأخيرًا تتهيّأ لتعطي يوحنّا سعفة النخل، الذي يرفضها لأنّه يريد أن ينتظر سائر الرسل، تفاديًا لأن يسبّب هذا الأمر جدالاً في مسألة الأوّليّة الرسوليّة. في هذه الأثناء، يصل الرسل الآخرون إلى أورشليم، هم أيضًا بطريقة عجائبيّة، كلّ من مكان رسالته، فيسلّمون على بعضهم البعض، ويصلّون، ويلتقون من ثمّ يوحنّا الذي يخبرهم كيف وصل إلى هنا، ويعلمهم بشأن رحيل مريم الوشيك. بدورها، تسلّم مريم على الرسل، وتدخلهم إلى الغرفة، وتريهم ثيابها الجنائزيّة. يمضي الرسل الليلة الأخيرة ساهرين ومصغين إلى تعليم بطرس [٨]. عند الفجر، تخرج مريم من غرفتها، وتصلّي الصلاة التي كانت تلقّتها، وتعود من ثمّ إلى الغرفة، وتتمدّد على السرير. بعد ذلك بقليل، يصل الربّ ومعه موكب من الملائكة. تحيّي مريم ابنها، مسرورة بإتمامه الوعد الذي كان قطعه لها، بأن يأتي هو بنفسه ليأخذ روحها. وهكذا، يأخذ المسيح روح مريم، ويغلّفها بجلود ناعمة مضيئة، ويسلّمها إلى الملاك ميخائيل؛ أمّا جسدها، فيوصي الرسل بأن يدفنوه في قبر جديد، خارج المدينة، واعدًا بعدم التخلّي عنه أبدًا. لدى سماعهم ضجيج الموكب الجنائزيّ، يقرّر اليهود أن يستحوذوا على جسد مريم ليحرقوه وينتقموا من يسوع، لكنّ الله يضربهم بالعمى، ما عدا واحدًا منهم استطاع أن يضع يديه على النعش. لكنّ يداه بقيتا ملتصقتين بالنعش فيما انفصل جسده عنهما [٩]. يرتعب هذا الرجل، ويتوسّل إلى بطرس معترفًا بذنبه؛ ومن بعد أن يعلن إيمانه بيسوع وبمريم، يشفى وينال جزءًا من سعفة النخل، ليعيد البصر إلى اليهود الذين يقبلون على الإيمان [١٠]. يضع الرسل جسد مريم في القبر، ويجلسون بالقرب منه، يتناقشون على مدى ثلاثة أيّام ببعض التعاليم (خاصّة تلك المتعلّقة بقواعد الأكل والنسك) [١١] إلى أن يصل المسيح على سحابة ومعه الملاكين ميخائيل وجبرائيل، وطغمات من الملائكة، فينقل جسد مريم إلى السماء على سحابة، مصطحبًا معه الرسل أيضًا إلى هناك. يوضع الجسد تحت شجرة الحياة لتدخل النفس فيه من جديد [١٢]. من ثمّ، يُصرف الرسل [١٣]، ويعاد كلّ منهم إلى أرض رسالته".

ب. كيف نقرأ نصوص الرقاد؟

ليست عمليّة قراءة نصوص "رقاد مريم" بالأمر السهل، وذلك بسبب تنوّع مصادرها، وتشابك عناصرها، وغرابة لغتها، وتعدّد اهتماماتها. سنحاول، في ما يلي، تقديم بعض المفاتيح المفيدة في سبيل مقاربة هذه النصوص مقاربة صحيحة.

١ – مصادر هذه النصوص

يعتقد بعض العلماء أنّ السبيل الأفضل لتحديد مصدر هذه النصوص، يكمن في ربطها بتطوّر التقوى والأعياد المريميّة في الكنيسة الأولى، وتشييد كنائس على اسم

(٨) في هذا إشارة واضحة إلى أوّليّته.
(٩) يشبه هذا الحادث ما وقع لعزّا الذي مات لأنّه لمس تابوت العهد (٢ صم ٦: ١–٩).
(١٠) تورد مجموعة من كتب "النياح" تعرف بمجموعة "بيت لحم" عددًا كبيرًا من العجائب والأحداث الخارقة التي رافقت انتقال مريم.
(١١) في بعض المصادر، انضمّ بولس إلى حلقة الرسل هذه.
(١٢) في مجموعة "بيت لحم" تبقى نفس مريم منفصلة عن جسدها المحفوظ في الفردوس حتّى القيامة العامّة.
(١٣) تضيف نصوص أخرى أنّ المسيح أصطحب الرسل بجولة في الفردوس وإلى الجحيم قبل أن يصرفهم.
(١٤) هناك تقليد مسيحيّ آخر أحدث يحدّد بيت مريم وقبرها في أفسس، وذلك بتفسير حرفيّ لقول الإنجيل الرابع: «ومنذ تلك الساعة استقبلها التلميذ (يوحنّا) في بيته» (يو ١٩: ٢٧).

العذراء، خاصّة تلك التي بُنيت، في النصف الثاني من القرن الخامس، في الجسمانيّة فوق المكان التقليديّ المعروف ب"قبر مريم"[١٤]، إلى حيث كان يحجّ المؤمنون منذ الأزمنة الغابرة، ليعيّدوا "تذكار والدة الإله". وبما أنّ معنى "التذكار" الليتورجيّ (μνημη) يحتوي على استذكار لموت الشهداء، تحوّل تذكار مريم باكرًا إلى تذكار رقادها. إلى ذلك، كانت الصلاة لمريم تفترض نوعًا من التفكير حول تمجيدها؛ فالمؤمنون الأتقياء لم يكونوا يكتفون بالأجوبة العامّة، وكانوا يرغبون بشدّة في معرفة التفاصيل الدقيقة المتعلّقة بنهاية حياة العذراء، وهو أمر لم تكن توفّره لهم المصادر القانونيّة[١٥]. في جوّ هذه الزيارات التقويّة، وتعبيرًا عن إكرام خاصّ نحو أمّ يسوع، تكوّنت، من دون شكّ، العناصر الأولى لهذا التقليد المنحول حول موتها العجيب.

إلى ذلك، ساهم تطوّر الإكرام المريميّ الذي تلا مجمع أفسس (٤٣١)، خاصّة بعد تكريسه لقب "والدة الإله" (θεοτοκος) كلقب مريميّ أساسيّ، في نشوء هذا النوع من الكتب. على هذه الشهادات المكتوبة، نضيف النصوص الليتورجيّة المستعملة في عيد النياح (١٥ آب)، والعظات التي كانت تلقى في هذه المناسبة[١٦]، وروايات الحجّاج إلى قبر العذراء، وبعض الاكتشافات الأركيولوجيّة، والأيقونات التي تصوّر رقاد السيّدة، وهي تؤكّد كلّها الاعتقاد القديم بمصير خاصّ لمريم بعد موتها. كلّ هذه الشواهد، تمكّننا من تحديد بداية الاعتقاد الشعبيّ بنياح مريم في نهاية القرن الخامس بداية القرن السادس.

إلاّ أنّ احتواء هذه الكتب على بعض العناصر اليهوديّة–المسيحيّة (نقاش الرسل حول قواعد الطعام والنسك)، والغنوصيّة (غرفة مريم السرّيّة)، يجعل مصدرها أقدم من ذلك (على الأرجح أواخر القرن الثالث)[١٧]. إلى ذلك، خضع بعض هذه النصوص، بسبب رواجه، لإضافات عبر العصور، تمّت بدافع التقوى والغيرة على مريم.

٢– أهميّة هذه النصوص

ربّ سائل يسأل: ما هي قيمة هذه النصوص الحقيقيّة؟ وما هي صحّة معلوماتها حول حياة مريم وفضائلها؟ وماذا تضيف على نصوص العهد الجديد وكتابات الآباء القدّيسين؟

ممّا لا شكّ فيه أنّ الكتب التي تنقل التقاليد المتعدّدة حول موت العذراء قد مارست تأثيرًا كبيرًا على تاريخ التقوى، والعقيدة، والإيقونوغرافيا المسيحيّة[١٨]؛ فهي تعكس بوضوح تطوّر الاعتقاد بمصير مريم النهائيّ، وتنوّعه بحسب الإطار الزمنيّ والمكانيّ؛ فمن نصوص تتحدّث عن رقاد مع حفظ لجسد مريم، ونقله إلى السماء، إلى نصوص تروي رقادًا يتبعه صعود، إلى نصوص أخيرة تخبر، تلميحًا أو تصريحًا، انتقال مريم وقيامتها.

١) أهمّية تاريخيّة

إنّ اعتبار كتب رقاد مريم "كتبًا منحولة" فقط، مارس تأثيرًا سلبيًّا لفترة طويلة، بحيث اعتبرت المعطيات والمعلومات التي تنقلها خاطئة، وغير قابلة للتصديق، ومبالغة[١٩]. لكنّ الحفريّات الأثريّة التي تمّت في "أمكنة مريم"[٢٠] أكّدت ما تورده هذه الكتب، وما تنقله النصوص الليتورجيّة القديمة الموضوعة لعيد النياح.

لا تكمن أهمّية هذه الكتب التاريخيّة في كونها تنقل

(١٥) E. COTHENET, «Marie dans les apocryphes», dans: Manoir d'Hubert du (dir.), *Maria*, t. 6, Paris: Beauchesne, 1961, pp. 144.

(١٦) يحتفظ التقليد السريانيّ بعظة شهيرة لمار يعقوب السروجيّ حول رقاد السيّدة، تعود إلى أواخر القرن الخامس.

(١٧) E. COTHENET, *Découvrir les apocryphes chrétiens*, DDB 2009, p. 212-213.

(١٨) على تعدّد الأيقونات التي تصوّر رقاد السيّدة من مختلف العصور، تحتوي هذه الأيقونات على العناصر المشتركة التالية: نرى والدة الله ممدّدة على سرير، لابسة ثيابًا إحتفاليّة، والربّ نازلاً شخصيًّا ومتّجهًا نحو مرقد أمّه ليستلم روحها. تصوّر روح مريم بشكل طفل صغير مقمّط، يقدّمه ملاكان إلى يسوع. كما نشاهد الملاكين ميخائيل وجبرائيل، والرسل يحيطون بسرير مريم في جوقين: واحد عند الرأس وآخر عند أقدام العذراء. يقف بطرس عند رأس مريم (إشارة أخرى إلى أوّليّته)، يقف يوحنّا في الجهة المقابلة. كما نشاهد، في بعض الأيقونات، جوقًا من العذارى (شاهدات على مجد مريم)، ومبخرة في يد بطرس ترمز إلى العطر غير الموصوف الذي ملأ غرفة مريم. أنظر: J. DUHR, "La Dormition de Marie dans l'art chrétien", *NRT*, 2 (1950) 139.

(١٩) هذه هو رأي M. JUGIE الذي يقول: "من وجهة نظر تاريخيّة، لا قيمة للنصوص المنحولة مطلقًا؛ فليس هناك أيّ تقليد أصيل يعود إلى زمن الرسل، حول الطريقة التي غادرت بها أمّ الربّ هذه الأرض". أنظر:
M. JUGIE, *La mort et l'Assomption de la Sainte Vierge. Étude historico-doctrinale*, 1944, cité par E. COTHENET, *Marie dans les apocryphes*, p. 144.

(٢٠) الناصرة وبيت لحم وأورشليم (ولاحقًا أفسس).

معلومات تاريخيّة دقيقة متعلّقة بموت العذراء مريم وانتقالها؛ فتاريخيّة هذه الأحداث تبقى أمرًا عصيًّا على التدقيق والتحقّق. كما أنّ النواة التاريخيّة لأحداث الرقاد قد ضاعت في التفاصيل الكثيرة التي تنقلها هذه الكتب، وفي مغالاتها في وصف هذا الحدث العجائبي، وإكثارها من أخبار الخوارق والمعجزات التي ترافقه.

إلاّ أنّ الأهميّة التاريخيّة لأخبار "رقاد السيّدة" تكمن في كونها شواهد حيّة على إيمان الجماعة المسيحيّة الأولى، وعلى كيفيّة تفاعل هذه الأخيرة مع شخصيّات الإيمان المركزيّة (يسوع المسيح، مريم، الرسل)، ومع أحداثه الكبرى (الميلاد، والموت، والقيامة، والصعود). تتأكّد هذه الأهمّيّة من حقيقة أنّ العقيدة المريميّة تطوّرت في إطار الجدالات الكريستولوجيّة التي سادت في القرون الخمسة الأولى حول ألوهيّة المسيح وبشريّته؛ فحيثما كان الكلام يدور على المسيح، كان هذا الكلام يطال أمّه أيضًا. ولقد تجلّت هذه الوحدة بين الأمّ وابنها في ارتباط الأعياد المريميّة الأولى بعيدَي الميلاد والظهور (خاصّة بعد مجمع أفسس) [٢١].

في بحث شيّق له، يعالج اللاهوتيّ المريميّ الشهير رينيه لورانتين مسألة الكتب المنحولة العائدة للنياح، منطلقًا من السؤال الذي طرحه أبيفانوس أسقف سلامين حوالى سنة ٣٧٧ : "كيف انتهت حياة مريم الأرضيّة؟" [٢٢]. بحسب لورانتين، قدّم التقليد المسيحيّ جوابين على هذا السؤال: واحد في الأدب المنحول، وآخر عند آباء الكنيسة. لا يمكننا اعتبار هذين الجوابين على قدم المساواة؛ فالجواب الأوّل شعبيّ يحمل العديد من المعتقدات الشعبيّة، أمّا الثاني فلاهوتيّ تدعمه براهين وحجج قويّة [٢٣].

إلى ذلك، يظهر التطوّر التاريخيّ للأدب المنحول حول رقاد مريم، أنّ الاعتقاد بهذا المصير الخاصّ لمريم نشأ في أوساط مونوفيزيّة، حيث كان الجدال على أشدّه بين القائلين بالطبيعة الواحدة وبالطبيعتين في المسيح. في إحدى تشعّبات اللاهوت المونوفيزيّ، كان يُشدّد على "عدم قابليّة جسد المسيح للفساد" (incorruptibilité)، وعلى خلوده (immortalité) لكونه جسدًا إلهيًّا؛ وهو ما كان يطبّق على جسد مريم الذي منه أخذ الكلمة الإله جسده. هذا ما قاد إلى الاعتقاد بانتقال مريم بجسدها إلى السماء من دون عبورها بالموت [٢٤].

تتويجًا لهذا التطوّر التاريخيّ الطويل، أصدر الامبراطور موريس (نهاية القرن الخامس) مرسومًا فرض بموجبه، على كلّ الأمبراطوريّة، الاحتفال بعيد "رقاد السيّدة" (مع تأكيد انتقالها وقيامتها)، وذلك في الخامس عشر من شهر آب.

٢) أهمّية تعليميّة

من وجهة نظر لاهوتيّة، تبدو النصوص المنحولة أغنى ممّا نعتقد. فهي تبيّن لنا كيف وعت الكنيسة تدريجيًّا وبدفع من روح الله، لتمجيد مريم الكامل؛ فمن عهد الرسل، برزت القناعة بأنّ موت مريم يجب ألاّ يكون كموت سائر الناس، لأنّ مريم أفلتت من حبائل الموت، ولم يكن لجسدها الثمين أن يعرف الفساد (مز ١٥:١٠). لكن كيف السبيل للتعبير عن هذه الفكرة اللاهوتيّة؟

– استعمال الأسطورة في نصوص الرقاد

من المعلوم أنّ المسيحيّين الأوائل لم يكونوا يمتلكون الصور والأفكار اللاهوتيّة التي نمتلكها نحن اليوم، فلجأوا إلى التراث اليهوديّ الذي كان يتصوّر السماء كمملكة شاسعة مبنيّة على مستويات، يحتلّ الله المستوى الأعلى فيها، فيما يحتلّ الملائكة والمختارون، كلّ واحد بحسب درجة كماله، المستويات الوسيطة. كما كان يُنظر إلى الفردوس كمكان الأفراح والطيّبات، وفيه لا تزال تورق شجرة الحياة، وشجرة معرفة الخير والشرّ.

يلاحظ أحد اللاهوتيّين المعاصرين بحقّ: "غالبًا ما

(٢١) S. MIMOUNI, *Dormition et Assomption de Marie*, p. 661-662.

(٢٢) يقول أبيفانوس: "لقد صمتت الكتب المقدّسة صمتًا مطلقًا بسبب تسامي المعجزة... أمّا أنا فلا أجروء على الكلام عليها. إنّي أقلّب الأمر في رأسي وأصمت" (**كتاب العلاج**، ٧٨: ١١). يرى بعض الباحثين في جواب أبيفانوس عناصر جداليّة ضدّ شيعة قديمة كانت تؤلّه مريم مقدّمة لها القرابين.

(٢٣) R. LAURENTIN, *Court traité sur la Vierge Marie*, Paris 1968, p. 59-62.

(٢٤) S. MIMOUNI, *Dormition et Assomption de Marie*, p. 670-671.

تكون الأساطير ترجمة لتفكير لا يزال عاجزًا عن التعبير عن نفسه بمفاهيم مجرّدة" [٢٥]. لذلك، وفي سبيل التعبير عن كون جسد مريم قد أفلت من شريعة الموت العامّة، تروي المصادر المنحولة أنّ هذا الجسد نُقل ووُضع تحت شجرة الحياة؛ وفي سبيل التعبير عن العلاقة الوثيقة والمستمرّة بين مريم وابنها، تخبرنا هذه المصادر أنّ المسيح بذاته نزل إلى الأرض، واصطحب معه أمّه إلى السماء، معتنيًا بها حتّى وصولها إلى هناك [٢٦].

إلى جانب هذه الفكرة اللاهوتيّة، أبرز التقليد المسيحيّ فكرة انتقال مريم الحقيقيّ، أي اجتماع جسدها الممجّد بروحها الخالدة، وذلك بدءًا من نهاية القرن السادس. لقد تجلّت هذه الفكرة في "العظات البيزنطيّة" [٢٧].

– رقاد مريم في "العظات البيزنطيّة".

تؤكّد هذه العظات كلّها على موت مريم وانتقالها المجيد إلى السماء بجسدها، وتبرّر هذا التأكيد كما يلي: ينتمي جسد الأمّ إلى الابن، والاثنان يرتبطان، بطريقة دائمة، بفضل الأمومة الإلهيّة؛ فالجسد الذي وَلَدَ، بطريقة بتوليّة ومن دون فساد، كلمة الله غير الفاسدة، لا يمكنه أن يَفسُد.

من جهة، يعترف الكتّاب البيزنطيّون بأنّ موت مريم يدخل في إطار الشريعة العامّة التي سادت على البشريّة الهالكة منذ الخطيئة الأصليّة. في خطابه حول رقاد مريم، يقول يوحنّا التسالونيكيّ بلسان مريم: "لقد أوحي إليّ وعلّمت أنّ مسألة رحيلي هي شريعة عامّة" (العدد ٥). كذلك، يؤكّد جرمانوس القسطنطينيّ (٧٣٣): "بما أنّ مريم كان لها جسدنا المائت عينه، لم يكن بإمكانها أن تتفادى لقاء الموت الذي يطال كلّ إنسان، شأنها في ذلك شأن ابنها" (العظة ١). في المعنى عينه، يلاحظ يوحنا الدمشقي (٧٤٩): "أنّ مريم تخضع للشريعة التي وضعها ابنها عينه، وكابنة لآدم القديم تفي الدين الوالديّ، لأنّ ولدها عينه، وهو الحياة في ذاته، لم يرفض ذلك" (العظة ٢).

من جهة أخرى، مع كون موت مريم موتًا طبيعيًّا، إلاّ أنّه لا يشبه في شيء موت سائر البشر؛ فالموت طالها، من دون شكّ، إلاّ أنه لم يحبسها ولم يستعبدها. يقول الدمشقيّ: "كان عبور العذراء من هذا العالم عبورًا من دون ألم أو نزاع؛ ففيها أميتت شوكة الموت أي الخطيئة. ماذا نقول عن موتها غير أنّ هذا الموت كان، بالنسبة إليها، مبدأ حياة فضلى وأبديّة؛ فبصفتها والدة الله الحيّ، من العدل أن تُنقل إليه... كيف لا تعيش مدى الأبد تلك التي قبلت الحياة عينها من دون بداية أو نهاية" (العظة ٢). بدوره، يشبّه جرمانوس القسطنطينيّ موت مريم بالرقاد؛ فهي "غادرت هذا الجسد في حالة اليقظة"، ويتساءل: "كيف يحوّلك الموت إلى رماد وتراب، أنت التي، بتجسّد ابنك، أنقذت الإنسان من فساد الموت؟ لم يكن ممكنًا لك، وأنت الإناء الذي احتوى الله، أن تنحلّي في تراب جثّة متفكّكة؟" (العظة ١). أمّا أندراوس الكريتيّ فيرى (٧٤٠)، "الصورة الأفضل لموت مريم هي رقاد آدم عندما أستلّ الربّ منه ضلعًا ليكمّل جنسنا. بالطريقة عينها، رقدت مريم، وخضعت للموت بمقدار ما كان ذلك ضروريًّا لتدفع ضريبة الشرائع الطبيعيّة، وإتمام الأمر الذي حدّدته العناية الإلهيّة منذ البداية" (العظة ١).

يبدو واضحًا من هذه العظات، أنّ البرهان اللاهوتيّ الأساسيّ لتأكيد الإيمان حول انتقال والدة الله، هو تكريس مريم الكليّ لابن الله، تكريس تجلّى في الإيمان بعدم فساد جسدها. مثلما أنّ هذا الجسد لم يعرف، في ولادته، فساد الخطيئة، كذلك لم يعرف، في نهاية حياته الأرضيّة، فساد الموت الجسديّ. بالنسبة إلى الدمشقيّ، لقد ماتت مريم فعلاً، وذلك لتخلع عنها موات جسدها. لكنّ هذا الجسد بقي غير فاسد، لأنّ القدرة الإلهيّة حوّلت حالته. في هذا المعنى، يقول بولس الرسول: "فلا بدّ لهذا الكائن الفاسد أن

(٢٥) J. GALOT, « Le problème de la mort de Marie », *RSR* (1958) 202 ; cité par E. COTHENET, *Marie dans les apocryphes*, p. 153.
(٢٦) E. COTHENET, *Marie dans les apocryphes*, p. 146-147.
(٢٧) مجموعة من العظات الشهيرة ألقيت بمناسبة عيد النياح، وينسبها التقليد إلى آباء كبار أمثال جرمانوس القسطنطينيّ، وأندراوس الكريتيّ، ويوحنّا التسالونيكيّ، ويوحنّا الدمشقيّ

يلبس ما ليس بفاسد، ولهذا الكائن الفاني أن يلبس الخلود" (١ قور ١٥: ٥٣). يذكر الدمشقيّ هذه الآية ليؤكد أنّ مريم قد خضعت لتحوّل حالتها البشريّة المائتة إلى حالة خلود، مقدّمة ضروريّة للمجد. في هذا وُجد جسدها في جسد الابن المتجسّد.

في رقادها، اعتبرت مريم حوّاء الجديدة وصورة الكنيسة. فباتّحاده بالجسد الذي أخذه من مريم، اتّحد ابن الله بالكنيسة. يعلن سرّ تكريس مريم السرّ الذي به يكرّس المسيح الكنيسة عروسه؛ وفي مريم يكتمل، بطريقة مثاليّة، ما كان أخذ يتحقّق فيها: اتّحاد المسيح والكنيسة في جسد واحد. لذلك، لا تنحرف الكتب المنحولة عن "المبدأ اللاهوتيّ الأوّل" في الخطاب المريميّ: العلاقة الشخصيّة والفريدة التي تجمع الأمّ بابنها.

نختم بحثنا بهذا القول الجميل للرسول بطرس لدى مشاهدته موت مريم: "لقد ملأ نور سراجها الأرض كلّها، وسوف لن ينطفئ أبدًا حتّى انتهاء الأزمنة، لكي يجد فيها، كلّ الذين يبحثون عن الخلاص، شجاعة وثقة" (يوحنّا التسالونيكيّ، **خطاب في رقاد مريم**، ٩).

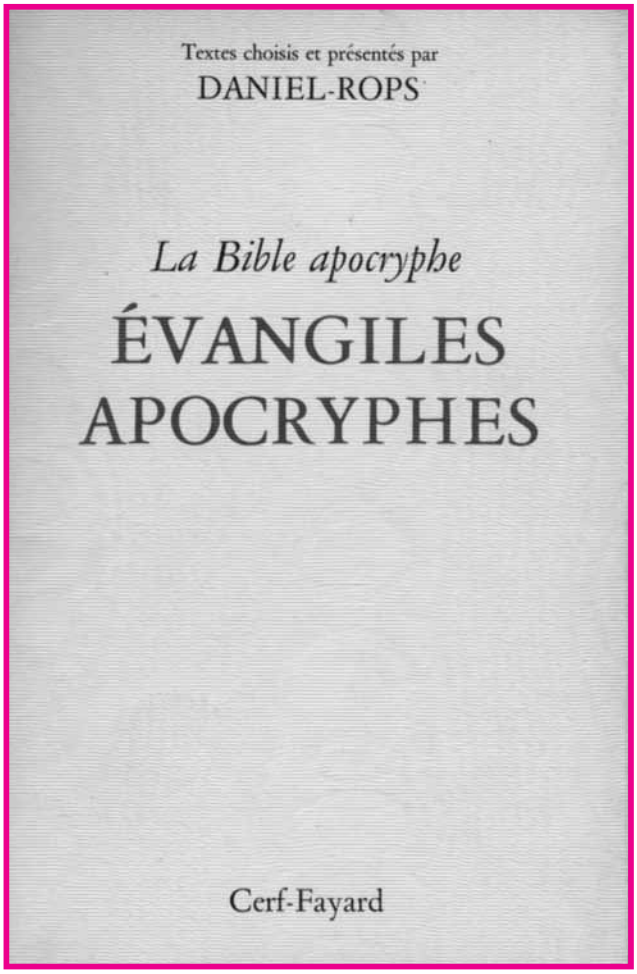

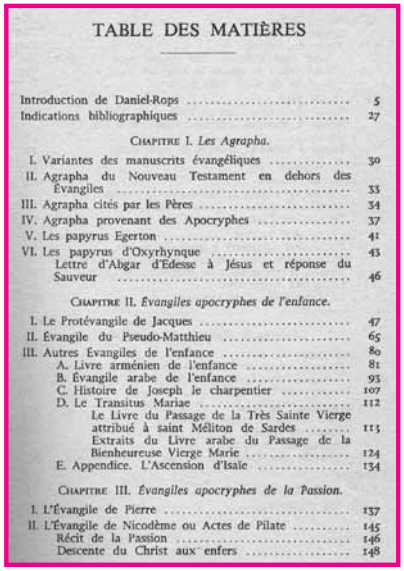
TABLE DES MATIÈRES

Introduction de Daniel-Rops 5
Indications bibliographiques 27

CHAPITRE I. *Les Agrapha.*

I. Variantes des manuscrits évangéliques 30
II. Agrapha du Nouveau Testament en dehors des Évangiles 33
III. Agrapha cités par les Pères 34
IV. Agrapha provenant des Apocryphes 37
V. Les papyrus Egerton 41
VI. Les papyrus d'Oxyrhynque 43
Lettre d'Abgar d'Édesse à Jésus et réponse du Sauveur 46

CHAPITRE II. *Évangiles apocryphes de l'enfance.*

I. Le Protévangile de Jacques 47
II. Évangile du Pseudo-Matthieu 65
III. Autres Évangiles de l'enfance 80
A. Livre arménien de l'enfance 81
B. Évangile arabe de l'enfance 93
C. Histoire de Joseph le charpentier 107
D. Le Transitus Mariae 112
Le Livre du Passage de la Très Sainte Vierge attribué à saint Méliton de Sardes 113
Extraits du Livre arabe du Passage de la Bienheureuse Vierge Marie 124
E. Appendice. L'Ascension d'Isaïe 134

CHAPITRE III. *Évangiles apocryphes de la Passion.*

I. L'Évangile de Pierre 137
II. L'Évangile de Nicodème ou Actes de Pilate 145
Récit de la Passion 146
Descente du Christ aux enfers 148

CHAPITRE IV. *Actes et Lettres apocryphes.*

I. Actes de Jean 157
II. Actes de Pierre 185
Fragment copte 186
Actes de Verceil 188
Saint Paul à Rome; son départ pour l'Espagne. 188
Saint Pierre et Simon le Magicien 190
Martyre du saint Apôtre Pierre 217
III. Actes de Paul 226
Séjour en Asie; Actes de Paul et de Thècle 227
Séjour à Philippi. Correspondance avec les Corinthiens 243
Séjour à Rome et martyre de saint Paul 247
IV. Actes d'André 252
V. Actes de Thomas 262
Hymne de l'union de l'âme avec la sagesse 266
Hymne au moment du baptême du roi 268
Hymne de l'âme 269
VI. La lettre des Apôtres 275
Prédilections relatives à la fin du monde 275
Exhortations aux Apôtres. Leur foi en Jésus-Christ 278
Passion et apparitions du Sauveur 280
Le second Avènement 281
La résurrection et le jugement 283
L'Ascension 285

CHAPITRE V. *Apocalypses apocryphes.*

I. Apocalypse de Pierre 287
Seconde venue du Christ et résurrection des morts 288
Supplices des derniers jours 289
Description du paradis 291
II. Apocalypse de Paul 295
Sort des justes et des pécheurs 297
Vision du paradis 305
Description de l'enfer 313
Nouvelle description du paradis 324
Annexe 332
Table analytique 341
Table des matières 343

الكتب المنحولة وتأثيرها على الليتورجيا الكنسيَّة

الأب نجم شهوان

أستاذ مادّة الليتورجيّا
جامعة الروح القدس – الكسليك

مقدّمة

بدايةً، إنَّ كلمة منحول هي تأويل للكلمة اليونانيَّة Apocrypha - ἀπόκρυφα (أَبُوكْرِيفَا) التي تعني الخفيَّة، السرّيّة، المموَّهة، المكتومة، المعروفة بعبارة "غير قانونيَّة"، وقد انتحلت صفة الإلهام، ولكنَّها ليست ملهمة. وسُمِّيت الأسفار المكتومة أو المخفيَّة، كما سُمِّيت أبوكريفا أي التي تبقى سرّيَّة. هي لا تدخل في الأسفار القانونيَّة، لا في العهد القديم ولا في العهد الجديد [١].

تكلَّمنا في العدد السابق[٢] عن عيدَين يخصَّان مريم العذراء: **الأعياد المريميَّة ذات المصدر المنحول**، ولكن إذا ما توقَّفنا عند الكتب المنحولة بكمّيّتها وتشعُّب مواضيعها نلاحظ أنَّ هناك مصادر منحولة أيضًا قد طبعت قصَّة سِيَر قدِّيسين، وممارسات تقويَّة فرديَّة وجماعيَّة، وقد صُنِّفت ما بين الأسرار والصلوات الخورسيَّة الكنسيَّة. تكفي العودة إلى أعمال المجمع التريدنتينيّ (١٥٤٦)، ضمن العديد من المجامع المسكونيَّة، لمعرفة تعليم الكنيسة حول الكتب القانونيَّة، وما رفضته من كتب منحولة من العهدين القديم والجديد: قرار في قبول الكتب المقدَّسة وفي التقاليد (الجلسة الرابعة).

هذه الدلائل تعبِّر عن تأثير الغنوصيَّة على الكنيسة بالموازاة، التي كانت تناهض تعاليمها، إن كان من طرف اليهود، الذين صُنِّفوا في بداية إنجيل يوحنَّا عندما قال: "إِلى بَيْتِهِ جَاء (يسوع)، وأَهْلُ بَيْتِهِ مَا قبِلُوه" (١: ١١). لأنَّ القرار بالخروج عن الشركة مع المؤمنين بيسوع قد تجلَّت في رسالة يوحنَّا الأولى، عندما قال عنهم: "إِنَّهُم خَرَجُوا مِنْ بَيْنِنَا، لـكِنَّهُم مَا كَانُوا مِنَّا، فلَو كَانُوا مِنَّا، لَكَانُوا ثَبَتُوا مَعَنَا. لـكِنَّهُم خَرَجُوا لِيَتَبَيَّنَ أَنَّهُم جَمِيعَهُم لَيسُوا مِنَّا" (٢: ١٩). وهكذا كانت ردَّة فعل كاتب الرسالة إلى العبرانيِّين: "ولا نُهْمِلِ اجْتِمَاعَنَا الـمُشْتَرَك، كَعَادَةِ بَعْضٍ مِنَّا، بَلْ لِنُشَجِّعْ عَلَيْه أَكْثَرَ فأَكْثَر، بِمِقْدَارِ مَا تَرَونَ يَوْمَ الرَّبِّ يَقْتَرِب. فإِنْ نَخْطَأْ عَمْدًا، بَعْدَ أَنْ نِلْنَا مَعْرِفَةَ الـحَقّ، فلا يَبْقَى مِن بَعْدُ ذَبِيحَةٌ عَنِ الـخَطايَا، بَلِ انْتِظَارٌ رَهِيبٌ لِلدَّيْنُونَة، وَلَهِيبُ نَارٍ يَلْتَهِمُ المُعَانِدِين" (١٠: ٢٥-٢٧).

نستشفُّ من هذه المعطيات أنَّ هناك هذا المنحى من التطرُّف في العهد القديم، كما في العهد الجديد، وأنَّ هناك ردَّة فعل على اليهود، حملت الكثيرين إلى التطرُّف السلبيّ أيضًا، نلاحظ بعضها من الهرطقات التي حرمتها المجامع المسكونيَّة. ولكن منها المنحولات الظريفة التي لم تشجبها الكنيسة، كونها تساهم في تبسيط لاهوت التجسُّد، وتقريب المسافات بين اللاهوتيِّين وبين البسطاء والأمِّيِّين في الكنيسة، فتجلَّت واضحة في الكتابات وفي عالم الإيقونات، التي تُعتبر إحدى وسائل التعليم المسيحيّ، ولو اكتست أحيانًا ببعض الجرأة والافتراضات.

(١) الخوري بولس الفغالي، **المحيط الجامع في الكتاب المقدَّس: منحولات**، المطبعة البولسيَّة، جونيه، لبنان، طبعة أولى ٢٠٠٣، ص، ٢٤، ١٢٥٩.
(٢) الأب نجم شوان، "الأعياد المريميّة ذات الأصل المنحول"، **مجلّة بيبليا** ٤٧ (٢٠١٠) ٦١-٦٤.

١. تصنيف المصادر

عندما كتب بولس الرسول في رسالته الثانية إلى تلميذه تيموتاوس قائلاً: "... بحسب إنجيلي" (٢: ٨)، لم يكن يقصد أنَّ لديه إنجيلاً خاصًّا به، بل يقصد عمل البشارة بيسوع المسيح القائم من الموت. وإذا حملت الأناجيل أسماء متَّى ومرقس ولوقا ويوحنَّا، فهي تشهد لبشارة واحدة لأنَّ موضوعها أُحاديّ هو الربّ يسوع. ولكنَّ الأمر يختلف عندما نطالع الأناجيل المنحولة، فهي تتناقض بالمقارنة، بموازاة الأناجيل القانونيَّة المرجعيَّة بالنسبة إلى الكنيسة.

لقد استفاد كتَّاب المنحولات من الشخصيَّات البيبليَّة ومن الأحداث المحيطة بها ليروِّجوا لكتاباتهم التي تخطَّت المئة كتاب؛ وقد بدأت هذه الحركة في القرن الثاني، وهو عهدها الزاهر، واستمرَّت حتَّى القرن السادس رسميًّا، مستفيدةً من المدَّة الزمنيَّة القريبة نسبيًّا من زمن الرسل والآباء. إنَّ أوَّل محاولة في التاريخ لعرض الكتب الواجب قبولها والواجب رفضها كانت مع البابا جلاسيوس الأوَّل (٤٩٢-٤٩٦) [٣].

بالاستناد إلى الكاتب باورْ[٤]، يمكننا أن نميِّز ثلاث أنواع من الأناجيل المنحولة: البعض يتماشى مع النوع الإزائيّ، وهي تذكِّرنا جدًّا بالأناجيل الإزائيَّة الثلاث: متَّى، مرقس ولوقا القانونيَّة. والبعض الآخر استوحى من المدرسة الغنوصيَّة، وهو مشبع بالأفكار الفلسفيَّة كمادَّة تناهض روح الإنجيل، ولكنَّها تتآلف معه في بعض الأحيان، والهدف هو نشر هذه التعاليم. والنوع الثالث هو الرغبة بتكملة الفجوات المتروكة من قبل الكتابات القانونيَّة، وهكذا وجدت الحشريَّة التقويَّة ضالَّتها.

نصنِّف ضمن الأناجيل المنحولة الإزائيَّة: الأناجيل اليهوديَّة- المسيحيَّة، إنجيل بطرس، أناجيل المصريِّين، إنجيل النصارى، إنجيل العبرانيِّين، إنجيل الإبْيُونيِّين، وهذا الأخير مشابه لإنجيل الرسل الاثني عشر. بالمقابل هناك أناجيل الغنوصيِّين: إنجيل الحقيقة، إنجيل توما، إنجيل فيلبُّس، إضافةً إلى كتب أخرى معها: كتاب يوحنَّا السرّي، الكتاب المقدَّس للروح الكبير الغير-مرئيّ، رسالة الإغناطيّ الطوباويّ، الحكمة، أو حكمة يسوع، حوار المخلِّص. وأخيرًا الأناجيل المكمِّلة: أناجيل الطفولة، إنجيل نيقوديمس أو أعمال بيلاطس.

في عرضٍ آخر لهذه الأناجيل وما يتبعها نورد لائحة مختلفة لها على الشكل التالي: ١) أناجيل طفولة مريم ويسوع: إنجيل توما الإسرائيليّ، إنجيل يعقوب التمهيديّ، إنجيل الطفولة العربيّ، إنجيل مولد مريم وميلاد المخلِّص، إنجيل مولد مريم؛ ٢) إنجيلا آلام: إنجيل بطرس، إنجيل نيقوديموس؛ ٣) إنجيلان غنوصيَّان: إنجيل توما، إنجيل يوحنَّا؛ ٤) نبذات أناجيل: أ) الأغرافا: أغرافا العهد الجديد من خارج الأناجيل، روايات مختلفة للمخطوطات الإنجيليَّة، أغرافا ذكرها الآباء؛ ب) شذرات بَرْدِيَّات: بَرْدِيَّات البَهْنَسا، بَرْدِيَّات إغرتون، نبذات من مصادر مختلفة؛ ج) نبذات أناجيل ضائعة: الإنجيل بحسب العبرانيِّين، إنجيل الإبيونيِّين، إنجيل المصريِّين، روايات متَّى [٥].

في سلسلة المنحولات العديدة، تُدرج أيضًا "أعمال الرسل المنحولة"، وهي تعود إلى القرن الثاني والثالث، ومنها: أعمال يوحنَّا، أعمال بطرس، أعمال بولس، أعمال أندراوس، أعمال توما. بعد هذه، هناك كذلك "الرسائل المنحولة": رسائل يسوع، رسالة من بيلاطس إلى تيباريوس، رسالة تعميميَّة من الاثني عشر، رسالة من برنابا، رسائل بولس، رسالة من تيطس. وفي النهاية يبقى هنالك "الرؤياوات المنحولة"، ولكن هي نوع أدبيّ أكثر منه كتب واضحة بحدِّ ذاتها، والذي يُستثنى منها فقط هي رؤيا بطرس.

(٣) الأب جورج سابا، **على عتبة الكتاب المقدَّس**، الفصل الخامس: **الكتب غير القانونيَّة (المنحولة) المسيحيَّة**، منشورات المكتبة البولسيَّة، جونيه – لبنان، طبعة أولى ١٩٨٧، ص ٢٣٩.

(٤) BAUER J. B., *Les apocryphes du Nouveau Testament*, Lire la Bible / 37, Cerf, Paris 1973.

(٥) **الأناجيل المنحولة**، ترجمة إسكندر شديد، تقديم ومراجعة الأبوين جوزف قزّي والياس خليفة، الكنيسة في الشرق ٨، دير سيِّدة النصر، نسبيه – غوسطا ١٩٩٩.

(٦) *Les Évangiles de l'ombre*, éd. Lieu commun, 1983; *Évangiles apocryphes*, éd. Seuil, 1983; *Écrits apocryphes chrétiens*, éd. Gallimard, Bibliothèque de la Pléiade, 1997.

في سردٍ موازٍ نوعًا ما نلاحظ تصنيفًا مختلفًا، استنادًا إلى ثلاث مراجع [٦]، وهي على الشكل التالي: ١) أعمال بطرس: إبنة بطرس وبطليموس، إبنة البستاني، أعمال بطرس وبولس، إستشهاد القدّيس بطرس الرسول؛ ٢) أعمال يوحنّا؛ ٣) أعمال أندراوس، ٤) أعمال توما؛ ٥) أعمال بولس؛ ٦) أعمال برنابا؛ ٧) رسالة بولس الثالثة إلى الكورنثيّين؛ ٨) رسالة بولس إلى اللاوديسيّين؛ ٩) مراسلات بولس وسينيك [٧].

تبقى السلسلة الأخيرة من المنحولات وهي الرؤى المنحولة، وتتضمّن: ١) قصّة يوسف النجّار، ٢) قصّة نياح مريم، ٣) كتاب انتقال الكلّيّة القداسة العذراء مريم، ٤) صعود أشعيا، ٥) رؤيا عزرا لنهاية العالم، ٦) رؤيا سدراك لنهاية العالم، ٧) رؤيا عزرا، ٨) كتاب عزرا الخامس، ٩) كتاب عزرا السادس، ١٠) رؤيا بطرس لنهاية العالم، ١١) رؤيا بولس لنهاية العالم، ١٢)كتاب وحي إلكاساي [٨]. هذه التصنيفات ليست الوحيدة، فهناك غيرها الكثير الكثير أيضًا [٩]، لمعرفة مصادر الأعياد الكنسيّة، بحيث أنّ منها وردت العبادات والتكريمات التي يقوم بها المؤمنون في الكنيسة، ولكن، ورغم التناقضات الحاصلة، يبقى الحَكَم هو النيّة التي على أساسها تقوم الصلاة.

٢. الليتورجيّا الكنسيّة والمنحولات

هناك علاقة واضحة بين الليتورجيّا والمراجع المنحولة، لأنّ الكنيسة بواسطة الصلوات الليتورجيّة الرسميّة تنقل إيمانها إلى الأجيال، فهو إيمان الكنيسة الجامعة القانونيّ، ولا يمكن تحصيله سوى عبر الرعيّة التي تصلّي. هناك أحيانًا بعض المجازفات، ولكنّ الكنيسة التي اختارت أسقفًا لها "جديرًا بالربّ" [١٠]، كما جاء في إرميا أيضًا: "وَأُقِيمَ عَلَيْكُمْ رُعَاةً يَحْظَوْنَ بِرِضَى قَلْبِي، فَيَرْعَوْنَكُمْ بِالْمَعْرِفَةِ وَالْفِطْنَة" (٣: ١٥)، تحفظ نفسها من الهرطقات والشعوذات والمهاترات والفوضى في الإيمان، المعبَّر عنه بالألحان الكنسيّة المسموح بها، والثياب الليتورجيّة المناسبة، والنصوص القانونيّة، والأدوات المقدّسة، ممّا يدخل في سياق النظام الكنسيّ؛ وإلاّ تدبُّ الفوضى وتنتهي الرعيّة لأنْ ليس لها راعٍ بحسب قلب الربّ، بل رعاة لا يسهرون، كما علّق أفـرَاهاط الحكيم الفارسيّ (+ ٣٤٥) [١١]، ولا يهمُّهم أمر الخراف، بحسب تعليم يسوع (يو ١٠: ١٣).

يُخبرنا الكاتب مَرْتِيمُور [١٢] عن أنّ الليتورجيّات القديمة في الكنيسة قد سمحت أحيانًا في الجماعات المصلّية باستعمال قراءات ليست بيبليّة قانونيّة، وكان من المفترض أن يطّلع عليها الرُعاة الكنسيُّون، للحكم الصائب في صحّتها، لئلاّ تدخل إلى الرعيّة وتكون سببًا للهرطقات، لأنّ هكذا تجاوزات تتناقض مع عظات آباء الكنيسة الذين كانوا يستندون إلى الكتب القانونيّة في عظاتهم وتأويلاتهم، وهذا ما يفعله الكهنة والأساقفة في عظاتهم اليوم. لقد استند حكم المجمع التريدنتينيّ على كتب أنّها قانونيّة إلى الوقت الطويل الذي مضى على استعمالها في الكنيسة [١٣].

إضافة إلى مادّة القراءات والعظات في الاحتفالات الطقسيّة الكنسيّة، هناك أيضًا بعض الألحان المستعملة في الكنيسة، بكلّ ثقافات العالم، هي بالواقع ذات مصدرٍ

(٧) **الأعمال والرسائل المنحولة**، ترجمة إسكندر شديد، تقديم ومراجعة الأبوين جوزف قزّي والياس خليفة، الكنيسة في الشرق ٩، دير سيّدة النصر، نسبيه – غوسطا ١٩٩٩.

(٨) **الرؤى المنحولة**، ترجمة إسكندر شديد، تقديم ومراجعة الأبوين جوزف قزّي والياس خليفة، الكنيسة في الشرق ١٠، دير سيّدة النصر، نسبيه – غوسطا ١٩٩٩.

(٩) **الأناجيل المنحولة ٢١**، ملفّات الكتاب المقدّس، بقلم عدد من الإختصاصيّين، تعريب الأرشمندريت أنطوان نصر، مركز الدراسات الكتابيّة، الموصل–العراق، السنة السادسة، تمّوز ٢٠٠٥، ص ٨–٩.

(١٠) أقدم النصوص المسيحيّة، سلسلة النصوص الليتورجيّة (١) **الديداكيه، التقليد الرسوليّ، نافور أدّي وماري، خولاجي سيرابيون، عهد الربّ**، تعريب الأبوين جورج نصّور ويوحنّا تابت، رابطة الدراسات اللاهوتيّة في الشرق الأوسط A.T.E.N.E.، الكسليك – لبنان ١٩٧٥، ص ٢٥.

(١١) **المقالات**، قدّم لها ونقلها إلى العربيّة الخوري بولس الفغالي، دار المشرق – بيروت، لبنان، طبعة أولى ١٩٩٤، ص ١٦١–١٦٣.

(١٢) A. G. M ARTIMORT, *L'Église en prière*, introduction à la liturgie, Desclée, troisième édition mise à jour suivant la Constitution Liturgique de Vatican II, Belgique 1965, pp. 125-126.

(١٣) Raymond E. BROWN, *101 questions sur la Bible*, Lire la Bible, Cerf, Paris 1993, p. 31.

منحول أيضًا، ودخلت وحملت نصوصًا بيبليَّة وآبائيَّة بحلَّة جديدة. هذا ما يبرِّر استعمال الكنيسة للفلسفة في مجامعها الكنسيَّة، إن كان من حيث المنطق، أو من حيث اللغة لتوصل تعاليمها الصحيحة!

مَن الذي كرَّس هكذا مَطَالع وأصبحت من إرث الكنيسة وتقاليدها سوى الأساقفة الكبار، وخاصَّة أساقفة روما، كرسالة كليمنس بابا روما (+ ٩٩)، ورسالة البابا سوتيروس (+ ١٧٥)، بحسب ما جاء في شهادة أوسابيوس القيصريّ (التاريخ الكنسيّ ٤، ٢٣)، كما أعمال الشهداء. هذه الأعمال كانت تُقرأ في الكنيسة خلال القدَّاس في ذكرى كلٍّ منهم، وعلى وجه الخصوص في الغرب المسيحيّ في أوروبَّا، وهذا ما خلَّد ذكراهم، وحمى قصصهم من الأساطير.

إنَّ أسماء الكتب المنحولة تفرض وجودها كمرجع يُستقى منه للممارسات التقويَّة، نذكر منها "إنجيل يعقوب" الذي يخبرنا عن ميلاد مريم، ليتكلَّم عن الحبل العجائبيّ بالعذراء، وتقدمتها إلى الهيكل، وخطبتها ليوسف، وبشارتها، وزيارتها، وميلاد يسوع، وزيارة المجوس وموت زكريَّا. وإذ يروي ما يرويه حول ميلاد يسوع، فإنَّه يقصد أن يشيد ببتوليَّة مريم الدائمة، وأن يردّ على أعداء يسوع ومريم. وكان لهذا الكتاب عظيم الأثر في الليتورجيَّا والفنّ. وأمَّا "إنجيل نيقوديمس أو أعمال بيلاطس"، فهو يتكلَّم عن آلام المسيح وانحداره إلى مقرّ الموتى. ويحوي دلائل يهوديَّة متنصِّرة، منها مهمّة الملاك ميخائيل في دخول النفوس السماء، وقدرة علامة الصليب، وهو الأمر الذي ترك أثرًا في الليتورجيَّا [١٤].

٣. التذكارات

نتوقَّف عند بعض التذكارات التي توردها كتب سِيَر القدِّيسين، لأنَّ القدِّيس المذكور في هذه الكتب من الممكن أن يُذكر أيضًا في سياق الصلوات الكنسيَّة، لطلب شفاعته، كونه قد تميَّز بحياةٍ بارَّة، وأصبح المثال والشفيع لأبناء الكنيسة، وهذا أمرٌ بديهيّ.

بالعودة إلى الكنيسة القديمة في فترة القرون المسيحيَّة الخمسة الأولى، نلاحظ أنَّ التأثير الحاصل على كلّ الممارسات الطقسيَّة، التي تأثَّرت بالكتب المنحولة، قد طبعت الليتورجيَّا الكنسيَّة حتَّى أيَّامنا هذه. إذا كانت الليتورجيَّا هي المكان المناسب لعيش الإيمان وإعلانه، فهو أيضًا المجال للمضيّ في تطرُّف تقويّ لا يستند إلى علم الإيمان الكنسيّ، المبنيّ على المعرفة اللاهوتيَّة. هذه الروحانيَّة المبنيَّة على ممارسات تقويَّة، فرديَّة كانت أم جماعيَّة، قد أجبرت المؤمنين على أن يلتزموا بها، وقد انتشرت ولم تمنعها الكنيسة بواسطة الأسقف أو بواسطة مجمع كنسيّ رسميّ، محلّيّ أو مسكونيّ.

بحسب كتب سِيَر القدِّيسين، المعروف بالسنكسار [١٥]، نجد في اليوم الحادي والعشرين من شهر تشرين الثاني، بحسب طقس الكنيسة المارونيَّة، تذكارًا "لتقدمة مريم العذراء ودخولها إلى الهيكل"، وهو متأثِّر مباشرةً بإنجيل يعقوب المنحول [١٦]، الذي صِيغَ من الأناجيل القانونيَّة الأربعة: متَّى، مرقس، لوقا ويوحنَّا، الذي يعالج مولد العذراء، ورؤيا يعقوب، ومولد يسوع. يعود بنا إنجيل يعقوب إلى القرن الثاني، وكان قد نشره الكاتب غِيُّوم بُوستيل سنة ١٥٥٢، وأراد أن يضع له عنوان "إنجيل يعقوب" المزعوم، وسمَّاه أوريجانس (+ ٢٥٣) "كتاب يعقوب"، أو من الأفضل تسميته "تاريخ مولد مريم"، كما تسمِّيه العديد من المخطوطات.

نعلم من التقليد الكَنَسِيِّ القَديم أنّ يواكيم وحنّة، والدَي سيّدتنا مَرْيَم العذراء، قدّماها لتتربّى وتخدم في الهيكل، مُنْذُ صغرها. حنّة كانت عاقرًا، فطلبت هِيَ وزَوجُها من الله أن يُعطيهما ولدًا لِيَنْذُراهُ ويُكرِّساهُ لخدمته تعالى، فرزقهما هذه الابنة **المَمْلُوءَة** نعمة. ولَمَّا بلغت الثالثة من عمرها، أخذها أبواها وقدّماها للرّب عَلَى يد زَكَرِيَّا الكاهن، لتسكن قريبًا من هيكل أُورَشَليم، فقبلها قائلاً: "الرّبّ مجَّدكِ في كلّ جيل، وها إنَّه فيكِ في الأيَّام الأخيرة يكشف الله الخلاص الذي أعدَّه لشعبه".

---

(١٤) الأب جورج سابا، **المرجع السابق**، ص ٢٤٣–٢٤٥.

(١٥) **السنكسار، بحَسَب طقس الكنيسَة الأنطاكيّة المارونيّة**، إعداد وتنسيق الأب بُولُس ضاهر، منشورات معهد الليتورجيَّا في جامعة الروح القدس–الكسليك، رقم ٢٣، لبنان ١٩٩٦، طبعة رابعة منقّحة ومزيد فيها ٢٠٠٢.

(١٦) *La présentation de Marie au Temple: lorsque la liturgie devient lieu de transmission d'une tradition apocryphe*, dans *Les Apocryphes chrétiens des premiers siècles*, Mémoire et traditions, par Isaia-Claudio GAZZOLA, sous la direction de François-Marie HUMANN, et Jacques-Noël PÉRÈS, Desclée de Brouwer, Paris 2009, pp. 65-68.

تَكَرَّسَتْ مَرْيَمُ بِكُلِّ قواها لله، وتَفَرَّغَتْ للصلاة والشغل اليدويّ، وتَعَلَّمَتِ القراءة وانْكَبَّتْ عَلَى مطالعة الكُتُبِ **المُقَدَّسَة**. فأدركت كلَّ ما فيها عن تَجَسُّد ابن الله. بقيت في الهيكل إحدى عشرة سنة مختلية بالله غارقة في بحر كمالاته. وقد مدح القدِّيسان أَمْبْرُوسْيُوس وإيرُونيمُس احتشامها ورصانتها وصمتها العميق المقدّس، ومواظبتها عَلَى الصلاة والخلوة، ومحبّتها لرفيقاتها الأبكار اللواتي كانت تحضُّهنَّ عَلَى الفَضيلَة وعمل الخير. أمَّا الاحتفال بِهَذا العِيد فهو قديم العَهْدِ في الكَنِيسَة الشَرْقِيّة، يَرْقَى أَقَلَّهُ إلى القَرْنِ السادس.

بموازاة هذا التذكار، يجوز الكلام أيضًا عن عيد مار يوسف البتول، خطِّيب العذراء مريم، في ١٩ آذار، بحيث نطالع أنَّه سَادَ في الكَنِيسَة تَقْلِيدٌ قَدِيمٌ وَهُوَ أَنَّ مَرْيَمَ تَكَرَّسَتْ لله في هَيْكَلِ أُورَشَلِيمَ مِنْ عُمْرِ الثَلاثِ سِنِين، وفي عُمْرِ الأَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَة، نَذَرَتْ بَتُولِيَّتَهَا لله، وَسَلَّمَهَا القَيِّمونَ عَلَى **الهَيْكَلِ** إِلَى رَجُلٍ أَرْمَلٍ مُتَقَدِّمٍ في السِنِّ، اسْمُهُ يُوسُف، لِيُحَافِظَ عَلَيْهَا وَعَلَى بَتُولِيَّتِهَا. فَهَذَا تَأْثِيرٌ مِنَ الكُتُبِ **المَنْحُولَة**. كما أنَّه سادَ أَيْضًا في الكَنِيسَة تَقْلِيدٌ قَدِيم، هُوَ أَنَّ يُوسُفَ شَكَّ في بَتُولِيَّةِ مَرْيَمَ وَقَداسَتِهَا. فَهَذَا تَأْثِيرٌ مِنَ الكُتُبِ **المَنْحُولَة!**

يَذْكُرُ الإِنْجِيلِيُّ لوقا، وقت ميلاد يسوع، أَنَّ ذَلِكَ **المَكَانَ الذي وُلِدَ فيه يسوع**، هُوَ في بَيْتَ **لَحْم**، لا في الحُقُولِ **المُجَاوِرَة**، كَمَا جَاءَ عَلَى لِسَانِ الرُعَاة: "هَيَّا بِنَا إِلَى بَيْتَ **لَحْمَ** لِنَرَى هَذَا الأَمْرَ الذي حَدَثَ، وَقَدْ أَعْلَمَنَا بِهِ الرَبُّ". وَهُنَا أَيْضًا تَأْثِيرٌ عَمِيقٌ في العِبَادَة المسيحِيَّة مِنَ الأَنَاجِيلِ **المَنْحُولَة** التي تَتَحَدَّثُ عَنْ مَغَارَةٍ بَعِيدَةٍ عَنْ سَكَنِ البَشَر!

في الخامس والعشرين من شهر تمُّوز لدينا تذكار القدِّيسَة حَنَّةَ والِدَة مَرْيَمَ العَذْراء، دائمًا بحسب السنكسار، بالرغم من أنّنا لا نَجِدُ في الكُتُبِ **المُقَدَّسَة** القَانُونِيَّة ذِكْرًا **لِحَنَّةَ** ويُواكيم. ولَكِن، بالاسْتِنَادِ إِلَى الكُتُبِ **المَنْحُولَة**، مِثْلَ إِنْجِيلِ يَعْقُوبَ وإِنْجِيلِ مَوْلِدِ مَرْيَم، نَجِدُ بَعْضَ **المَعْلُومات** عَنْهُمَا. كما نَجِدُ قِصَّةَ القدِّيسَة تقلا في الرابع والعشرين من شهر أيلول، في كِتَابِ "أَعْمَالِ بُولُس"، وهو يعود بنا إلى القَرْنِ الثاني.

خاتمة

لقد لعبت الكتب المنحولة، رغم الصفة التي تصنِّفها بالكتب المرفوضة ظاهريًّا، دورًا بارزًا في دفع الكنيسة لاتّخاذ القرار في الوقت المناسب، إن من خلال الآباء، أم من خلال المجامع المسكونيَّة، أو بشخص الباباوات، لتفصل بين الحقّ والباطل، بين الكتب القانونيَّة وبين الكتب المنحولة.

رغم هذه الاعتبارات كان لهذه الكتب مكانة كبيرة في التقوى المسيحيَّة عامّة، وفي التعبُّد المريميّ خاصّة. وقد عملت على إدخال بعض الأعياد على التقويم الليتورجيّ، من شرقيّ وغربيّ، مثل عيد يواكيم وحنَّة، وميلاد مريم، وتقدمتها، وانتقالها، وانتشار إكرام القدِّيس يوسف في مصر، قبل أخذ الغرب في ذلك الإكرام في أواخر القرون الوسطى. كما لا تخلو الليتورجيّا من بعض نصوص مقتبسة من هذه الكتب [١٧].

إنَّ المحيط الذي كُتبت فيه هذه المنحولات، إنْ كان في الأراضي المقدَّسة، أم في مصر، وأنطاكيا، لا يهمّ؛ ولا أين وُجدت بعد قرون وقرون، في نجع حمادي، في مصر، أم في مكانٍ آخر، لا يهمّ أيضًا، لأنَّ الأهمّ هو العبور إلى قلب هذه النصوص اليوم، وإعادة النظر فيها، لأنَّ ما تحتويه من معطيات قد ترك أثره في الليتورجيّا الكنسيَّة شرقًا وغربًا. إنَّ الإصلاح الليتورجيّ المسؤول يفترض العودة إلى قرارات المجامع المسكونيَّة والمحلّيّة، خاصَّة الأولى منها التي التأمت في آسيا الصغرى، المستندة إلى الكتب القانونيَّة المقرَّة، آخذين بعين الاعتبار كلّ المعطيات الخارجيَّة بعد ذلك، إضافة إلى المعطيات الداخليَّة.

ربَّما ساهمت هذه المصادر في تلبية حاجات في الممارسات التقويَّة الشعبيَّة، ولكنَّها لم تكن المورد اللاهوتيّ الأصيل الذي عليه بنت الكنيسة إيمان المعمَّدين، ولذلك تبقى ما دون الدستور الكنسيّ المربّي، والدليل هو بناء مدارس الموعوظيَّة أو التنشئة المسيحيَّة التي أُنشئت بعد السلام القسطنطينيّ سنة ٣١٣، وما خلَّفه من فوضى في

(١٧) الأب جورج سابا، **المرجع السابق**، ص ٢٤٨.

الدخول إلى الكنيسة دون استعدادٍ كافٍ في معرفة الإيمان المستقيم.

إنَّ المعطى اللاهوتيّ يتكامل في المعطى العقائديّ، ولهذا تصبح الليتورجيّا المدرسة الفعليَّة لتجسيد لاهوت الكنيسة وعيشه بثقة وفرح، سعيًا وراء القداسة التي تجعل الإنسان يتّحد بالربّ. إنَّ مجمع اللاذقيَّة المنعقد سنة ٣٦٠، كان أوَّل مَنْ أصدر وثيقة تعليميَّة ضمن قراراته المجمعيَّة، حيث استعمل كلمة "قانون" في ضبط مسائل الكنيسة، ومن بينها الكتب المقدَّسة المعترف بها رسميًّا [١٨]. لا ترتبط المسيحيَّة بالكتاب كمادّة أوَّليَّة وحسب، بل ترتبط بالإيمان، وترتبط بالإنسان، ولذا لا تعير الكتاب الأولويَّة، بل الممارسة، ولهذا أصبحت المجامع هي المصدر المُلْهِم لعيش الإيمان قانونيًّا، لأنَّ المجامع هي التي تحدِّد كلَّ شيء.

بإيجاز، نستيطع أن نقول لا يمكن رميُ الكتب المنحولة، رغم الفوضى التي تحملها، فلا بدَّ من تصوُّرها مادّةً حرَّة من أيّ قيد، وهي تشهد على الحريَّة في التعبير، في الزمان الغابر، ومع هذا فالكنيسة ترفضها كمادّة للصلاة بطريقة مباشرة، ولكنَّها تأثّرت بها، وهذا دليل على أنَّ الانفتاح على اختلاف الآخر، لا يمنع من أن يحمل شيئًا ما إيجابيًّا.

(١٨) A. PAUL, « Le canon des Écritures », dans *Encyclopédie des religions, Encyclopœdia Universalis*, France 2002, pp. 366-367.

مراجع

BAUER J. B., *Les apocryphes du Nouveau Testament*, lire la Bible / 37, Cerf, Paris 1973.

BROWN RAYMOND E., *101 questions sur la Bible*, Lire la Bible, Cerf, Paris 1993, p. 31.

Écrits apocryphes chrétiens, Édition publiée sous la direction de François BOVON et Pierre GEOLTRAIN, éd. Gallimard, Bibliothèque de la Pléiade, 1997.

GAZZOLA Isaia-Claudio, *Les Apocryphes chrétiens des premiers siècles, Mémoire et traditions*, sous la direction de François-Marie HUMANN, et Jacques-Noël PÉRÈS, Desclée de Brouwer, Paris 2009, pp. 65-68.

MARTIMORT A. G., *L'Église en prière, introduction à la liturgie*, Desclée, troisième édition mise à jour suivant la Constitution Liturgique de Vatican II, Belgique 1965, pp. 125-126.

MOPSIK Charles, *Les Évangiles de l'ombre : apocryphes du Nouveau Testament*, éd. Lieu commun, 1983.

PAUL A., « Le canon des Écritures », dans *Encyclopédie des religions, Encyclopædia Universalis*, France 2002, pp. 366-367.

QUÉRÉ France, *Évangiles apocryphes*, éd. Seuil, 1983.

الخوري بولس الفغالي، **المحيط الجامع في الكتاب المقدَّس**: "منحولات"، المطبعة البولسيَّة، جونيه، لبنان، طبعة أولى ٢٠٠٣، ص، ٢٤، ١٢٥٩.

الأب جورج سابا، **على عتبة الكتاب المقدَّس**، الفصل الخامس: **الكتب غير القانونيَّة (المنحولة) المسيحيَّة**، منشورات المكتبة البولسيَّة، جونيه، لبنان، طبعة أولى ١٩٨٧، ص ٢٣٩.

الأناجيل المنحولة، ترجمة إسكندر شديد، تقديم ومراجعة الأبوين جوزف قزّي والياس خليفة، سلسلة الكنيسة في الشرق ٨، دير سيِّدة النصر، نسبيه، غوسطا ١٩٩٩.

الأعمال والرسائل المنحولة، ترجمة إسكندر شديد، تقديم ومراجعة الأبوين جوزف قزّي والياس خليفة، سلسلة الكنيسة في الشرق ٩، دير سيِّدة النصر، نسبيه، غوسطا ١٩٩٩.

الرؤى المنحولة، ترجمة إسكندر شديد، تقديم ومراجعة الأبوين جوزف قزّي والياس خليفة، سلسلة الكنيسة في الشرق ١٠، دير سيِّدة النصر، نسبيه، غوسطا ١٩٩٩.

الأناجيل المنحولة ، ملفَّات الكتاب المقدَّس ٢١، بقلم عدد من الإختصاصيِّين، تعريب الأرشمندريت أنطوان نصر، مركز الدراسات الكتابيَّة، الموصل، العراق، السنة السادسة، تمّوز ٢٠٠٥، ص ٨–٩.

أقدم النصوص المسيحيّة، سلسلة النصوص الليتورجيّة (١)، **الديداكيه، التقليد الرسوليّ، نافور أدّي وماري، خولاجي سيرابيون، عهد الربّ**، تعريب الأبوين جورج نصّور ويوحنّا تابت، رابطة الدراسات اللاهوتيّة في الشرق الأوسط، الكسليك، لبنان ١٩٧٥، ص ٢٥.

المقالات، قدَّم لها ونقلها إلى العربيَّة الخوري بولس الفغالي، دار المشرق، بيروت، لبنان، طبعة أولى ١٩٩٤، ص ١٦١–١٦٣.

السنكسار، بِحَسَبِ طقس الكَنِيسَة الأنطاكيّة المارونيّة، إعداد وتنسيق الأب بُولُس ضاهر، منشورات معهد الليتورجيّا في جامعة الروح القدس، الكسليك، رقم ٢٣، لبنان ١٩٩٦، طبعة رابعة منقّحة ومزيد فيها ٢٠٠٢.

مجلّة بيبليا، ٤٧ (٢٠١٠) ٦١–٦٤.

جدول بكتب العهد الجديد المنحولة
والأناجيل الغنوصيّة

١ – الأناجيل المنحولة

المجموعة الأولى: أناجيل المتهوّدين

١ – إنجيل العبرانيّين
٢ – إنجيل الناصريّين
٣ – إنجيل الأبيونيّين (أو إنجيل الرسل الإثني عشر)
٤ – إنجيل المصريّين
٥ – إنجيل بطرس

المجموعة الثانية : الأناجيل المطبوعة بالقصص الخياليّ

١ – إنجيل يعقوب
٢ – إنجيل متّى المزَيَّف
٣ – إنجيل انتقال مريم
٤ – إنجيل يوسف النجار
٥ – إنجيل توما الفيلسوف الإسرائيليّ
٦ – إنجيل نيقوديمس
٧ – إنجيل جملائيل

٢ – الكتب المنحولة الأخرى

المجموعة الأولى: الأعمال المنحولة

١ – أعمال يوحنّا
٢ – أعمال بولس
٣ – أعمال بطرس
٤ – أعمال توما
٥ – أعمال أندراوس

المجموعة الثانية: الرسائل المنحولة

١ – رسائل منسوبة إلى بولس:
– الرسالة الثالثة إلى أهل كورنتس
– الرسالة إلى اللاذقيّين
– المراسلة بين بولس وسينيكا
٢ – رسالة الرسل (أو: وصية ربّنا في الجليل)
٣ – كرازة بطرس
٤ – كرازات بطرس

المجموعة الثالثة: الرؤى المنحولة

١ – رؤيا بطرس
٢ – رؤيا بولس
٣ – رؤيا العذراء
٤ – رؤيا توما
٥ – رؤيا يوحنّا
٦ – رؤيا إسطفانس

رؤى ورثها المسيحيّون عن اليهود ومهروها بطابع العهد الجديد

١ – رؤيا باروك
٢ – رؤيا عزرا
٣ – رؤيا شدرك
٤ – رؤيا إيليا
٥ – رؤيا صفنيا

يضاف إلى هذه:

١ – صعود أشعيا
٢ – كتاب الأمثال

٣ – أناجيل الغنوصيّين

١ – إنجيل توما (أو: أقوال يسوع الخفيّة لتوما)
٢ – إنجيل الحقيقة
٣ – إنجيل يوحنّا المنحول، أو: أبوكريفون يوحنّا
٤ – إنجيل فيليبس
٥ – إنجيل يهوذا

Écrits apocryphes chrétiens

I

ÉDITION PUBLIÉE SOUS LA DIRECTION
DE FRANÇOIS BOVON ET PIERRE GEOLTRAIN

INDEX ÉTABLIS PAR SEVER J. VOICU

BIBLIOTHÈQUE DE LA PLÉIADE

nrf

BIBLIOTHÈQUE DE LA PLÉIADE

Ce volume contient :

Sur Jésus et Marie

PRÉDICATION DE PIERRE - ÉVANGILE SELON THOMAS - ÉVANGILE SECRET DE MARC - PROTÉVANGILE DE JACQUES - ÉVANGILE DE L'ENFANCE DU PSEUDO-MATTHIEU - LIVRE DE LA NATIVITÉ DE MARIE - DORMITION DE MARIE DU PSEUDO-JEAN - HISTOIRE DE L'ENFANCE DE JÉSUS - VIE DE JÉSUS EN ARABE - ÉVANGILE DE PIERRE - QUESTIONS DE BARTHÉLEMY - LIVRE DE LA RÉSURRECTION DE JÉSUS-CHRIST PAR L'APÔTRE BARTHÉLEMY - ÉPÎTRE DES APÔTRES - FRAGMENTS ÉVANGÉLIQUES

Visions et révélations

ASCENSION D'ISAÏE - APOCALYPSE D'ESDRAS - APOCALYPSE DE SEDRACH - VISION D'ESDRAS - CINQUIÈME LIVRE D'ESDRAS - SIXIÈME LIVRE D'ESDRAS - ODES DE SALOMON - APOCALYPSE DE PIERRE - APOCALYPSE DE PAUL - LIVRE DE LA RÉVÉLATION D'ELKASAÏ

Sur Jean-Baptiste et les apôtres

ACTES D'ANDRÉ - ACTES DE JEAN - ACTES DE PIERRE - ACTES DE PAUL - ACTES DE PHILIPPE - ACTES DE THOMAS - DOCTRINE DE L'APÔTRE ADDAÏ - LÉGENDE DE SIMON ET THÉONOÉ - ÉLOGE DE JEAN-BAPTISTE - CORRESPONDANCE DE PAUL ET DE SÉNÈQUE

Avant-propos
Introduction générale
Note sur la présente édition
par François Bovon et Pierre Geoltrain
Liste des abréviations utilisées
Index
par Sever J. Voicu

Décollation de saint Paul (détail).
Mosaïque de Monreale.
Droits réservés.

Gli Apocrifi
del Nuovo Testamento

Vangeli Infanzia Passione Assunzione di Maria

a cura di Mario Erbetta

MARIETTI

المنحولات
مقدّمات عامّة

الأب أيوب شهوان
أستاذ مادّة الكتاب المقدّس
جامعة الروح القدس – الكسليك

١ – ماذا تعني التسمية "مؤلَّفٌ منحول"؟

إذا ما تصفحنا قاموسًا من القرنين الثامن عشر أو العشرين، سنجد فيه تحديدًا سلبيًّا للكتب المنحولة. إنّها الكتب التي لم تُقْبَل في قانون الكتب المقدّسة، علمًا أنّه قد يكون لمضمونها قيمةٌ مماثلة لقيمة الكتب القانونيّة أو قريبةٌ منها. أصالتها هي موضوع شك، لأنّها وُضِعَت على يد أناس مجهولين، ولا سلطانَ لهم.

بالإضافة إلى ذلك، وإذ تعني الصفة اليونانيّة apokrufoj ، "سرّ"، "ما هو مخبوء"، يمكن القارىء المعاصر أن يتصوّر أنّه سيجد في هذه النصوص إيحاءات قد تكون السلطات المختصَّةُ رذلتها، بسبب همِّها بالحفاظ على نقاوة العقيدة أو لأسباب أخرى غير معلنة.

التعارض بين مؤلّفات قانونيّة وأخرى غير قانونيّة هو ليس أبدًا في محلّها بالنسبة إلى المرحلة الأقدم. في الواقع، لم يَصِرْ هناك قانون إلاّ شيئًا فشيئًا، وبعد جدالا تطويلة ونقاشات حادّة ومتكرّرة.

هذا التكاثرُ الذي يمكن أن ندعوه "فوضويًّا"، إلى حدٍّ ما، للأدب المنحول يطرح السؤالَ الحقيقيَّ حول طبيعته بالنسبة إلى الكتب القانونيّة.

ينبغي التوضيح بأنّ مجرّد عدم وجود الكتب المنحولة في القانون لا يعني إطلاقًا رذلاً عامًّا لها وبالجملة.

ويُطرَح هنا سؤالٌ، من بين أسئلة كثيرة، هو التالي: هل تخفي المنحولات أسرارًا أو مستوراتٍ ما؟

لكن، أليس وراء هذا السؤال نيّةٌ لنزع صفة توهلها لأن تكون من ضمن لائحة الكتب القانونيّة، ولكي، بالتالي، لا يقبلها المؤمنون؟

ستتم الإجابة على هذا التساؤل، كما على غيره، في سياق معالجتنا لمجمل موضوع المؤلّفات المنحولة.

٢ – المصطلح "منحول"

يُستَعمَل المصطلح اليونانيّ "أپوكْريفَا"، apokrufa، الذي يعني "ما كان مخبوءًا"، للدلالة على المؤلّفات التي هي خارج قانونَي العهدَين القديم والجديد. إنّ كتابًا منحولاً هو بالتالي مؤلَّف "سرّيّ"، "مخبوء" عن العامّة، ومحصور بالخاصّة، فلا يقرأه أو يناقشه، أو يحلّله إلاّ مَن كان مُنَشَّأً على ذلك في نظر أصحاب التيّارات الفكريّة أو الدينيّة السرّيّة، وقادرًا على الثبات في معتقده في نظر اليهود والمسيحيّين.

١/٢ – "المنحول" في المفهوم اليهوديّ

يتكلّم ربّابنة العهد القديم اليهود على "كتب خارجيّة" (ספרים חצונים، سفَريم حتْصُونيمْ")، أي على كتب هي خارج المجموعة المقدّسة، ويستعملها الهراطقة والسامريّون. مع هذا فإنّ كلمة "منحول" التي صارت تدلّ على الكتب غير القانونيّة، هي من أصل يونانيّ، "أپُوكْريفُس"، apokrufoj، وتعني "الخفيّ"، أو "المخبوء". لم يكن في الأصل للكلمة بُعدٌ سلبيّ، لأنّها كانت تُقال على الكتب المقدّسة ذات المضمون السّاميّ، والمعظَّمة إلى حدّ اعتبارها مقدّسة.

تعني التسمية، "منحولات العهد القديم"، مؤلّفات دينيّة يهوديّة عديدة، وتعود إلى الفترة الزمنيّة الممتدة من حوالى العام ٣٠٠ ق. م. وحتّى العام ٧٠ ب. م.

استنادًا إلى إجماع واسع، وإلى تحديد كلمة "پسودإپيغرافا" (pseudépigraphie) بأنّها فئة أدبيّة مفتوحة، ينبغي تحديد "منحولات العهد القديم" بأنّها مجموعة مركّزة ومقفلة. هذه المجموعة الأدبيّة القديمة تحتوي، بالتالي، ثلاث عشر مؤلّفًا للعهد القديم، موجودًا في المخطوطات اليونانيّة القديمة – خاصّة المخطوط الفاتيكانيّ، والمخطوط السينائيّ، والمخطوط الإسكندريّ – ولكن ليس في "البيبليا العبريّة" أو العهد القديم.

هناك أمر مماثل في العهد القديم، حيث لا تشير كلمة "منحول" إلى أسرار "خفيّة"، كما في دا ١٢: ٩–١٠، وعزرا ١٤: ٤٤–٤٨:

– ففي دا ١٢: ٩–١٠، مثلاً، يجري الكلام على أقوال يُطْبَقُ عليها حتّى نهاية الزمان، فتبقى خفية؛ إنّها أقوالٌ سيفهمها الحكيم، وسيعجز عن ذلك مَن كان شريرًا.

– وفي ٤ عزرا ١٤: ٤٤ي، يَرِدُ ذكر أربعة وتسعين كتابًا، أربعة وعشرون منها تشكّل العهد القديم وينبغي نشرها، وسبعون ينبغي أن تكون فقط في متناول الحكيم من الناس، وهي المنحولة.

شيئًا فشيئًا، أخذت كلمة "منحول" بُعدًا سلبيًّا بسبب أنّ "أرثوذكسيّة" هذه المؤلّفات المنحولة كانت في الغالب موضوع شك وتساؤل:

– فأوريجانوس، مثلاً، في تفسيره مت ١٠: ١٨، يميّز بين كتب ينبغي أن تُقرأ أثناء العبادة العامّة، وبين أخرى يسمّيها منحولة [١]. هذه الأخيرة كانت في الغالب محفوظة في أوساط هي خارج الإيمان (مهرطقة)، أو حتّى من نتاج هذه الأخيرة؛ لذا لجأ العديد من آباء الكنيسة إلى إسباغ صفة "منحولة" على مؤلّفات كانت تُحرَّم قراءتُها بسبب خروجها عن المعتقد الصحيح.

– وفي أيّام إيرونيموس (حوالى العام ٤٠٠) أخذت كلمة "منحول" معنى محايدًا، كما نستعملها اليوم، أي للدلالة على كتاب "غير قانونيّ".

كلّ منحولات العهد القديم كُتبَت في لغة ساميّة وفي فلسطين، باستثناء "حكمة سليمان" و"٢ مكابيّين"، اللذين حُرِّرَا في اليونانيّة، وعلى الأرجح في الإسكندريّة. كلّها حُفظَت في اليونانيّة، والكثير منها بالحرف اليونانيّ الكبير، وأَحيانًا أيضًا في لغات أخرى.

كان العديد من اليهود من القرن الثاني ق. م. يعتقدون أنّ النبوءة دامت فقط من موسى حتّى عزرا. وُضِعَت "منحولات العهد القديم" بعد عزرا بكثير، ونُسِبَت هكذا إلى أبطال بيبليّين، مثل إرميا، وباروخ، وسليمان، الذين سبقوا عزرا [٢]، أكانت امتدادات داخليّة إلى إستير أو دانيال، أم كانت "قصصَ" نجاحاتٍ سبقت إنجازات المكابيّين.

هذه الوثائق اليهوديّة اعتُبِرَت ذاتَ سلطان، ومستوحاةً من قِبَل العديد من اليهود الأقدمين، مع هذا لم يستعملها يهود الإسكندريّة ليملأوا قانونهم، مقابل قانون يهود فلسطين. في حين وسّعت مختلف الفرق اليهوديّة، خاصّة الأسّينيّين والسامريّين، أو ضيّقت مجموعات المؤلّفات مقدّسة، لم يكن هناك قانونان يهوديّان في التيار اليهوديّ السابق للتيار الرابّينيّ. لم يستعمل فيلون الإسكندريّ "منحولات العهد القديم" ككتب ذات سلطان؛ استشهد خاصّة بالتوراة. حاليًّا لا يعتبر اليهودُ "منحولات العهد القديم" قانونيّة؛ قانونهم هو "البيبليا العبريّة"، التي تكملها "المِشْنَهْ"، و"التُوسِفْتَه"، و"التلمودَان".

في القرن الرابع ب. م.، لم يكن إيرونيموس راضيًا عن الترجمة القديمة للعهد القديم، لذا نقل الكتب القانونيّة من العبريّة إلى اللاتينيّة، فأنتج الترجمة اللاتينيّة التي تُدعى الفُولْغَاتَه، والتي ما زالت تحتفظ بسلطتها في الكنيسة الكاثوليكيّة الرومانيّة حتّى يومنا هذا. وبما أنّه نقل العهد

(١) *Patrologia greca* (= *PG*) 13 : 881.

(٢) أنظر يوسيفوس، **ضدّ أبيون ١؛ ٤ عزرا ١٤؛ بابا باترا ١٤ب–١٥ ج.**

القديم من العبريّة وليس من اليونانيّة، فلقد حصر الفُولْغَاتَه في القانون العبريّ. اعتبر المؤلّفات المضافة في قانون الكتاب المقدّس اليونانيّ "منحولة". لاحقًا أضافت الكنيسة الغربيّة "المنحولات" إلى الفُولْغَاتَه، مستخدمة على الأرجح النصّ اليونانيّ القديم.

كردة فعل على الإصلاح البروتستانتيّ وعلى رذل لوثر للمنحولات، أعلنت الكنيسة الكاثوليكيّة الرومانيّة، في ٨ نيسان ١٥٤٦، في مجمع ترانت، أنّ المنحولات جزء من القانون المسيحيّ. من هنا، يعتبر الكاثوليك الرومان هذه المؤلّفات "قانونيّة ثانية (Deutérocanonique)، وبالتالي مُلهَمَة.

لقد جرت العادة البروتستانتيّة بتسمية نصوص السبعينيّة التي لا يتضمّنها القانون العبريّ "منحولة"، وهي الأسفار التي، بالاستناد إلى مارتن لوثر، صالحة ومفيدة للقراءة، ولكنها ليست كلمة الله، وبتسمية بعض الأسفار المسيحيّة القديمة التي لم تنجح في الدخول في قانون العهد الجديد بالكلمة ذاتها، التي تعود إلى القرن الرابع تقريبًا. النصوص عينها يسمّيها الكاثوليك "قانونيّة ثانية".

وفي القرن السادس عشر، اعتبر لوثر والبروتستانتُ الأوائل الكتبَ المضافةَ في القانون أنّها غير قانونيّة. كانت عندهم مشاعر عدائيّة تجاه الفكر الرؤيويّ، كما كانت لديهم نظرة سلبيّة إلى ٢ مكابيّين، لأنّ ٢ مك ١٢: ٤٣–٤٥ استعمله الكاثوليك الرومان لدعم فكرتهم حول المطهر، وإلى طوبيا ومؤلّفات أخرى في المنحولات، لأنّها استُخدِمَت ليبرهنوا عقيدة التبرير بالأعمال. وضع لوثر المؤلّفات المنحولة في آخر ترجمته للعهد القديم، ودعاها "المنحولة". حاليًّا، لا يعتبر البروتستانت المنحولات قانونيّة، حتّى ولو أنّ بعض الكتب، خاصّة ابن سيراخ، هي غالبًا معتَبَرَة ذات سلطان وحتّى ملهَمَة.

ليست كلمة "منحول" ("أبُوكْرِيفُس"، apokrufoj) بالتأكيد بين الكلمات الأوضح. لَذا يجب ربطها بالتعبير العبريّ "سْفَرِيمْ جْنُوزِيمْ" ספרים גנוזים، أي "الكتب المخفيّة"، أو "الأسفار المخبّأة"، لأنّها مشبوهة. لكن، لا نجد في أيّ مكان أنّ أسفارَ العهد القديم "المنحولة" –حسب البروتستانت– تُدعى "جْنُوزِيمْ (גנוזים)، أي "مخبّأة"، على خلاف المعروضة علنًا، وبالتالي الممنوعة قراءتها حتّى على الأعضاء الناضجين في الجماعة.

من جهّة أولى، لا ينبغي التفتيش عن أصل استعمال كلمة "منحول" في المجمع اليهوديّ، بل في الاستعمال الغنوصيّ الوثنيّ. من جهة ثانية، تظهر كلمة "منحول" في أدب الآباء، ليس بعلاقة مع القانون، بل بمناسبة الجدل ضدّ الهراطقة.

ينتج هكذا أنّ المفهوم الأوّل للكلمة كان يدل على شيء خفيّ بسبب قيمته وبسبب قدره. كانت الغنوصيّة تعطي امتيازًا للعقائد السرّيّة (الباطنيّة)؛ فتبقي كتبها سرّيّة خوفًا من أن تتدنّس. هكذا تصبح كلمة "منحول" التعبيرَ التقنيَّ للمؤلّفات السرّيّة.

لكن هناك استعمال آخر لكلمة "منحولة" للكتب الرؤيويّة (الأبوكاليبتيّة) اليهوديّة التي يرفضها المجمع اليهوديّ، والتي تقَرأها الكنيسة باحترام، إلى حدّ اعتبارها قانونيّة. أوّل شاهد على هذا الاستعمال هو أوريجانوس. لكنّ النزعة المحبِّذة لهذه المؤلّفات اليهوديّة الأصل لم تدم طويلاً. حتّى أوريجانوس لم يكن دون تحفّظ عليها، مع أنّه، بالنسبة إلى الكتب المنحولة التي نحن بصددها، يؤكّد أن ليس كلّ ما يوجد فيها ينبغي أن يُرفَض، بل يجب تفحّص كلّ شيء كما يفعل الخبراء.

هناك إذًا ثلاثة أسباب أساسيّة في تاريخ تداول كلمة "منحول" في مجال الكلام على مؤلَّفٍ ما:

– المعنى الأوّل: نصّ باطنيّ أو سرّيّ، مخبَّأ عن الذين ليسوا منشَّأين، وذلك بسبب الحكمة العميقة المتضمَّنَة فيه.

– المعنى الثاني: يصبح هذا النصّ على فم عدوٍّ (مناهض) مؤلَّفًا مزَيَّفًا ومهرطقًا، ذات أصل مشتبَه به.

– المعنى الثالث: كلمة "منحول" هي مرادفة للمؤلَّفات التي قانونيّتها هي موضوع "جدل"، أي مؤلّف ثانويّ مقابل المؤلّفات القانونيّة، مفيد للقراءة الشخصيّة، وليس للاستعمال الليتورجيّ. المعنى الثالث إذًا هو أنّ كلمة "منحول" تعني غير قانونيّ.

٢/٢ – "المنحول" في المفهوم الكاثوليكيّ

يدلّ التعبير "منحول" على مؤلّفات متقاربة اسمًا ومضمونًا

مع أسفار الكتاب المقدّس القانونيّة، القديم منها والجديد، والتي لم تُقبل إلى جانب هذه الأخيرة. تتضمّن كلمة "منحول" الكتب اليهوديّة العائدة إلى الزمن البيبليّ، والتي لم تعتبرها الكنيسة كتبًا أصيلة. إنّ الاكتشاف الحديث لكتب قديمة كانت ضائعة، قد وسّع لائحة الكتب التي تشملها هذه الكلمة. إذا كانت الكتب التي يدعوها الكاثوليك "قانونيّة ثانية" يدعوها البروتستانت "منحولة"، فإنّ "المنحولات"، على الأقل تلك التي من أصل يهوديّ، تُدعى غالبًا "المؤلّفات المستعارة" (Les pseudépigraphes) عند البروتستانت؛ هذا ما حدا بالباحث تشارلز، الأخصّائيّ بالمنحولات، إلى إطلاق اسم "المنحولات والمؤلّفات المستعارة" [٣] على هذه الكتب. يرتكز المفهوم الكاثوليكيّ على عقيدة المجمع التريدنتينيّ التي تقول بأنّ اثني عشر من الخمسة عشر مؤلّفًا اليهوديّة هي كتب قانونيّة، وتُدعى عند الكاثوليك "قانونيّة ثانية". الكتب الثلاثة من المنحولات البروتستانتيّة والتي لا يقبلها الكاثوليك هي: ١ عزرا، ٢ عزرا، وصلاة منسّى.

٢/ – ٣"المنحول" في المفهوم البروتستانتيّ

يشمل التعبير "منحول"، مع بعض الإضافات، كتبَ العهد القديم التي تُعتبر عند الكاثوليك "قانونيّة ثانية" (deutérocanoniques). أمّا عبارة "مؤلّفات مستعارة" (pseudépigraphes) [٤]، فتُطلق على الكتب التي يدعوها الكاثوليك "منحولات العهد القديم".

حصريًّا، تدلّ كلمة "منحول" عند البروتستانت على خمسة عشر مؤلّفًا، ما عدا واحد منها، كلّها يهوديّة الأصل، ومتضمّنة في السبعينيّة؛ نلاحظ هنا أنّ بعض أجزاء ٢ عزرا هي من أصل مسيحيّ لاتينيّ. وبالرغم من أنّ بعضها قد وُضع في فلسطين بالآراميّة أو العبريّة، فإنّها لم تُقبل في القانون اليهوديّ الذي تكوّن في القرن الثاني ب. م. لم يعتبر البروتستانت، الذين تأثّروا بقانون العهد القديم اليهوديّ، هذه الكتبَ على المستوى ذاته الذي للأخرى القانونيّة؛ من هنا نشأت العادة باعتبار المنحولات جزءًا منفصلاً في البيبليا البروتستانتيّة، أو حتّى أحيانًا استبعادها كلّيًّا.

كلّ هذه التسميات للمؤلّفات اليهوديّة غير القانونيّة لا تفي بالغرض تمامًا:

– فأحيانًا يوحي التعبير "منحول" أنّ هذه الأخيرة تتعلّق بأسرار أو بأمور سرّيّة، في حين أنّ العديد منها يتضمّن معطيات تاريخيّة، مثل ١ عزرا؛

– كذلك، الاصطلاح "مؤلّفات مستعارة" يُطبّق فقط على الكتب التي وضعها أشخاص قدماء ذائعو الصيت، مثل أدب أحنوخ، أو باروخ.

لكن بسبب عدم وجود تعبير أفضل يجري استعمال كلمة "منحول" في المعنى الشائع عند الكاثوليك. يتمّ تفسير الكتب القانونيّة الثانية ضمن أسفار الكتاب المقدّس الأخرى، أي: دانيال، ١–٢ مكابيّين، سيراخ، حكمة، باروخ؛ طوبيا، يهوديت، أستير.

٣ " – مجموعة" المنحولات

تخلق التسمية "مجموعة الكتب المنحولة"، القديمة منها أو الجديدة، انطباعًا بأنّ هناك فيها شيئًا من التناقض، لأنّ لفظة "مجموعة"، في هذا المجال، توحي بوجود وضع قانونيٍّ ما لهذه الكتب، وبتمتّعها بقيمة ما في حدّ ذاتها وبالنسبة إلى مَن يهمّه الأمر، وبإمكانيّة استخلاص فائدة ما منها. لا بدَّ من التأكيد هنا على أنّ للقارىء الفضولي أو المَشغوف أو العابر، كما للباحث الغائص في بحر هذا الأدب المثير، والساعي في إثر المعارف والمدارك والاستنتاجات المتنوعة، فاعليّةً كبرى ودورًا هامًّا هنا، إذ لهم يعود أن يتعاملوا مع هذه "المجموعة" كما يرومون: فإمّا من منظار تاريخيّ، أو أدبيّ، أو دينيّ، أو لاهوتيّ سليم مقتنع بضرورة معرفة ما هو خفي وغير قانونيّ من أجل تحاشي الوقوع في فخاخه [٥].

(٣) R. H. CHARLES, *The Apocrypha and Pseudepigrapha of the Old Testament*, 1913.

(٤) بسبب عدم وجود مرادف متّفق عليه نهائيًّا في العربيّة لكلمة Pseudepigrapha ، آثرنا استعمال عبارة "مؤلّفات مستعارة" حاليًّا، انطلاقًا من المقارنة مع كلمة Pseudonyme التي تُنقل بعبارة "اسم مستعار".

(٥) أنظر هذا المجال ما يلي:

Le Canon de Muratori, *Le Décret du Pseudo-Gélase*, *La Stichométrie de Nicéphore*, la lise dite des soixante livres canoniques (et l'énumération des livres apocryphes) conservée dans divers manuscrits grecs, ainsi que les témoignages d'Origène (*Homélie sur St Luc*, 1, 1-2; et selon Eusèbe de Césarée, *Histoire ecclésiastique*, VI, 25), d'Eusèbe de Césarée (*Ibid.*, II, 23-25; III, 3; III, 25) et d'Athanase d'Alexandre (*Trente-neuvième lettre festale*, de l'année 367)…

٤ – كيف تمّ تناقل المؤلّفات المنحولة؟

خضعت المؤلّفات المنحولة، منذ نشأتها، لشريعة عدم الثبات والتعديل. ليس من السهل إذًا إعادة بناء الوضع الذي فيه حُرِّرَت هذه النصوص واكتشاف كيفيّة تناقلها. كذلك يبقى مجهولاً مَن كانت هذه النصوص موجّهة إليه أصلاً، كما أيضًا مَن هم واضعوها.

الكتب التي ندعوها منحولة قد وُضعت إذًا وتمّ تناقلها، مع نجاحات ومخاطر العصر، وفق طرق عصرها الشائعة. إنّ الفِرَق الدينيّة التي كانت تعتبر بعض هذه النصوص مقدّسًا، وجَدت بالتأكيد بين مؤمنيها، أيادي حاذقة لنسخها.

أُحيطَت المؤلّفات القانونيّة بمهابة كبيرة، بينما نال بعض تلك غير القانونيّة لفتة تسامح، أي أنّها اعتُبِرَت كنصوص عبادة خاصّة، فتّم تناقلها بوفرة، ورُذِلَ غيرها على اعتباره من الكتب المُضرَّة، وبالتالي إمّا توقّف نسخها، وإمّا أُعيد النظر فيها من منظار عقائديّ معيّن، وأُدرِجَت في مجموعة الكتب التقويّة أو الليتورجيّة.

٥ – موقف الكنيسة من المنحولات

لم تنتظر الكنيسة طويلاً لتدلّ على زؤان الكتب المنحولة وتفرده عن قمح الكتب القانونيّة (رج مت ١٣: ٢٤–٣٠)، واعتبرت أنّه "ليس خفيّ إلاّ سيظهر، ولا مكتوم إلاّ ويُعلَم ويُعلَن" (مت ١٠: ٢٦)، وأنّ السرّ (أف ١: ٩؛ كو ١: ٢٧) الذي أعلنه الربّ في ملء الزمن (غل ٤: ٤) لم يعد مخفيًّا على المؤمنين، وأنّ الربّ عندما أرسل إلينا ابنه الحبيب أعطانا به كلّ شيء (رو ٨: ٣٢). إنّ الربّ، بعدما كلّمنا بابنه، قال لنا به كلّ شيء، وليس من كلام يُعتَبَر وحيًا بعد الوحي الذي حمله إلينا المسيح في الأناجيل خاصّة، والعهد الجديد عامّة. هذا هو الأساس الذي استندت إليه الكنائس، فاعتبرت أنّ الوحي انتهى بموت آخر الرسل، وأنّ كلّ ما كُتب بعد ذلك لا يتعدّى كونه كتبًا تقويّة، إذ ظلّت داخل إطار الإيمان المستقيم، أو كتبًا مبدعة ومضلّلة إن خرجت عن هذا الإطار.

ليس كلّ ما سُمّي إنجيلاً هو إنجيل يسوع المسيح ابن الله (مر ١: ١)، وليس كلّ ما سُمِّي رؤيا قد كشفه يسوع المسيح (رؤ ١: ١)، ولا تتلى كلّ رسالة على الإخوة أجمعين (١ تس ٥: ٢٧)، وكأنّها رسالة من القدّيس بولس، ولا تُقرَأ إلاّ رسائل الرسل الحقيقيّة على الكنيسة المجتمعة في اللاّذقيّة وكولوسي (كو ٤: ١٦) وغيرها من الكنائس، ولا يتزعزع المؤمنون سريعًا من قول أو رسالة (٢ تس ٢: ٢) حملها أحدهم وغلّفها بكلام نبوءة وقدّمها وكأنّها إلهام من الروح القدس؛ فلا بشارة إلاّ التي بشّر بها الرسل (غل ١: ٧–٩)، ولا تعليم إلاّ الذي نقرأه في الأسفار المقدّسة كما تسلّمتها الكنيسة وديعة تحافظ عليها؛ فمن بشّر بخلاف هذا التعليم فليكن مُبسَلاً، ومن اتّبع غير هذه البشارة لم يعد خادمًا للمسيح يتوخّى رضاه. هذا ما فهمه المؤمنون في الأجيال الأولى المسيحيّة، وهذا ما يجب علينا أن نفهمه نحن الذين تتقاذفهم أمواج المذاهب، وتميل بهم كلّ ريح تعليم، فتخدعنا وتقودنا إلى الضلال (أف ٤: ١٤).

٦ – كتب العهد الجديد المنحولة

تشتمل هذه التسمية على كتب موازية لكتب العهد الجديد القانونيّة، من حيث توزيعها على فئات ثلاث، هي التالية: الأناجيل المنحولة، والأعمال المنحولة، ورسائل بولس المنحولة، والرؤى المنحولة. تنبع أهمّيّة هذا الأدب الذي يعود إلى القرون المسيحيّة الأولى، من كونه قد حفظ لنا طريقة تفكير خاصّة، ورؤية للأمور من زاوية معيّنة في بداياتها. لقد شكّلت هذه الكتابات البيبليّة المنحولة، في تاريخ المسيحيّة، مصدر غنىً كبير في اللّيتورجيّا، والفنّ، والتاريخ الدينيّ، واللاّهوت، إلخ، علمًا أنّها ليست رسميًّا جزءًا من الكتاب المقدّس الذي أقرّته الكنيسة واعتمدته.

قدّ يستسيغ البعض إضفاء صفة "الأسطوريّ" على الكتب المنحولة؛ إنّنا نرى في هذا الموقف تجريدًا لحقيقة هذه الكتب من مضمونها الرائع الذي يعبّر عن أسمى من ذلك بكثير. لذا نرجو أن تكون لدى القرّاء الرغبة والهمّة والفضول للاطّلاع على هذا الأدب المسيحيّ ذي الطابع المميّز، خاصّة وأنّ القلّة النادرة في العالم المسيحيّ العربيّ قد قرأت هذه النصوص، أو حتّى سمعت بها.

لقد اعتبر الآباء الرسوليّون، برنابا، ١–٢ إكليمنضوس، أغناطيوس، وغيرُهم أسفارَ العهد الجديد هذه منحولة، لأنّها، بنظرهم، لا يمكن أن تُدرَج في مجموعة الكتب المقبولة في الكنيسة والمعتَبَرَة قانونيّة، كونها موضوع

جدل، تمامًا كما هو الأمر بالنسبة إلى أسفار العهد القديم القانونيّة وغير القانونيّة.

١/٦ – الأناجيل المنحولة

نجد خارج الأناجيل الأربعة مجموعات عديدة حملت اسم "إنجيل"؛ فهناك مجموعة أولى تتعلّق بالتيّارات المسيحيّة المرتبطة باليهوديّة، ولم يبق لنا منها إلاّ أجزاء بسيطة؛ وهناك مجموعة ثانية كُتبَت في زمن متأخّر، فجاءت بشكل قصص خياليّة؛ وهناك مَجموعة ثالثة بدأ الغنوصيّون يدوّنونها منذ القرن الثاني ب. م.، ويضمّنونها تعاليم خاصّة ينشرونها في الأوساط المسيحيّة والوثنيّة على السواء.

أ – المجموعة الأولى: أناجيل المتهوّدين

نجد في هذه المجموعة الأناجيل التالية: **إنجيل العبرانيّين وإنجيل الناصريّين وإنجيل الأبيونيّين، أو إنجيل الرسل الاثني عشر، وإنجيل المصريّين، وإنجيل بطرس.** ونسارع إلى القول بأنّه لم يبقَ لنا من هذه الأناجيل سوى بضعة أجزاء ومقاطع إن لم نَقُل نتفًا، ولو بقيت لنا في هذه الأناجيل لعَلمنا الكثير عن تاريخ المسيحيّة الأولى وعن مراحل تكوين النَصّ الانجيليّ.

أ/١ – إنجيل العبرانيّين

اكتَشَفَ هذا الإنجيلَ القدّيسُ إيرونيموس (القرن الرابع) إذ وجد نسخة منه في قيصريّة وأخرى في بيريه، قرب أنطاكية. قرأه قراءة سريعة، وكان مكتوبًا بالآراميّة، فبدا له وكأنّه الأصل الساميّ لإنجيل متّى، فنسخ منه بعض المقاطع وترجمها وأدرجها في كتبه.

إذا اطّلعنا على ما وصل إلينا من إنجيل العبرانيّين، وجدنا فيه شرحًا مسهبًا لنصّ يسرده متّى اليونانيّ بإيجاز. نقرأ، مثلاً، كيف يبيّن يسوعُ مطوّلاً لعائلته، قبل اقتبال معموديّة يوحنّا، أنّه ليس بحاجة إلى المعموديّة؛ ونقرأ أيضًا من كلمات يسوع: "لا تكونون سعداء إلاّ إذا نظرتم إلى أخيكم بالمحبّة"؛ وأيضًا: "ألمسوني وجسّوني واعلموا أنّني لست روحًا بل جسدًا".

أ/٢ – إنجيل الناصريّين

يذكره هيجيسيبوس وأوسابيوس القيصريّ، ويعتقد بعض العلماء أنّه إنجيل العبرانيّين، بدليل اكتشاف إيرونيموس له عند الناصريّين قرب أنطاكية. بقي لنا ثلاثون شهادة من هذا الإنجيل الذي يعطي أهمّيّة كبيرة لشخصيّة يعقوب أخي الربّ.

أ/٣ – إنجيل الأبيونيّين أو إنجيل الرسل الإثني عشر

كُتب في اليونانيّة في النصف الأوّل من القرن الثاني، واستعملته الجماعات المسيحيّة المنشقّة في شرقيّ الأردن. يروي خبر عماد يسوع واختياره للاثني عشر، دامجًا نصوص الإزائيّين الثلاثة متّى ومرقس ولوقا. هو ينكر ولادة يسوع مع بقاء مريم في البتوليّة، ويعتبر أنّ يسوع صار ابنَ الله لمّا قَبِلَ العماد، ويُعرِض عن الذبائح وشعائر العبادة، ويجعل من يوحنّا المعمدانَ إنسانًا نباتيًّا لا يأكل إلاّ البقول، ويتردّد في جعل يسوع يأكل خروف الفصح. ونلاحظ لدى قراءة هذا الانجيل ميلاً إلى الهرطقة وتأثيرًا غنوصيًّا في التعليم عن المسيح.

أ/٤ – إنجيل المصريّين

يبدو أنّه كتب في الزمان الذي فيه كتب **إنجيل الأبيونيّين،** وهو يرتبط مثله بالتيّار الغنّوصيّ. وُجِّه إلى المسيحيّين الآتين من الوثنيّة، ولم يبقَ لنا منه إلاّ مقطعان، هما حوار بين يسوع وسالومة بنت هيرودس وهيروديا أوردهما القدّيس إكليمنضوس الإسكندريّ، وفيهما ما فيهما من التشديد على منع الزواج.

أ/٥ – إنجيل بطرس

لم يبق لنا من هذا الانجيل إلاّ جزء بسيط. يبدأ بالحكم على يسوع وينتهي بظهوره بعد قيامته في أورشليم والجليل. كتب حوالى سنة ١٣٠ في سوريّا، وذكره سرابيون الأنطاكيّ (حوالى سنة ٢٠٠) وحذّر المؤمنين من قراءته. يبدي كاتبه معرفةً بالأناجيل القانونيّة الأربعة، ويورد الشواهد النبويّة دون أن يشدّد على أنّها تمّت في آلام المسيح وموته، ويعتبر بيلاطس بريئًا من تهمة قتل يسوع، وينحي باللائمة على هيرودس الذي حكم على يسوع بالموت، بحسب زعمه. وخلال آلام يسوع نلاحظ أنّه الإله الذي لم يتجسّد بل أخذ شبه جسد. ثمّ إنّ تمجيد يسوع تمّ حالاً بعد موته على الصليب. أمّا خبر قيامته وظهوره أمام أعدائه فهو يحوي عناصر جليانيّة يبدو فيها الصليب كائنًا حيًّا: "خرج ثلاثة

رجال من القبر يتبعهم صليب. كان رأس كلّ من الرجلين الأوّلين يصل إلى السماء، أمّا رأس الرجل الثالث الذي يقودهما فكان يتجاوز السماء، وسمعوا صوتًا من السماء يقول: هل بشّرت الموتى؟ فأجاب الصليب: نعم". ويروي هذا الإنجيل أنّ يسوع تراءى بعد قيامته للنسوة القدّيسات، وأنّه لمّا ظهر للرسل على بحيرة طبريّا كانوا على جهل بقيامته.

ب – المجموعة الثانية : الأناجيل المطبوعة بالقصص الخياليّ

أرادت أناجيل المجموعة الأولى أن تجمع تعليم المسيح وتنقله إلى المؤمنين؛ أمّا أناجيل المجموعة الثانية فهدفت إلى أن تخبرنا بما سكت عنه الإنجيليّون، متوخّيةً إرضاء رغبة الاطلاع عند الشعب المسيحيّ على ما يتعلّق بمريم وبيوسف، وبطفولة يسوع وآلامه. وهكذا كان لنا في هذه المجموعة الثانية قَصَصٌ قريب من الخرافات، مطبوع بطابع الخيال، كُتِبَ بين القرنَين الثالث والرابع ب. م.

كتابان يلفتان انتباهنا: إنجيل يعقوب، وإنجيل انتقال مريم، إذ فيهما الخطوط الأولى للاهوت مريميّ، وفكر دينيّ عن الحياة الأخرى، يستند إلى مواضيع مأخوذة من العهد القديم.

نجد في هذه المجموعة الأناجيل التالية: **إنجيل يعقوب، وإنجيل متّى المزَيَّف، وإنجيل انتقال مريم، وإنجيل يوسف النجار، وإنجيل توما الفيلسوف، وإنجيل نيقوديمس، وإنجيل جملائيل.**

ب/١ – إنجيل يعقوب

تعود أوّل مخطوطة اكتُشفت إلى القرن الثالث، وكان عنوانها: "ميلاد مريم، رؤيا يعقوب" (أخي الربّ). يروي هذا الإنجيل أحداثًا بعضها سبق الأحداث الواردة في الأناجيل القانونيّة. ثمّ يرجع إلى الأناجيل الأربعة وإلى تقاليد شفهيّة قديمة من القرن الثاني المسيحيّ، وقد أثبتها الآباء الأوّلون في كتاباتهم، ليحدّثنا عن ميلاد يسوع في المغارة، كما ورد عند يوستينوس وأغناطيوس الأنطاكيّ. ونقرأ فيه أنّ يواكيم وحنّة، والدَي العذراء، كانَا شيخَين عقيمَين، فعرفَا بواسطة الملاك أنّه سيكون لهما ولد في وقت قريب. وهكذا كان، فرزقهما الله ابنة سمّياها مريم، وكرّساها للربّ منذ ولادتها وقدَماها إلى الهيكل وهي بعمر الثلاث سنوات. وكانت تقتات بطعام يحمله إليها كلّ يوم ملاك من السماء. ولمّا بلغت اثنتي عشرة سنة، وَكَلَ الكاهن الأعظم حماية بكارتها إلى يوسف، وكان أرملاً وله أولاد، اختاره الله لهذه المهمّة بطريقة عجيبة. وأتى الملاك مريم مرّةً أولى عند عين البلدة، ومرّة ثانية في غرفتها، ليبلغها أنّها ستكون أمّ يسوع. وعند ولادة يسوع، امتلأت المغارة بسحاب، علامة حصور الله، حلّ محلّه نورٌ يعمي البصر. وما إن اختفت السحابة المضيئة، حتّى بدا الطفل في المغارة (تشديد على سرّ ولادته). وشكّت سالومة ببتوليّة مريم، فكان عقابها قاسيًا، وعرف الجميع أنّ مريم بقيت عذراء قبل الميلاد وفيه وبعده.

ب/٢ – إنجيل متّى المنحول

هذا الإنجيل هو ترجمة لاتينيّة لإنجيل يعقوب، مع بعض الزيادات، كالهرب إلى مصر، وفيه ما فيه من إسهاب في ذكر المدهشات، وميلاد يسوع المملوء عجائب، ولقاء حنّة ويواكيم عند الباب الذهبيّ (تشديد على ولادة مريم العجيبة)، ووجود الحمار والثور قرب يسوع، لتتمّ نبوءة أشعيا (١: ٣)، وحبقوق (٣: ٢)، بحسب الترجمة السبعينيّة.

ب/٣ – إنجيل انتقال مريم

دُوِّن هذا الإنجيل في القرن الخامس في اللغة اليونانيّة، وتُرجِم إلى السريانيّة والأرمنيّة والقبطيّة واللاتينيّة، فانتشر في كلّ أنحاء الكنيسة. يروي هذا الإنجيل في أحد أجزائه أنّ يسوع سلّم نفس أمّه مريم إلى الملاك ميخائيل بحضور بولس وسائر الرسل. وبعد أن دُفنت مريم في وادي يوشافاط، تراءى يسوع مرّة ثانية وأقامهَا، فصعدت إلى السماء مع ابنها، تحملها أجواق الملائكة. ونلاحظ في النسخة العربيّة لإنجيل انتقال مريم مقاطع كثيرة تحكي عن عبادتها، وطلب شفاعتها، وأولى عجائبها، والأعياد المنظّمة إكرامًا لها.

ب/٤ – إنجيل يوسف النجار

كُتب باليونانيّة في القرن الرابع، وبقي لنا منه ترجمة في العربيّة وأخرى في القبطيّة. في هذا الإنجيل، نسمع يسوع يروي لتلاميذه على جبل الزيتون حياة أبيه بحسب الجسد، وموته ودفنه. مات يوسف الشيخ بين يدَي يسوع ومريم، وعمره ١١١ سنة، وكان ما زال صحيح الجسم والعقل؛

وُضِعَت نفسه في ستار مضيء، وحملها الملاكان ميخائيل وجبرائيل، وأمّا جسده فسيبقى من دون فساد إلى يوم يملك المسيح الممجَّد ألف سنة على الأرض (رؤ ٢٠: ٢). وينهي يسوع حديثه، فيوصي المؤمنين بطلب شفاعة يوسف، والاحتفال بعيده مرّة كلّ سنة.

ب/٥ – إنجيل توما الفيلسوف الإسرائيليّ

كتبه باليونانيّة أحد المسيحيّين، وقد كان على جهل بالحياة اليهوديّة وعاداتها. تُرجِم إلى السريانيّة والجيورجيّة والسلافونيّة، ودُمِجَ بإنجيل يعقوب، فنتج من هذا الدمج إنجيلُ الطفولة كما نقرأه في الأرمنيّة والعربيّة. يروي هذا الإنجيل أحداثًا مثل زيارة حوّاء إلى مغارة بيت لحم، وشفاء الطفل الأبرص، أو أخبارًا صبيانيّة كتلك التي تجعل يسوع يصنع عصافيرَ من تراب الأرض يوم السبت ويمنحها الحياة.

ب/٦ – إنجيل نيقوديمس أو أعمال بيلاطس

مؤلَّف وصلنا في صيغ متعدّدة، في اليونانيّة والسريانيّة والقبطيّة والأرمنيّة والحبشيّة واللاتينيّة. في قسمه الأوّل نقرأ رواية حكم بيلاطس على يسوع بلسان نيقوديمس، للردّ على التجديف على يسوع، الذي وُضِع على لسان بيلاطس في القرن الرابع. ثمّ يدلي نيقوديمس ويوسف الرامي ببراهين على قيامة يسوع، فيقنعان حنّان وقيافا. وفي القسم الثاني، يروي شقيقان توأمان، هما ابنا سمعان الشيخ، كيف نزل يسوع إلى الجحيم وكيف قامَا معه من الموت يوم موته. هذا الخبر المطبوع بطابع صبيانيّ يشرح نصّ رسالة القدّيس بطرس الأولى (٣: ٩)، ويجيب على تساؤلات المسيحيّين عمّا فعله يسوع خلال رقاد جسده بعد الموت.

ب/٧ – إنجيل جملائيل

كُتِبَ باللغة القبطيّة في القرن الخامس أو السادس، وبقي لنا منه نصّ في اللغة العربيّة، وآخر في اللغة الحبشيّة. يروي أحداث الآلام بروح العداء ضدّ الشعب اليهوديّ.

ج – الكتب المنحولة الأخرى

كما حاول كتّاب الأناجيل المنحولة أن يقلّدوا الأناجيل القانونيّة، حاول غيرهم أن يقلّدوا أعمال الرسل ورسائل بولس وسائر الرسل ورؤيا القدّيس يوحنّا. ولكنّ أهمّيّة هذه الكتب هي دون أهمّيّة الأناجيل؛ لذلك سنكتفي بنظرة عاجلة إلى الأعمال والرسائل والرؤى المنحولة.

ج/١ – المجموعة الأولى: الأعمال المنحولة

كُتبت هذه الأعمال في القرنين الثاني والثالث، فكوّنت بينها وحدة متماسكة رغم اختلاف في التعليم وتباعد في التأليف. أمّا وحدتها فظاهرة في ميول مؤلِّفيها التعليميّة، وأمّا أسلوبها الأدبّي فهو الإخبار الشعبيّ الذي تكثر فيه الصور العجيبة والخارقة.

منبع هذه الأعمال آسيا الصغرى أو سوريّا، وقد جمعها المانويّون في كتاب واحد ليعارضوا بها سفر أعمال الرسل القانونيّ، مشدّدين على ما فيها من آثار تعفّفيّة وتعاليم غنّوصيّة.

نذكر في هذا الاطار: **أعمال يوحنّا**، و**أعمال بولس**، و**أعمال بطرس**، و**أعمال توما**، و**أعمال أندراوس**.

– أعمال يوحنّا

دُوِّنت بين السنتَين ١٤٠ و١٦٠، وقد استفادت منها سائر الأعمال المنحولة التي سنوردها. تبدأ ساعة يستقدم دوميسيانس يوحنّا الرسول من أفسس إلى روما، فيقيم الموتى ويشرب سمًّا، فلا يلحق به أذى، ويُلقى في أتون من الزيت المغليّ. يبقى لنا من هذا الكتاب نسخة يونانيّة طويلة، ونسخة لاتينيّة مشذّبة مهذّبة.

– أعمال بولس

يُقسم الكتاب إلى ثلاثة أقسام: أعمال بولس، واستشهاده، ورسالته إلى الكورنثيّين. يؤكّد ترتليانس في مقابلته "في العماد" أنّ كاهنًا من آسيا كتب **أعمال يوحنّا** والرسول لم يزل على قيد الحياة، فكذّبه وعزله من خدمته. ونلاحظ في هذه الأعمال ما كُتب عن القدّيسة تقلا، وقد أخذت به الكنيسة الأولى على أنّه خبر تاريخيّ، وما ورد عن وجه بولس وشكله، وقد استوحاه رسّامو الأيقونات للصورة التي نعرفها عن القدّيس بولس.

– أعمال بطرس

بقي لنا من هذه الأعمال مقاطع عن بطرس وسمعان

الساحر، تخبرنا أنّ الرسول جعل الكلب يتكلّم، والسمك المجفّف تعود إليه الحياة فيسبح من جديد، وترينا زعيم الرسل الهارب من روما بسب الاضطهاد، كيف التقاه الربّ فقال له إنّه ذاهب إلى روما ليُصلَب مرّة ثانية، فتشجّع بطرس وعاد أدراجه إلى روما وصُلب هناك. وتفيدنا أخيرًا أنّ بطرس أقام اثنتي عشرة سنة في أورشليم بعد صعود ربّنا إلى السماء، ثمّ توجّه إلى روما حيث مات بعد أن قضى فيها سنة واحدة.

– أعمال توما

كُتب باليونانيّة في منطقة الرها في القرن الثالث، غير أنّه لم يصل إلينا منها إلاّ الترجمة اليونانيّة المتأثّرة بإنجيل توما. تروي هذه الأعمال بطريقة أسطوريّة نشاط توما في الهند وموته هناك شهيدًا. ونجد فيها "أناشيد الدرّة" التي ستروج في عالم الشرق (رج أفرام السريانيّ في أناشيد الإيمان، ٨١–٨٥)، كما نجد مزامير توما التي سيستعملها المانويّون لما فيها من ميول غنّوصيّة وتعففيّة.

– أعمال أندراوس

لم يبقَ لنا منها إلاّ النسخ اليونانيّة واللاتينيّة المنقّحة، وهي تروي كيف أنّ حاكم أخائيا رمى الرسول أندراوس طعمًا للحيوانات لأنّه علّم امرأته العفّة بفضل الكرازة المسيحيّة، غير أنّ الحيوانات لم تمسّ الرسول بأذى، فجلده الحاكم وصلبه، ولكنّه ظلّ يكرز بالإيمان المسيحيّ من على صليبه مدّة ثلاثة أيّام.

ج/٢ – المجموعة الثانية: الرسائل المنحولة

لا نجد الكثير من الرسائل المنحولة لأنّ هذا الفنّ الأدبيّ لا يسمح للكاتب بأن يرخي العنان لتصوّرات مخيّلته.

– رسائل منسوبة إلى بولس

١) الرسالة الثالثة إلى الكورنثيّين

هذه الرسالة الثالثة إلى أهل كورنتس التي كتبت على ما يبدو في القرن الثالث، وأُقحمَت في أعمال بولس التي ذكرناها، تتكوّن من ستّين سطرًا، وهي تحارب بدعة سمعان وكليوبيوس في كورنتوس، وتناهض التعليم الغنوصيّ، مشدّدةً على قيامة الأجساد.

٢) الرسالة إلى اللاذقيّين (رج كول ٤: ١٥)

تؤلّف بين مقاطع مأخوذة من رسائل بولس القانونيّة، ولا سيّما الرسالة إلى أهل فيليبّي؛ بقي منها نسخة في اللاّتينيّة).

٣) المراسلة بين بولس وسينيكا، الكاتب الرومانيّ، كُتبت باللّغة اللاّتينيّة في القرن الرابع، وعرف إيرونيموس أربع عشرة رسالة منها.

– رسالة الرسل أو وصّية ربّنا في الجليل

نعرفها في ترجمة قبطيّة وفي أخرى حبشيّة، إلاّ أنّها كُتبت على ما يبدو باليونانيّة في القسم الأوّل من القرن الثاني في مصر أو في سوريّا. هذه الرسالة يوجّهها الرسل إلى جميع الكنائس لينقلوا إليهم الكلام الذي أوحى به السيّد المسيح، بعد قيامته، حول نزوله إلى الجحيم، وتبشيره الموتى، ومجيئه الثاني، والدينونة الأخيرة. نلاحظ في هذه الرسالة ردّة فعل على الغنوصيّة، ورجوعًا إلى نصوص العهد الجديد القانونيّة، كما اعتاد المسيحيّون المتهوّدون أن يفعلوا.

– كرازة بطرس

ذكر هذه الرسالة إكليمنضوس الإسكندريّ، وعرفها أوريجانس الكاتب المسيحيّ، وهرقليون الكاتب الغنّوصيّ، ولكن لم يبقَ منها إلاّ بضعة مقاطع تساعدنا على القول إنّها دوّنت في القرن الثاني، وإنّها ترتبط بأدب الدفاع المسيحيّ الذي انتشر في ذاك الوقت.

ولدينا إلى جانب "كرازة بطرس" كتاب "كرازات بطرس" حيث يعطي كاتبها المقام الأوّل ليعقوب، ويهاجم بولس على طريقة المسيحيّين المتهوّدين. كُتِبَتْ باليونانيّة، في القرن الثالث في سوريا، وتأثير الغنوصيّة فيها واضح.

ج/٣ – المجموعة الثالثة: الرؤى المنحولة

انتشر الأدب الجليانيّ عند اليهود انتشارًا واسعًا من القرون الثاني ق. م. إلى القرن الأوّل ب. م.؛ ولمّا حرمته أوساط المعلّمين اليهود، ضعف جدًّا وكاد يتلاشى لو لم ينتقل إلى اليونانيّة على أيدي المسيحيّين الذين عرفوا سفر

رؤيا يوحنّا القانونيّ وأسفار رؤى تَخَفَّتْ وراء هذا الرسول أو ذاك. من هنا رؤيا بطرس ورؤيا بولس وغيرهما.

– رؤيا بطرس

من المرجّح أنّها ترجع إلى القرن الثاني، وقد ذكرها قانون موراتوري مع رؤيا يوحنّا، وقال فيها أنّ بعضًا يرفضون قراءتها في الجماعة المسيحيّة. وصلت إلينا باللّغتَين الحبشيّة واليونانيّة مع إنجيل بطرس، فبدت بشكل وحي أوصله يسوع إلى بطرس، ونقله هذا إلى تلميذه إكليمنضوس. أمّا موضوع هذه الرؤيا فهو عودة المسيح بالمجد للدينونة العامّة، مع تصوير مطوّل لعذابات المحكوم عليهم بالموت الثاني في جهنّم. ونقرأ فيها نصوصًا من الكتاب المقدّس بعهديه القديم والجديد، ونرى صورًا مأخوذة من أساطير العالم اليونانيّ، وقد وصل إلينا بعضها عبر ما قيل في الكتب القديمة عن عذاب جهنّم وأنواعه.

– رؤيا بولس

يُقال إنّ نصّ هذه الرؤيا اكتشف في عهد تيودوسيان وغراسيان (سنة ٣٨٠) في بيت بولس الطرسوسيّ. كتبت في فلسطين باللّغة اليونانيّة، ولكن لم يبقَ منها إلاّ الترجمات. ينطلق الكاتب في تدوين هذه الرؤيا من انخطاف بولس (٢ كو ٢: ٢)، فيُعمل خيالَه في الحياة الأخرى، ويطيل شرحه عن عذابات الهالَكين.

وهناك أيضًا رؤى متعدّدة جاءت في زمن متأخّر: رؤيا العذراء، رؤيا توما، رؤيا يوحنّا، رؤيا اسطفانس، وأخرى عديدة ورثها المسيحيّون عن اليهود ومهروها بطابع العهد الجديد: صعود أشعيا بعد موته شهيدًا، وكتاب الأمثال المقحم في سفر أخنوخ. وإنّ هذه اللاّئحة الأخيرة تبيّن لنا فنون أدبيّة عرفتها التقاليد اليهوديّة بفنون عرفتها التقاليد الميسيحيّة.

وهناك أيضًا الرؤى التالية: **رؤيا العذراء، رؤيا توما، رؤيا يوحنّا، رؤيا إسطفانوس**، لكنّنا لن نتوقّف الآن عند كلٍّ منها، مكتفين بهذا القدر من الكلام على بعض منها.

كما أنّ هناك **رؤى ورثها المسيحيّون عن اليهود** ومهروها بطابع العهد الجديد، وهي: **رؤيا باروك، رؤيا عزرا، رؤيا شدرك، رؤيا إيليا، رؤيا صفنيا**.

يضاف إلى هذه: **صعود أشعيا، وكتاب الأمثال**.

د – مجموعة الأناجيل الغنوصيّة

ظهرت الغنوصيّة، التي تغرز جذورها في عالم مجهول، في سورية في بداية العهد المسيحيّ فوجدت أرضًا خصبة في الآداب الجليانيّة، ثمّ انتقلت إلى مصر في بداية القرن الثاني، ومن هناك انتشرت انتشارًا واسعًا في كلّ العالم المسيحيّ، وكان من ثمارها الديانة المانويّة.

لم نكن، إلى هذه السنوات الأخيرة، نعرف الكثير عن الغنوصيّة المسيحيّة. ما كنّا نعرفه يقتصر على شواهد نجدها في كتب الآباء الذين يردّون عليها، كما فعل إيريناوس، وهيبوليتس، وإبيفانيوس، مثلاً. غير أنّ اكتشافات نجع حمادي (مصر، سنة ١٩٤٥) وضعت بين أيدينا مكتبة في اللّغة القبطيّة تحتوي ثلاثة عشر كتابًا في ألف صفحة تتضمّن ٤٤ مؤلّفًا من مؤلّفات الغنوصيّين. نجد كتبًا ترتبط بالغنوصيّة الوثنيّة وغيرها تتقارب وأسفار العهد الجديد القانونيّة إمّا بعناوينها (إنجيل، أعمال، رؤيا) وإمّا بنسبتها إلى يوحنّا أو توما...، وهي تكشف عن سرّ خَفي على العامّة ونقله يسوع إلى بعض أخصّائه الذين ليسوا كتبة الأناجيل الأربعة.

نذكر في هذه المجموعة الثالثة: إنجيل توما وإنجيل الحقيقة وأبوكريفون يوحنّا وإنجيل فيلبّس.

د/١ – إنجيل توما أو أقوال يسوع الخفيّة لتوما

هذا الأنجيل هو أقدم شاهد بين أيدينا على الغنوصيّة السريانيّة في بداية عهدها. كُتب في القرن الثاني وانتقل إلى القبطيّة في القرن الثالث. غرف كاتبه من نصوص وتقاليد قديمة، فجمعها وبدّل فيها على هواه وأصحبها بتعابير غنوصيّة وسكبها في مجموعة سمّاها أقوال يسوع. تتكوّن هذه المجموعة من ١١٤ قولاً أوحى بها يسوع إلى توما (يظهر اسمه في القول الثالث عشر)، الذي يعتبره الكاتب فوق بطرس ومتّى.

د/٢ – إنجيل الحقيقة

هو عظة لا نعرف مَن كتبها ولا إلى مَنْ وُجِّهَت، وهي

ترمي إلى الكشف عن حقيقة الأناجيل الخفيّة. كتب في القرن الثاني في الإسكندريّة، وارتبط بِوَلِنْطِينُس الغنوصيّ الذي هاجمه إيريناوس في شخص تلاميذه ونسب إليهم اختلاق إنجيل الحقيقة.

د/٣ – إنجيل يوحنّا المنحول أو منحول يوحنّا

هو وحي يوصله المسيح المُمجَّد إلى يوحنّا على جبل الزيتون. كُتب في بداية القرن الثاني وهدف إلى عرض التعليم الغنوصيّ بشكل تفسير لسفر التكوين. لهذا يرتبط هذا الأبوكريفون باليهوديّة المعاصرة للمسيح وبحركة المسيحيّين المتهوّدين.

د/٤ – إنجيل فيليبس

سمّي بهذا الاسم لأنّ فيليبّس هو الرسول الوحيد الذي يذكره الكتاب. يبدو هذا الإنجيل بشكل رسالة لا تصميم لها تطلعنا على أسرار الغنوصيّين المأخوذة عن الليتورجيّا المسيحيّة. نجد فيه مقابلة بين الصبغة والمعموديّة: فالصابغ يرمي في قِدْرِه مواد ملوّنة، فتخرج بيضاء، والمسيحيّ يخرج نقيًّا من مياه المعموديّة. ونقرأ فيه إشارة إلى أنّ خشب الصليب هو جذع شجرة زرعها يوسف النجّار، ترتبط بشجرة الحياة في الفردوس. وهناك كتب عديدة أخرى نجدها بين نصوص نجع حمادي: **رؤيا بولس، رؤيا يعقوب، رسالة بطرس إلى فيليبّس، أعمال بطرس، رؤيا بطرس، كتاب توما،** وفيه كلمات دوّنها متيّا، **صلاة الرسول بطرس**. وما نلاحظه من خلال هذه الكتب هو أنّ الغنّوصيّين يبرزون بشكل خاصّ **إنجيل فيليبّس وإنجيل توما وكتاب توما،** لأنّهم يعتبرون هذين الرسولين المؤتمنَين الوحيدَين على البشارة الجديدة، ويتجاهلون كلاًّ من متّى ومرقس ولوقا.

خاتمة

بعد هذا العرض السريع نتساءل: أيّ جديد جاءت به الأسفار المنحولة المرتبطة بالعهد الجديد، وأيّ فائدة تقدّمها إلينا لمعرفة الكتاب المقدّس ولدرس المسيحيّة الأولى درسًا أدبيًّا وعلميًّا؟

بالنسبة إلى الكتاب المقدّس، لم تحمل إلينا هذه الكتب الشيء الكثير. قد نجد في هذه الأناجيل بعض العبارات والنصوص المختلفة عن النصّ القانونيّ، أو بعض كلمات يسوع التي لم ترد في الأناجيل القانونيّة، أمّا الرسائل والرؤى فلا تضيف شيئًا إلى العهد الجديد.

بالنسبة إلى المسيحيّة الأولى، نلاحظ أنّ الفنون الأدبيّة التي لجأ إليها كتّاب العهد القديم قد أثّرت في الكنيسة في بداية عهدها، وكان تبّاع هذه الفنون عديدين. إنّ قيمة هذه المؤلّفات هي مختلفة؛ فالمؤلّفات الآتية من عالم المسيحيّين المتهوّدين تبيّن استمرار تعبير جليانيّ ورثه المسيحيّون عن اليهود، ولكنّها ستنحرف سريعًا إلى تيّارات متشعّبة كالغنّوصيّة، مثلاً، وغيرها. أمّا المؤلّفات التي تحتوي عناصر التقوى الشعبيّة فهي تلفت انتباهنا بما تقوله عن طفولة يسوع والعذراء وعن أسرار الحياة الأخرى وانتظار نهاية كلّ شيء. لا شكّ في أنّ هذه المؤلّفات الأخيرة تتضمّن قيمة لاهوتيّة لا بأس بها، ولكنّها لا تعتّم أن تنحرف إلى حبّ الاطّلاع الباطل، وتبعد بنا إلى الذوق السليم؛ أمّا ما انتقل من الأناجيل وأسفار الرؤى إلى كتب الآباء الشرقيّين وإلى الفنّ الذي عرفته القرون الوسطى في الغرب فيبقى أمرًا منوطًا بالإيمان.

أمّا **أخطار الأسفار المنحولة** فعديدة، نذكر منها اثنين: لا تعدو الأناجيل المنحولة أن تكون كتبًا تقويّة إن لم تحمل في طيّاتها البدعة والضلال التي أثّرت في كتب كثيرة دوّنت بعدها في عالمنا الشرقيّ. أمّا الأناجيل القانونيّة ففيها وحدها نجد قاعدة الإيمان المسيحيّ. وإن كان في الإمكان أو نورد نصًّا من الأسفار المنحولة كعنصر أدبيّ نزيّن به أفكارنا، إلاّ أنّنا لا نستطيع أن نخدع أنفسنا ونخدع الآخرين عند إيراد مثل هذا النصّ معتبرينه نصًّا إنجيليًّا وهو لا يحمل من الانجيل إلاّ اسمه. أمّا الخطر الثاني فآت من الالتباس في الأفكار، بعد أن أخذ أصحاب الشيع بإقحام نصوص من العهد الجديد في كتبهم، فأخفوا تعاليمهم وراءها وخدعوا مؤمنين بسطاء. وهذا ما فعله التيّار الغنوصيّ، وكان هدفه ابتلاع نصوص الأناجيل القانونيّة وكتاباتها بروح جديدة وتعبير أفضل. إلاّ أنّ الكنيسة وقفت بوجه هذا التيّار، فجمعت الكتب التي تجد فيها الكنائس التقليد الرسوليّ الصريح وقاعدة الإيمان الواحد، وأوصلتها إلينا خالية من كلّ شائبة وضلال.

جدول بكتب العهد الجديد المنحولة

١ – الأناجيل المنحولة

المجموعة الأولى: أناجيل المتهوّدين

١ – إنجيل العبرانيّين
٢ – إنجيل الناصريّين
٣ – إنجيل الأبيونيّين (أو إنجيل الرسل الإثني عشر)
٤ – إنجيل المصريّين
٥ – إنجيل بطرس

المجموعة الثانية : الأناجيل المطبوعة بالقصص الخياليّ

١ – إنجيل يعقوب
٢ – إنجيل متّى المزَيَّف
٣ – إنجيل انتقال مريم
٤ – إنجيل يوسف النجار
٥ – إنجيل توما الفيلسوف الإسرائيليّ
٦ – إنجيل نيقوديمس
٧ – إنجيل جملائيل

٢ – الكتب المنحولة الأخرى

المجموعة الأولى: الأعمال المنحولة

١ – أعمال يوحنّا
٢ – أعمال بولس
٣ – أعمال بطرس
٤ – أعمال توما
٥ – أعمال أندراوس

المجموعة الثانية: الرسائل المنحولة

١ – رسائل منسوبة إلى بولس:
– الرسالة الثالثة إلى أهل كورنتس
– الرسالة إلى اللاذقيّين
– المراسلة بين بولس وسينيكا
٢ – رسالة الرسل (أو: وصية ربّنا في الجليل)
٣ – كرازة بطرس
٤ – كرازات بطرس

المجموعة الثالثة: الرؤى المنحولة

١ – رؤيا بطرس
٢ – رؤيا بولس
٣ – رؤيا العذراء
٤ – رؤيا توما
٥ – رؤيا يوحنّا
٦ – رؤيا إسطفانس

رؤى ورثها المسيحيّون عن اليهود ومهروها بطابع العهد الجديد

١ – رؤيا باروك
٢ – رؤيا عزرا
٣ – رؤيا شدرك
٤ – رؤيا إيليا
٥ – رؤيا صفنيا

يضاف إلى هذه:

١ – صعود أشعيا
٢ – كتاب الأمثال

أناجيل الغنوصيّين

١ – إنجيل توما (أو: أقوال يسوع الخفيّة لتوما)
٢ – إنجيل الحقيقة
٣ – إنجيل يوحنّا المنحول، أو: أبوكريفون يوحنّا
٤ – إنجيل فيليبس
٥ – إنجيل يهوذا